



حب

وراء النقاب

حب وراء النقاب

أم داود

Copyright © 2006 Um Daoud
All rights reserved.

إهداء

أهدي هذا الكتاب بكل حبي وتقديري إلى زوجي أفضل
صديق لي والذي ألهمني بمادة هذا الكتاب.
أم داود

جدول المحتويات

8.....	الفصل الأول
13.....	الفصل الثاني
19.....	الفصل الثالث
29.....	الفصل الرابع
33.....	الفصل الخامس
39.....	الفصل السادس
44.....	الفصل السابع
48.....	الفصل الثامن
54.....	الفصل التاسع
58.....	الفصل العاشر
61.....	الفصل الحادي عشر
65.....	الفصل الثاني عشر
72.....	الفصل الثالث عشر
78.....	الفصل الرابع عشر
83.....	الفصل الخامس عشر
89.....	الفصل السادس عشر
92.....	الفصل السابع عشر
102.....	الفصل الثامن عشر
107.....	الفصل التاسع عشر
115.....	الفصل العشرون

123.....	الفصل الحادي والعشرون
133.....	الفصل الثاني والعشرون
137.....	الفصل الثالث والعشرون
144.....	الفصل الرابع والعشرون
147.....	الفصل الخامس والعشرون
152.....	الفصل السادس والعشرون
155.....	الفصل السابع والعشرون
158.....	الفصل الثامن والعشرون
168.....	الفصل التاسع والعشرون
174.....	الفصل الثلاثون
177.....	الفصل الواحد والثلاثون
180.....	الفصل الثاني والثلاثون
185.....	الفصل الثالث والثلاثون
193.....	الفصل الرابع والثلاثون
199.....	الفصل الخامس والثلاثون
203.....	الفصل السادس والثلاثون
208.....	الفصل السابع والثلاثون
213.....	الفصل الثامن والثلاثون
217.....	الفصل التاسع والثلاثون
221.....	الفصل الأربعون
225.....	الفصل الحادي والأربعون

230.....	الفصل الثاني والأربعون
238.....	الفصل الثالث والأربعون
245.....	الفصل الرابع والأربعون
250.....	الفصل الخامس والأربعون
256.....	الفصل السادس والأربعون
266.....	الفصل السابع والأربعون
272.....	الفصل الثامن والأربعون
278.....	الفصل التاسع والأربعون
282.....	الفصل الخمسون
289.....	الفصل الواحد والخمسون
297.....	الفصل الثاني والخمسون
303.....	الفصل الثالث والخمسون
317.....	الفصل الرابع والخمسون
326.....	الفصل الخامس والخمسون
334.....	الفصل السادس والخمسون
340.....	الفصل السابع والخمسون
349.....	الفصل الثامن والخمسون
358.....	الفصل التاسع والخمسون
364.....	الفصل الستون
374.....	الفصل الواحد والستون
382.....	الفصل الثاني والستون

389.....	الفصل الثالث والستون
397.....	الفصل الرابع والستون
403.....	الفصل الخامس والستون
412.....	الفصل السادس والستون
419.....	الفصل السابع والستون

الفصل الأول

إن عينية هي أول ما جذب انتباهها إليه، فقد كانتا تميلان إلى لون قطعة من حبة خشب الجوز المطلي بمادة لامعة. هكذا كانت تشع عيناه ذات اللون البني. لقد رأت عينية بوضوح حيث أنهما كانتا تحملقان فيها لمدة طويلة تجاوزت النظر العادي. وكان من المفترض والطبيعي أن تتجنب نظراته، إلا أنها فعلت عكس ذلك تلقائياً لذا غمرها فيضان من الخجل والانجذاب نحوه. ومع أن نظراته لم تستمر طويلاً حيث كان عليه أن ينتبه إلى الطريق أمامه.. إذ أنه سائق التاكسي.

كانت "أميرة" الابنة الوحيدة لشيخ البلد ولها خمسة أشقاء، فلذا كانت نادراً ما تخرج إلى الشارع بمفردها. وذات يوم من الأيام دخلت والدتها إلى المستشفى ولزم الأمر ضرورة وجود أميرة مع والدتها في المستشفى. وإذا كانت ظروف الأشقاء الخمسة لا تسمح لهم بالذهاب مع أميرة إلى المستشفى، اضطر والدها بالسماح لها بالذهاب بمفردها إلى المستشفى وذلك بأن أركبها سيارة أجرة أمراً إياها بأن تتصل بأكثر اخوتها فور وصولها إلى المستشفى. أدركت أميرة أن مدة رحلتها بالتاكسي إلى المستشفى قصيرة لا تستغرق سوى عشرين دقيقة. فبدأت تسارع لاكتشاف كل ما يمكن اكتشافه عن شخصية سائق التاكسي أكثر من نظرات عينية. والذي ربما يكون هذا الشخص هو مفتاح حريتها. ولما كان من الصعب عليها أن ترى وجهه

بالكامل لذا بدأت تدقق نظرها في شعره وأكتافه ويديه
فرأت شعره الأسود المصفف بعناية وكذلك يديه وأظافره
النظيفة مما يدل على أنه شخص أنيق ومنظم، وكانت هذه
بالنسبة لها علامة جيدة.

تحولت عيناها إلى تابلوه السيارة فوجدت عليه رخصة
مدون فيها بيانات عن السيارة وصاحبها، فالتقطت منها
اسم سائق السيارة ويدعى "أمين" ولم تستطع التحقق من
باقي الاسم نظراً لجلوسها في المقعد الخلفي. ولم تُرد أن
تظهر شغفها لقراءة باقي الاسم، فاكثفت بأن تعرف أن
اسمه "أمين... فلان" وتوسمت فيه أن يكون لها معه حياة
أفضل من الحياة البائسة التي تحياها في بيت والدها.

كانت أميرة مجبرة على التفكير بهذه الطريقة، فقد
كانت في صراع داخلي يومياً بسبب الظروف المحيطة بها
مما جعلها محطمة نفسياً، فحياة والدها الشيخ كانت معروفة
للجميع، إذ كان ملتزماً دينياً واجتماعياً في المجتمع الذي
يعيش فيه وبالتالي كان عليه أن يفرض قيوداً صارمة على
أسرته حتى يتفادى كلام الناس ونميتهم في المجالس
وبالأخص إذا انحرف أحد أبنائه عن قواعد الإيمان.

كان والد أميرة يشعر بالضغط الخارجية عليه من
الناس كل لحظة وكان يفعل كل ما بوسعه لينقل نفس
الضغط إلى زوجته وأبنائه. وهذا هو السبب الرئيسي
لدخول والدة أميرة إلى المستشفى. كانت أميرة تعلم علم
اليقين أن أمها تعاني من انهيار عصبي شديد رغم أن أحداً
لم يبخ لها بذلك، وقد رأت أميرة منذ طفولتها كيف كانت

عائلتها تدفع ضريبة الضغوط والقيود الصارمة التي كان
يفرضها والدها عليهم وبصفة خاصة على والدتها. كان
والدها يوقع بوالدتها أشد العقاب البدني والنفسي أمام أبنائها
الستة عند خروج الأبناء عن المسار الذي رسمه لهم
والدهم معتبراً أن والدتهم هي المخطئة وليس الأبناء .
هكذا ترعرعت أميرة على أن الزوجة تُضرب دائماً
حينما يحدث أي خطأ في المنزل حيث أنها المسؤولة عن
جميع الأخطاء. وقد رأت أميرة أن السباب واللعنات
بصوت مرتفع التي كان يطلقها والدها على والدتها، كانت
أقسى بكثير جداً من الإيذاء الجسدي الذي كان يوقعه على
والدتها. فعلى مدار التسعة عشر عاماً من عمر أميرة كانت
الأم المسكينة تتحمل ما لا يمكن وصفه من إهانة وضرب
أمام الأبناء الستة. وفي نهاية الأمر لم تستطع أن تتحمل
أكثر من ذلك فحدث لها ما حدث من انهيار عصبي.
كان ذهاب والده أميرة إلى المستشفى هو الفرصة
الوحيدة التي تخرج بها من المنزل. فقد قرر والدها منذ
بداية حياته الزوجية أن تكون زوجته في عزلة تامة عن
الناس وذلك تقادياً للشائعات سيئة السمعة التي يطلقها
الجيران، فتحت سقفه لا تستطيع أن تفعل شيئاً يخجله،
وهكذا كانت والده أميرة نادراً ما تخرج خارج منزلها،
بالإضافة إلى الشتائم والإيذاء الجسدي مما كان يصعب
معه أن تتحمل كل هذه الظروف الصعبة.
ولما شاهدت أميرة حياة الذل التي كانت تعيشها أمها
وتزداد ذلاً يوماً بعد الآخر، بدأت تطلب من الله أن

يساعدها على مستقبلها. ولما كانت الصلوات الخمس
فريضة إلزامية في منزل أميرة كانت تؤديها دون معارضة
بل تتخذ منها فرصة لتتضرع إلى الله من أجل زوج
المستقبل. فقد كانت بعد الانتهاء من الركوع والوقوف
والسجود وترديد الصلوات المحفوظة تظل ساجدة على
سجادة الصلاة بغرفتها داعية الله قائلة أرجوك يا الله أن لا
تعطيني زوجاً متديناً حتى التطرف مثل والدي بل أرجوك
يا الله أن تهبني زوجاً عطوفاً وذا قلب رقيق، وأرجوك يا
الله أن يكون زوجي لطيفاً وليس شتاماً وظالماً ويؤذيني
جسدياً وأتوسل إليك يا الله أن تهبني هذا وأعدك أن أكون
مطبعة لك كل أيام حياتي إن منحتني رغبتى هذه. وقد
أصبحت هذه الدعوات جزءاً من الفرائض الدينية اليومية
بعد الصلوات الخمس المفروضة، كما دفعتها هذه الدعوات
إلى التفكير في وسيلة للهروب من الواقع الأليم.
كانت أميرة تعلم أنه سيأتي الوقت سريعاً الذي فيه
سوف يختار لها والدها الزوج المناسب من وجهة نظره.
وقد كان أبوها عندما يرشح لها بعض الأسماء للزواج كان
ينتظر رد فعلها ليس قبولاً أو رفضاً لذلك الشخص بل كان
يتلذذ عندما يراها ترتعش والخوف يملأ وجهها من
الزواج، وكانت أمها تشاركها نفس مشاعر الخوف. وحيث
أن والد أميرة كان ذا مكانة مرموقة في المجتمع فقد كانت
عائلات كثيرة تريد الارتباط به، وأكثر الأسماء التي
ترددت كثيراً على لسان والدها هو اسم أحد أبناء زعيم
حزب البعث في بلدها. وربما كان والد أميرة معجباً بهذا

الشخص لأن والده كان له نفس المبادئ مع زوجته مثل مبادئه هو مع والدته أميرة. فزواج أميرة من هذا الشخص سيمد والدها بالدعم السياسي الذي يحتاجه رجال الدين. وبالطبع لم تكن أميرة تعلم أي شيء عن هذا الشخص سوى ما كانت تسمعه من السيدات اللاتي كن يزرن والدتها. فكل ما سمعته عنه هو أنه يبلغ من العمر على الأقل 40 سنة وهو ليس على درجة عالية من الثقافة بل هو فارس يريد الشهرة. وعلى الرغم من قلة المعلومات التي وصلت إليها عنه فإنها لم تجد فيه أي شيء يسعدها.

ماذا تفعل أميرة؟ كانت كلما تجلس منفردة في غرفتها تخطط لنفسها كيفية الهروب من هذا المأزق وذلك بطرق غريبة. فمثلاً كانت تفكر أنها لو تقابلت مع شخص مناسب في أي مكان حتى لو في التاكسي فسوف ترتب معه سراً للتلقي والهرب إلى أي مكان داخل أو خارج سوريا.

وكانت أميرة تحب أمها وغالبية اخوتها إلا أن فكرة عدم رؤيتهم ثانية في حالة هروبها لم تكن تخيفها بل كانت على أتم الاستعداد لتحمل أي مخاطر تجعلها تعيش حياة سعيدة. وبدأت أميرة تأخذ هذه الخطة للهروب مأخذ الجدية وخاصة بعد انهيار أمها ودخولها للمستشفى.

الفصل الثاني

بدأ اليوم كالمعتاد فقامت بمساعدة والدتها في غسل الأطباق بعد الإفطار، ولم يطلب أحد من أخوتها المساعدة كما لم يكن من المنتظر منهم المساعدة في المنزل بل على العكس كانت أميرة ترى أنهم يفعلون ما بوسعهم لزيادة الأعباء المنزلية على والدتها المريضة جداً .

حدث شيء ما تلك الليلة بين والدي أميرة مما جعل والدتها لا تتقوه بكلمة أثناء الإفطار وحتى أثناء وجودها في المطبخ مع أميرة، فعلى الرغم من أن والدتها أميرة كانت نادراً ما تتكلم في حضرة الرجال إلا أن أميرة تمتعت بفرص خاصة مع والدتها لاسيما في أثناء التجوال في الشقة للنظافة أو الطبخ في المطبخ، حيث كانت والدتها أميرة تشارك ابنتها الوحيدة القصص الخاصة بحياة الأحلام البعيدة المنزل. وقد كانت أميرة تعلم جيداً أن أمها تقص عليها هذه القصص لتسليتها والمحافظة على عقلها هي شخصياً (والدتها) من الانهيار. إلا أن صباح هذا اليوم كان يختلف تماماً عن باقي الأيام، فلم تكن هناك قصص أو كلمات بل كانت هناك عيون حزينة صامتة خالية من المشاعر.

حضر والد أميرة مسرعاً إلى المطبخ بعد ارتداء ملابسه متهياً لمغادرة المنزل، نظر إلى والدتها أميرة بنظرات قرف واشمئزاز قائلاً لها "لا تفعلي أي تصرف غبي بل حافظي على الأطفال في النهج المرسوم لهم،

وعندما أعود من شهر العسل فأنا أتوقع أن أجداك سعيدة وعلى أتم الاستعداد لاستقبال زوجتي الجديدة" وبهذا أنهى حديثه وأغلق الباب خلفه بشدة. وقفت أميرة مشلولة الحركة من هول الصدمة وهي تسمع كلمات والدها وسقطت والدتها مغشياً عليها على الأرض، وكان جسمها كله يرتجف، وعندما أدركت أميرة أن والدتها في غيبوبة استجدت باخوتها تطلب منهم استدعاء الطبيب.

نُقلت والدتها على الفور إلى أحسن مستشفى في دمشق، ولم تذهب مع والدتها إلى المستشفى خوفاً من والدها الذي لا يسمح لها بالخروج بدون إذنه، بل ظلت في المنزل مضطربة وخائفة على والدتها ومشحونة غضباً من والدها الذي هو السبب فيما حدث لوالدتها. ويبدو أن أشقاء أميرة يعلمون جيداً أين يعيش والدهم مع زوجته الجديدة وأخبروه بما حدث، فأسرع والد أميرة إلى المستشفى متظاهراً أمام الجميع أنه الزوج المحب لها والذي يخشى من حدوث مكروه لها، بينما هو في الحقيقة يستشيط غضباً منها حيث أنه يعتبرها هي السبب في إفساد يوم زواجه من زوجته الثانية. والأكثر من ذلك أخبره الطبيب بأن زوجته يجب أن تستمر في المستشفى لمدة أسبوعين أو ثلاثة، مما جعله يشعر بالإحباط حيث أنها بحاجة ماسة للراحة التامة مع العلاج المكثف. وبدأ يفكر والد أميرة في تدبير أمره لقضاء شهر العسل مع زوجته الجديدة بأن طلب من شقيقته أن تمكث مع أبنائه في المنزل وتمكث أميرة مع والدتها في

المستشفى حتى ما يتمكن هو من قضاء شهر العسل دون أي ارتباك.

كل ما يشغل فكر أميرة الآن وهي تجلس في التاكسي هو المستقبل الميرير الذي ينتظرها مثل أمها تماماً. فكيف يمكنها التحدث مع شخص غريب عنها تماماً دون الإساءة لسمعتها. فإذا ما وجه نظره إليها فلا يستطيع أن يرى سوى عينيها فقط حيث أنها منقبة كعادتها خارج المنزل. فالمرأة المنقبة تتعلم دائماً منذ حداثتها أن تتراقص بعيونها مع قلب الرجل. وفي صمت دعت أميرة ربها أن يجعل أمين هذا ينظر إليها ويقودها إلى الهرب المنشود لديها.

بينما كانت تراود أميرة بعض الأفكار عن كيفية بداية الحديث مع السائق التفت هو إليها ليلمح الراكبة معه، فعدد السيارات ازداد زيادة مضطردة في السنوات الأخيرة في سوريا وخاصة في المدن وعلى وجه الخصوص دمشق قد أصبحت قيادة السيارات فيها صعبة للغاية، فكان أمين ينتهز الفرصة وينظر إلى الراكبة معه أثناء توقف

السيارات في إشارات المرور وذلك بدلاً من النظر إلى الأمام. فعندما نظر إليها أول مرة في المرأة لم يستطع فهم أي شيء من خلال عينيها التي دلت على الجمال والوحدة. أما الآن فعندما حلق فيها مرة أخرى رأى في عينيها لهفة شديدة نحوه مما أصابه بقشعريرة قوية سرت بعموده

الفكري. وفي ذات الوقت الذي هو فيه يعلم تماماً المخاطرة عندما يبدأ في التحدث مع فتاة غير متزوجة ومنقبة فلن يخسر أي شيء فهو وحيد في حياته الآن بعد موت والدته

السنة الماضية، وهو أصغر أشقائه الثلاثة وأخواه الاثنين الأكبر سنّاً تركا سوريا منذ سنوات للدراسة خارج البلاد ولم يعودا مرة أخرى، وهكذا كان أمين وحيداً بدون أب أو أم في منزل العائلة بأطراف المدينة. وهو يريد الزواج لكنه لم يجد الفتاة المناسبة له. ولم يكن هذا الأمر من السهل إيجادها.

أما نظرات عيون أميرة الممتلئة بالأشواق العميقة جذبت أمين بطريقة عجيبة مما جعله يتحدث معها بطلاقة لم يعهدها من قبل، فسألها قائلاً: "إلى أي مستشفى ستذهبين؟" فردت أميرة بأفضل ما تملك من صوت ناعم "مستشفى الشامي".

فقال لها بشجاعة: "أتمنى ألا يكون أحد من عائلتك مريض." فأجابته أميرة قائلة: "إنها أمي - وهي مريضة جداً وستظل في المستشفى لعدة أسابيع قادمة، وعليّ أن أذهب إليها يومياً حتى ما أقوم بواجبي نحو احتياجاتها". رأى أمين أنه يجب أن ينتهز هذه الفرصة فقال لها: "هل تريدين أن أصطحبك إلى المستشفى في الذهاب والعودة يومياً؟" فأجابت أميرة بسرعة مذهلة "نعم وبكل تأكيد وهذا شعور نبيل منك.. أشكرك".

حينئذ فتحت إشارة المرور وكان على أمين أن يتحرك بالسيارة وينتبه للطريق أمامه ومع ذلك تمكّن أمين من النظر مرة ومرات في المرأة محاولاً اكتشاف ماذا وراء العيون الغامضة لهذه الفتاة. لقد رأى في عينيها الجاذبية والاحتياج الشديد، وشعر في الحال باحتياجها للعاطفة

وتمنى أن يعطيها إياها. وعلى أي حال فهو كان يخشى من مواصلة الحديث معها خوفاً من إظهار شغفه لها. وفوق هذا كله أخذ يفكر مع نفسه حيث أنه لا يعرف أي شيء عن هذه الفتاة، لكنه أخذ على عاتقه تحمل نتيجة العقاب الذي سيحدث من أهلها في حالة معرفتهم بأنه هو السائق الذي سيقوم بمهمة توصيلها يومياً .

أميرة أيضاً كانت تخشى من الحديث معه حيث أنها شعرت أنها قالت له الكثير، لكنها رأت الشفقة في عينيه ومن الواضح جداً أنه كان حساساً لاحتياجها لأن يعرض عليها أن يقوم بتوصيلها صباحاً ومساءً. وتذكرت أميرة أيضاً المصير الذي سينتظرها وهي تعلم تماماً أن هذه هي فرصتها للحرية. ورغم إدراكها أنها تخاطر ولا تعلم ماذا يخبئ لها المستقبل لكنها شعرت بأن الله قد سمع لصلواتها. ولم تعطِ اهتماماً لقلّة حديثها مع أمين حيث أنها ستراه مرة أخرى. والآن قد بدا لها في الأفق طريق للهروب فعلى الأقل لديها أسبوعين لترى كيف ستسير الأمور.

ما أن وصلا إلى المستشفى وتوقفت السيارة حتى أدار أمين وجهه ونظر إلى أميرة مباشرة وأحمر وجهها خجلاً عند اقتراب وجهه إليها. فمدت يدها لتعطيه الأجرة، فلمس يدها برفق تاركاً يده للحظة فوق يدها وتلاقت عيونهما فشعر كل منهما بنظراته للأخر منذ أن ركبت أميرة السيارة. فسحب أمين يده بسرعة من فوق يدها قائلاً لها: لا أستطيع أن آخذ منك النقود، لكن احتفظي بها لنفسك لربما

تحتاجين إليها لمساعدة والدتك، وما الوقت الذي تريدين فيه
أن أحضر لك مساءً للعودة؟

قالت أميرة: "يجب على أن أترك المستشفى الساعة
السابعة مساءً.. أشكرك على رقتك والله يباركك بكثرة."
وبينما كانت أميرة تخطو خارج التاكسي نظرت إليه
مرة أخرى فبادرها أمين بالسؤال "أريد أن أعرف
اسمك".

فهمست له قائلة: "أميرة" واتجهت إلى المستشفى.

الفصل الثالث

دخلت أميرة إلى صالة الانتظار بالمستشفى وهي مقطوعة النفس فجلست بسرعة على أقرب كرسي لها لكي تستجمع قواها وأفكارها قبل الحديث تليفونياً مع أخيها الأكبر حيث أنها لا تريد أن تجعل أحداً من أفراد عائلتها يشك في أي شيء، لذلك أخذت وقتها الكافي لالتقاط أنفاسها والبحث عن تليفون. ويمكنها أن تستعيد ما حدث بينها وبين أمين عندما تجلس بجوار أمها في السرير. وعندما تحدثت إلى أخيها في التليفون بادرها بالأسئلة والاستفسارات عن رحلتها للمستشفى تماماً مثلما يفعل أبوها معها، فقالت له أميرة أن الطريق كان مزدحماً ولم يحدث أي أمر غير معتاد كما أنها ستغادر المستشفى الساعة السابعة مساءً حسب توجيهاتهم لها.

ولما أنهت أميرة المكالمة التليفونية مع أخيها توجهت على الفور إلى غرفة والدتها غير عالمة ماذا ستجد هناك. لم تدخل أميرة أي مستشفى من قبل كما أنها لم تكن تفضل البقاء بجانب المرضى كثيراً. فعندما دخلت حجرة والدتها المريضة شهقت بصوت مرتفع عندما رأت والدتها الحبيبة مستلقية على فراشها دون حراك أو أي إشارة تدل على الحياة بل رأت عدة أنابيب مطاطية تتصل بجسدها فتسمرت أقدامها متجمدة تماماً حيث إنها لا تدري ماذا تفعل حتى أتت الممرضة. فقالت لها الممرضة: "اجلسي يا

عزيزتي.. لا تخافي فإن والدتك ستكون على ما يرام وهذه
الأنابيب لإمدادها بالعلاج اللازم لشفائها."

بدأت أميرة تستعيد قوتها تدريجياً إلى أن تماسكت مرة
أخرى وتمالكت أعصابها عندئذ سألت الممرضة: "ماذا
يمكنني أن أقدم من مساعدة" فأجابت الممرضة: "أن أهم
مساعدة يمكن أن تقومي بها هي أن تتحدثي معها برفق
وبهدوء".

سألت أميرة الممرضة بصوت أجش مرة أخرى قائلة:
"هل ستتحسن صحة أُمي؟" فأجابت الممرضة: "ستخبرنا
الأيام القادمة عن إمكانية تحسينها فإن والدتك تلقت صدمة
رهيبية وهي الآن في حالة صحية متردية جداً، وتحتاج
بالدرجة الأولى إلى راحة تامة."

أحضرت أميرة معها بعض احتياجات والدتها
الشخصية التي تحتاجها في فترة إقامتها بالمستشفى، وبدأت
تضع هذه الأشياء في أدراج الدولاب الصغير بالغرفة
الكنيبة. لاحظت أميرة أن شعر والدتها الأسود الجميل
والطويل غير ممشط ومتشابك فبدأت على الفور في
تمشيطة بلطف كما كانت تتحدث معها أثناء ذلك بهدوء
ورقة قائلة: "أنا أحبك يا ماما.. سأكون هنا معك كل يوم
وسأطمئن علي أنهم يهتمون بك هنا... أنا أعلم تماماً أنك
ستشفين وستتحسن صحتك.. وعن قريب جداً سوف تقصين
عليّ قصصك الخاصة معي... أنا محتاجة إليك يا ماما فلا
تتركيني". لم تجاوب الأم بأي إجابة ولا حتى رد فعل على
هذه الكلمات. وهنا لم تستطع أميرة أن تتحمل هذا الموقف

أكثر من ذلك ففي داخلها قلب يتأجج بالكراهية نحو أبيها
لما تسبب فيه من إيذاء لأمها وصلّت إلى الله أن يساعد أمها
أيضاً في الهرب من الإيذاء الجسدي والإهانة.

بعدما عملت أميرة كل ما هو ضروري لأمها جلست
مسترخية على الكرسي وبدأت تعاودها أفكارها عن سائق
التاكسي وتسترجع كل أحداث الرحلة القصيرة من منزلها
إلى المستشفى، فكانت تري عينيه وتسمع صوته وتحس
بلمسة يديه وكانت تسأل نفسها "هل كان هذا حقيقة أم
خيال؟ وهل الله حقيقة ينقذني بهذه الطريقة؟".

وعندما تذكرت أنه عرض عليها العودة لها مرة أخرى
في المساء بدأت تتسأل في ذهول "هل سيأتي فعلاً؟"
وشعرت أميرة أن عليها أن تنتظر وقتاً طويلاً حتى يأتي
المساء، فكيف يمكنها الانتظار طويلاً.

ولما كانت الممرضات يدخلن حجرة والدة أميرة
باستمرار لملاحظتها والعناية بها تعلمت أميرة الكثير منهن
عن العناية بوالدتها وهكذا مر الوقت سريعاً وقبل أن تترك
أميرة المستشفى بنصف ساعة بدأت تنظر في المرأة
وتحاول أن تكون أكثر جاذبية حتى وهي ترتدي النقاب،
وتذكرت أنها أحضرت معها لوالدتها زجاجة العطر
المفضل لها، فاستخدمت هذا العطر لتعطر نفسها به،
وعندها بدأت تسأل نفسها عن كيفية التخلص من هذه
الرائحة قبل دخولها إلى المنزل حيث أن والدها لم يسمح
لها مطلقاً باستخدام العطور من قبل، وذلك لأن العطر ينتج
إثارة للرجال فالنساء الفاضلات يضعن العطر في المنزل

مع أزواجهن فقط، فلذلك قررت أن تأخذ معها قطعة من القماش المبلل لكي تزيل بها آثار العطر قبل دخولها للمنزل أمله أن تنجح هذه الخطة.

قبلت أميرة والدتها بلطف وهمست داعية لها بالشفاء وتركتها وهي نائمة تماماً من كثرة المسكنات التي تأخذها. فلذلك لم تتلق منها أية إجابة عند تركها. عدلت أميرة ملابسها جيداً وبدأت تنزل السلالم وهي غير متأكدة ماذا سيحدث معها بعد، فقد كانت مشاعرهما متضاربة ما بين الخوف والفرح وهي تنتظر وصول أمين إليها.

اتخذت أميرة خطواتها إلى خارج المستشفى وذهب خوفها بمجرد أن رأت أمين يقف بجانب التاكسي في مكان واضح وفي انتظارها، فابتسمت أميرة بمجرد رؤيته وهي مفتونة بطوله الفارع وبنية جسمه الصحية. ومن الواضح أيضاً أن أمين أخذ وقته لينعش نفسه ويهضم ملابسه قبل أن يأتي ويصطحب أميرة في رحلة العودة وحتى يبدو للأميرة وكأنه أكثر شخص وسيم ومهذب في دمشق كلها.

لما رأى أمين رد فعل أميرة الإيجابي له ابتسم لها وحياتها قائلاً: "إن شاء الله تكون والدتك في تحسن". أجابت أميرة قائلة: "الحمد لله.. هي في راحة.. وأشكرك لحضورك لتأخذني لرحلة العودة."

استقلت أميرة التاكسي الأصفر وعلى الفور اشتمت الرائحة العذبة لماء الورد الذي عطر به أمين سيارته، وبسرعة ركب أمين خلف عجلة القيادة، وبدأت أفكاره تتخبط فيما يمكنه كيف يبدأ الحديث مع أميرة وفي أي

موضوع...!. وعلى الرغم من أن أمين لم يستطع أن يرى سوى عيون أميرة إلا أنه شعر بأنها جميلة وجذابة من خلف النقاب والعباية. وكذلك عندما سمع صوتها وكلماتها معه شعر بأنها إنسانة رقيقة وحساسة.. وهكذا راقبت أميرة في عينيه بكل هذه الصفات المحتملة.

وعند بداية رحلة العودة التي تستغرق عشرين دقيقة لم يتحدث أحد منهما مع الآخر بل غاص كل منهما في أفكاره الخاصة، ومع ذلك فكان عليهما أن يتحدثا قبل فوات وقت الرحلة القصير. عندئذ قرر أمين أن يسأل أميرة سؤالاً مباشراً فقال: "هل أبوك لا يأتي لرؤية أمك في المستشفى؟" أخذت أميرة على غرة من هول المفاجئة لهذا السؤال المباشر وأجابت بلهجة حادة قائلة: "لا لم يحضر حيث أن شهر العسل مع زوجته الجديدة أهم بكثير من صحة أمي المريضة والمخلصة له."

إجابة أميرة هذه أظهرت لأمين الكثير عن مدى الحزن العميق الذي تحمله أميرة بداخلها فأدرك على الفور أنه لا يوجد شخص تستطيع أميرة أن تحكي معه فبادرها بالقول: "أنا أعلم تماماً مقدار الجرح العميق الذي فيك وأنا أصلي إلى الله أن يمنحك القوة لكي تستطيعي أن تهتمي بوالدتك في هذه الفترة العصيبة."

كانت لكلمات أمين هذه صدى طيب لأذان أميرة حيث أنها لم تسمع قط مثل هذه الكلمات من أحد أفراد أسرتها ما عدا أمها. وذلك مما جعلها تشعر بالقرب والمحبة أكثر لأمين ... سائق التاكسي.

عندما رأى أمين نظرات التقدير في عيون أميرة تجرأ أكثر وقال لها: "أنا هنا لمساعدتك طوال فترة اصطحابك من وإلى المستشفى وسأكون كلي آذان صاغية لك."

سرحت أميرة بخيالها "هل يمكن أن تكون هذه الكلمات الحلوة حقيقة وهل يمكن أن تصدر من رجل وأيضاً مسلم؟! " فلم تقابل أميرة في حياتها قط أي رجل يتكلم بلطف مع أي امرأة ممن تعرفهم من غالبية أقاربها. وعلى الأقل لم تسمع كلمات مثل كلمات أمين.. وقد سبب لها هذا الأمر رعباً شديداً حيث إنها لم تستطع أن تصدق أنه يوجد إنسان يتكلم بمثل هذه الكلمات على الأرض، فخافت من أن يكون أمين يخطط لها كيف ينتهز الفرصة لخداعها واستغلالها سراً. وعلى الرغم من أنها كانت تتوق لتصديقه إلا أنها لم تستطع ذلك فالتزمت الصمت. وشعر أمين بهذا التغيير الذي طرأ على أميرة وحيث أن الوقت قصير للوصول إلى منزل أميرة وأنه يريد أن يحظى مرة أخرى بلقائها في اليوم التالي فلذا فكر في تغيير موقف أميرة من ناحيته فبادرها بالقول: "أنا متأسف حيث أنني أتكلم معك بحرية شديدة يا أختي فمن فضلك سامحيني إن كنت قد ضايقتك فأنا لا أقصد أن أسبب لك أي أذى". أجابت أميرة وهي تنظر إليه وعينيها مغروقة بالدموع وقالت "معلش."

وعندما نظر أمين ورأى دموع أميرة انتحى جانباً من الطريق وتوقف على الفور وأدار وجهه لينظر إليها مباشرة وقال لها: "أنا لا أستطيع أن أجرحك يا أميرتي

فإنك في يوم واحد سلبتي قلبي فكل ما أردته هو أن أواسيك في وقت حزنك هذا."

جفت أميرة دموعها وقالت له: "أنا أعلم هذا, فقط سامحني من أجل شكى فيك.. وهذا حيث أنني لا أعرفك جيداً وكل معرفتي عن الرجال سلبية.. فمن فضلك تأكد أن كلماتك لم تجرحني أبداً."

ينظر إليها مطلقاً خوفاً من أن يراه أحد أفراد عائلتها أو جيرانها وقال لها "سأراك في الصباح في نفس الموعد.. أليس كذلك؟".

أجابت أميرة "نعم.. سأكون هنا لكن من فضلك لا تُظهر لأحد أنك في انتظاري فأنت تعلم أن الشارع يتحدث.. ومن فضلك لا ترفض أن تأخذ الأجرة أمام منزلي حتى لا تدع مجالاً لأحد أن يشك أو يظن في شيء، فأنا لا أريد فضيحة لأسرتي لاسيما في هذا الوقت بالذات."

أجاب أمين "أنا متفهم تماماً، سأراك في الصباح."

غادرت أميرة السيارة بسرعة بعد أن دفعت الأجرة، وأسرعت إلى منزلها بالدور الثالث متظاهرة بأنها تبدو طبيعية في تصرفاتها على الرغم من أن بداخلها عواطف متأججة، وسألها أخوها مرة ثانية عن رحلة عودتها وكيف حال أمها الآن. فأخبرته أميرة عن ما حدث في المستشفى طوال اليوم مع أمها وأضافت أنه لم يحدث شيء غير عادي في رحلة عودتها .

وبالرغم من أنها تعاني من التعب الشديد من جراء ما حدث معها طوال اليوم إلا أن عمتها أصرت على استدعائها على الفور لمساعدتها في أعمال المطبخ لتحضر وجبة العشاء لأفراد عائلتها. وبالرغم من أن عمتها هذه لم تكن هي المحببة لها إلا أنها تستطيع أن تتحملها على الأقل في الساعات القليلة التي ستتواجد فيها في المنزل في المساء بعد عودتها من المستشفى.

حالما تريد أميرة أن تنفرد بنفسها فهي تذهب إلى حجرتها الخاصة بها وهذه هي الميزة الوحيدة لها لكونها بنت وحيدة. وعلى الفور عندما دخلت أميرة إلى حجرتها الخاصة اتخذت وضع الصلاة الذي فيه توجه نظرها إلى اتجاه المدينة المقدسة مكة، وبعد تأدية شعائر الصلاة ظلت راکعة على ركبتها وابتدأت تسكب قلبها أمام الله، ولم يخبرها أحد من قبل أن الله يسمع لصلاة فتاة صغيرة، لكنها كانت تشعر بطريقة أو بأخرى أن الله سوف ينظر إلى حالتها التي يرثى لها بعين الشفقة ويسمع لها.

وعلى الرغم من علمها بأن كل ما فعلته مع أمين كان مخالفاً تماماً لقواعد الدين الإسلامي إلا أنها لم تستطع إلغاء فكرة أن الله هو الذي سمح بهذا اللقاء.

"لماذا يُحرم الحب بين رجل وامرأة؟!"

سألت أميرة نفسها... ما هذه الفكرة؟... أي حب هذا الذي ينشأ في يوم واحد بل في أقل من ساعة واحدة من معرفة هذا الشخص... فهل يمكن لأميرة أن تفكر في أن تحب أمين...؟!

ونتيجة لهذه الأفكار المتضاربة التي كانت تدور في رأس وقلب أميرة الصغيرة بينما كانت تصلي وهي تحاول أن تستوعب بعقلها وعواطفها الجياشة تحولت صلواتها إلى ينبوع غزير من الدموع. فقد كانت تتمنى أن تجد شخصاً واحداً تستطيع أن تثق به وتأتمنه على أسرارها فيعطيهما النصيح والمشورة لكن لم يخطر أحد ببالها، فبنات أعمامها وبنات خالاتها وصديقاتها لا يوجد بينهم من يفهمها أو يكون مصدر ثقة بالنسبة لها. وإن صديقتها الوحيدة التي تأتمنها على أسرارها هي أمها التي في المستشفى الآن. فهي الآن وحيدة تماماً، ويجب عليها أن تعتمد اعتماداً كلياً على إرشاد الله لها. وبدا أمامها كل نظرة وحديث ولمسة يد من أمين لها أثناء الفترة القصيرة لرحلتي الذهاب والعودة من وإلى المستشفى. فهل هناك أي شيء يدل على عدم أمانة أمين معها...؟! وهل رأت فيه أي إشارة لهدف خاطئ...؟!

لم تجد هذا ولكنها تعلم جيداً أنه يجب عليها أن تعرف عنه المزيد قبل أن تفكر أو تعزم على ترك أسرتها من أجله. وطرأت فكرة أخرى على أميرة.. ماذا يحدث لو لم يكن هو يريد هذا فعلاً؟... ماذا يحدث لو لم يكن في استطاعته أن يأخذها كزوجة له منقذاً إياها من إيذاء عائلتها لها؟! فهل تضيق كل مجهوداتها هذه هباءً؟... وإذا كانت تراودها هذه الفكرة كانت تشعر بنفس درجة الألم الذي شعرت به حينما كانت في التاكسي معتقدة أنه سيستغلها ويخدعها.

قامت أميرة من صلاتها وجلست على سريرها عازمة
على أن لا تُظهر لأمين أي عاطفة حتى تعرف عنه الكثير،
وعن حقيقة أهدافه. فلا بد أن هناك هدفاً ما من وراء
اصطحابها يومياً بالرغم من أنه لا يعرفها من قبل. ثم
صلت صلاة قصيرة مرة أخرى تدعو فيها الله أن تكتشف
هذه الحقيقة بسرعة وفي أقصر وقت ممكن.

الفصل الرابع

بينما كانت أميرة تحاول بصعوبة أن تنام في هذه الليلة فإن أمين لم يحاول حتى أن ينام, حيث لم يتمكن من إيقاف عقله الباطن في استعادة صوتها الحلو وعينيها الجميلتين. فكلماً تذكر أحداث هذا اليوم أخذ يضحك في داخله على شجاعته وتهوره فيما فعله مع أميرة.

ماذا كان يدور بداخله...؟

هل لم يكن يعلم أنه من السهل جداً قتله بسبب هذا الارتباط البريء المتبادل بينهما؟

نعم كان يعلم جيداً ولكنه لم يستطع من أن يمنع نفسه من أن يأخذ هذه المخاطرة. فبعد لقائه مع أميرة في ذلك الصباح استمر أمين في عمله في اصطحاب الركاب في التاكسي بينما ظل طوال الوقت يفكر جيداً هل يعود لأميرة في المستشفى مساءً لاصطحابها في العودة أم لا؟ وبينما هو يصارع مع نفسه كان يسترجع عينيها التي تنشد الراحة. فعلم من أول لقاء معها أنها وحيدة في هذا العالم ولا يوجد من يشجعها أو يواسيها فلذلك لم يستطع أن يخذلها فلذا قرر العودة إليها في المساء.

أما في اللقاء الثاني فقد اكتشف أمين الكثير عن هذه الفتاة الغامضة، فأدرك تماماً أن والدتها تعاني من انهيار عصبي وهذا ما كان يحدث باستمرار بين العائلات. فإن أمين يعرف كثيرين من الرجال الذين يتخذون لأنفسهم

زوجة ثانية فقط لكي يقود زوجته الأولى إلى حالة من الجنون والتهور في تصرفاتها .

أما أمين فكان قد نشأ في بيت تسوده المحبة بين والديه، فأبوه لم يكن من الأغنياء لكنه كان متعلماً وأحب أمه محبة صادقة ووهبها الاحترام لمكانتها ودورها المهم جداً في الأسرة. فقد كانا معاً يعملان كفريق واحد بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ، ولم يخجل أبوه ذات يوم أن يُظهر هذه العلاقة مع زوجته أمام الآخرين. وكانت هذه العلاقة تمثل صدمة للكثيرين لما فيها من مكانة لائقة للمرأة في المنزل ومساواتها إنسانياً بالرجل .

وبالنسبة لأمين فكانت علاقة أبوه وأمّه مثل ميراث باقٍ له يدوم ويستمر معه في حالة زواجه من أي فتاة. وأحد الأسباب التي أدت إلى هجرة شقيقه وشقيقته هي أنهما نشأوا وترعرعا في أسرة متماسكة وكل أفرادها متعلمون ويحترمون بعضهم البعض في مجتمع متحفظ ينذر وجود مثل هذه العائلة فيه. فكلما تقدم بأخيه وأخته العمر مقبلين على الزواج كانا يجدان أنه من الصعب عليهما أن يجدا شريك الحياة المناسب الذي يتفهم المبادئ التي نشأوا عليها في عائلتهم وحينما سنحت لهما الفرصة للدراسة خارج البلاد غادرا سوريا على الفور ومع الوقت وجد كل منهما شريك حياته المناسب الذي له نفس المبادئ وارتبط به. أما أمين فاختر أن يبقى في سوريا ليتمكن من رعاية والدته التي لم يكن من السهل عليها أن ترى أبناءها يرحلون بعيداً عنها.. وبالأخص بعد موت زوجها لم يعد

هناك أي شخص يمكنها الاعتماد عليه سوى أمين، ولتسديد احتياجات والدته وإعالتها قرر أمين أن يعمل سائق تاكسي. وقد أعطت له هذه المهنة فرصة أكبر من الحرية. وهي من أفضل المهن التي تدر دخلاً كبيراً لصاحبها في تلك المدينة وأكبر بكثير من دخل معظم الأطباء والمحامين. كما أتاحت هذه المهنة له فرصة الالتقاء المستمر بالناس حيث أنه يحب أن يتكلم كثيراً.. فموت والدته ترك فراغاً كبيراً في حياته وهو ما يتمنى الآن أن يملأه بالزواج. فلماذا يفكر الآن في أن أميرة يمكنها أن تملأ هذا الفراغ؟ هل بسبب إجابتها لسؤاله عن أبيها.. فماذا قالت؟ فتذكر أمين إجابتها وهي تقول: "لا فإن شهر العسل مع زوجته الثانية أهم بكثير من صحة والدتي المريضة المخلصة..." ثم ذكرت له بعد ذلك أن معرفتها عن الرجال سلبية في هذه النقطة. فهذه الفتاة لم تكن تعرف شيئاً عن الرجال سوى التجريح والإيذاء الجسدي.

كان أمين قادراً على إظهار المحبة والمساواة لها حيث أنه كان متيقناً أن هذا هو الشيء الذي تفتقده وتبحث عنه هذه الفتاة. وعلى العموم فأمين كان يفكر ما هي الخطوات التي يجب أن يتخذها بعد ذلك؟ فالتحرك للأمام يمكن أن يكون بالغ الصعوبة. فهل يستمر في التقرب إليها بأسلوبه المباشر أم يترك لها المبادرة؟ وإذا علم أمين بأن وقته محدود فتمنى أن تتاح له الفرصة لقضاء عدة ساعات في جلسة واحدة مع أميرة حتى ما يتعرف عليها أكثر ويتحدث معها عن أحلامه .

وفجأة تحدث أمين بصوت مسموع وقال: "ما الذي أفكر فيه؟ فأني لا أعلم إلا اليسير جداً عن هذه الفتاة وأريد أن أخطر بقضاء ساعات معها وأشاركها بأحلامي...؟! ... أمين لا بد وأنتك جننت."....

يجب عليه أن يتروى ويتقدم ببطء نحوها حتى لو كان الوقت محدوداً فلو كانت هذه هي مشيئة الله فسيدهما بالكلمات والوقت الذي يشاركان فيه بهذه الكلمات. ولكن بالنسبة للغد فسوف يسمح لها أمين ببدء الحديث...

الفصل الخامس

هناك مقولة مشهورة "لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن" بمعنى أنه لا تحدث الأشياء كما يخطط لها المرء. وهذا ما حدث مع أميرة وأمين في اليوم الثاني. فبعدما ارتدت أميرة ثيابها باعتناء شديد وحاولت أن تظهر برائحة نظيفة حيث أنه غير مسموح لها أن تستخدم أي عطور، قالت لعمتها "مع السلامة".. ونزلت أدراج السلالم متجهة إلى الشارع وكلها أمل في أن تقابل أمين. إلا أن أخاها الأصغر محمود لحق بها في نهاية السلم قبل خروجها للشارع مباشرة وعرض عليها المساعدة في إيقاف تاكسي.

حاولت أميرة أن تحتفظ بصوتها الهادئ وأجابته قائلة: "إن هذا لطف كبير منك يا أخي الصغير، ولكنني أستطيع إيقاف التاكسي بنفسي."

لسوء الحظ لم تتمكن أميرة من التهرب من أخيها حيث أنه أسرع في خطوته إلى رصيف المشاة وعندما رآهما أمين من ناصية الشارع أدار محرك سيارته متوجهاً ناحيتيهما إلا أنه كان يمر بنفس الطريق تاكسي آخر وتخطي أمين فأشار له محمود فتوقف وركبت أميرة التاكسي على غير رضاها ونظرت خلفها فوجدت أمين يتبعها بسيارته، فلوحت بيديها لأخيها وانطلق التاكسي وحينئذ تضاربت الأفكار في رأس أميرة عندما سألها سائق التاكسي عن المكان الذي ستذهب إليه، فنظرت خلفها مرة أخرى فرأت أمين مازال يتتبعها فقررت أن تأخذ المخاطرة

وتنزل من التاكسي، فطلبت من سائق التاكسي أن يتوقف
عند سوق الحي وهو على بعد عدة مباني من منزلها.
فأسرع إلى السوق حيث أنه كان منزجاً لوجود فتاة
بمفردها معه في السيارة، فأعطته أميرة الأجرة ونزلت من
السيارة، وابتدأت تنظر حولها في حذر شديد لتتأكد من أنه
ليس أحد من أفراد عائلتها أو جيرانها يراها وابتدأت تسير
عدة خطوات على قدميها إلى أن توقفت على جانب
الطريق وتوقف أمين بجانبها فقفزت بسرعة داخل سيارته.
على عكس ما كان أمين وأميرة يخططان بادر كل
منهما بالحديث مع الآخر بمجرد أن ركبت التاكسي. وأخذ
أمين المبادرة قائلاً لها: "صباح الخير.. أنا كنت خائف من
أن لا أستطيع أن أري عينيك الجميلين وأسمع صوتك
الرقيق. فأنا لا أود أن يصطحبك سائق آخر، وأخشى من
أن يؤذيك أحد منهم. وأنا أعلم تماماً أنه لم يكن بمقدورك
تجنب ما حدث هذا الصباح. وأنا أشكرك لأنك أعطيتني
الفرصة لاصطحابك للمستشفى. إنك لبارعة جداً."
قالت أميرة في جراءة: "إن الله هو الذي يعطينا الحكمة
في التصرف في مثل هذه المواقف.. على أية حال فإن هذا
يُبعد الشك والريبة من عيون أخي. أنا أيضاً سعيدة لرؤيتك
هذا الصباح وأتمنى أن تكون أخذت قسطاً كافياً من
الراحة."

تمنت أميرة أن تسترجع كلماتها الأخيرة وندمت على
ما قالته حيث أنه في مفهومها حرام أن تتحدث مع رجل

غريب وتسأله عن نومه، لكنها كانت شغوفة أن تعرف هل كان لديه صعوبة في النوم الليلة السابقة مثلما حدث معها؟
شعر أمين بارتباكها وشغفها في ذات الوقت فقال لها:
"لا يأتي النوم عند التفكير في مثل هذه المخاطرة، ولكن كما قلت أنت أن الله يعمل لخيرنا حتى يجنبنا الوقوع في الخطر". تنفس أمين بعمق واستمر في الحديث: "أنا أريد أن أعرف عنك المزيد يا أميرة إذا كنت ترغبين في ذلك حتى يمكننا أن نقرر هل نستمر في علاقتنا أم لا، لأنه كما قلت لك إن المخاطرة كبيرة ويجب أن أعرف لمن أخطر أنا؟".

بينما كانت أميرة دائماً ما تُصدم من صراحته إلا أنها كانت دائماً شاكراً وممتنة لأجل صراحته. فأجابته قائلة
"إن الله تولي الأمر فجعل أفكاري مثل أفكارك تماماً. وأنا استودعت حياتي بين يديك في مخاطرة كبيرة. لكنني أحتاج أن أعرف المزيد عنك حتى يمكنني أن أستمر."
لم يكن هذا الحديث حسبما توقع كل منهما إلا أنه كان محققاً تماماً لرغبتهما، واستراحا معاً للصراحة المتبادلة بينهما المشجعة لاستمرار علاقتهما معاً. واستطرد أمين في الحديث قائلاً "يمكنك يا أميرة أن تسأليني أي سؤال تريدين به معرفة أي شيء عني وسأخبرك بكل شيء بصراحة."

وعلى الرغم من أن أميرة كانت تريد معرفة الكثير عن أمين إلا أنها لم تعرف من أين ولا كيف تبدأ. فلم يسبق لها مطلقاً أن سألت رجلاً عن حياته الشخصية. كما لم تعلم ما

هو المناسب وما هو غير المناسب. حينئذ أدركت أميرة أن كل ما فعلته حتى الآن كان غير مناسب من وجهة نظرها فلماذا تتأثر بهذا الأمر! فكرت أن أسهل وأضمن طريقة لبداية تساؤلاتها هي أن تسأله عن عائلته وبالفعل بادرت به بالسؤال "هل يمكن من فضلك أن تخبرني عن عائلتك؟" ولأن أمين يحب عائلته جداً فكان من السهل عليه إجابة هذا السؤال.

"إن عائلتي رائعة جداً فولدي ينحدر من قرية صغيرة على الساحل وانتقل إلى دمشق ليلتحق بالجامعة وعلى عكس معظم العائلات كان والداه يشجعانه على الاضطلاع فدرس الأدب الإنجليزي والتاريخ إلى أن أصبح أستاذاً جامعياً في الأدب الإنجليزي والتاريخ. وكان محبوباً جداً من الطلبة الذين كانوا يتلقون منه العلم. ولأنه كان كثير الإطلاع فكان متفتحاً على العالم الخارجي. لذا كانت آراؤه متأثرة بالفكر الغربي. ولم يحالفه الحظ أن يعيش خارج البلاد إلا أنه كان يحيا حياة مختلفة متأثراً بدراساته فتزوج والدتي بعد أن أصبح أستاذاً جامعياً وكانت هي من عائلة مثقفة في دمشق. وقد كانت والدتي إحدى طالباته التي كانت تدرس الإنجليزي، ولذا كان لهما نفس الآراء والأهداف المشتركة. فأنا أحد ثلاثة أبناء ونشأنا ونحن نرى نموذجاً للحب الحقيقي بين أبي وأمي. وهذا ينذر وجوده في مجتمعنا هذه الأيام..."

أومات أميرة برأسها بالموافقة. واستمر أمين قائلاً "أعرف الكثير من أصدقائي الذين يعيشون في أسر بائسة

وتعيسة، وأما والداي فكانا يتعاملان مع بعضهما بالاحترام
والمساواة الحقيقية في كل علاقتهما حتى عندما كان
يعترض بعض الأصدقاء والأقارب على هذه المعاملة
الطيبة بينهما لم يكثرثا لأحد، حيث أنهما قررا منذ بداية
زواجهما أن لا يخضعا لأي ضغوط خارجية تحاول أن
تجعلهما أن يشاكلا نموذج المجتمع الذي يعيشان فيه فقد
أرادا أن يختبر أبناءهما العيش في حب وحرية."

بينما اقتربا إلى المستشفى استمر أمين في حديثه:
"ولكن الحرية دائماً لها ثمنها فإن أخي وأختي حينما اقتربا
لسن الزواج وجدا أنه من الصعب جداً أن يجدا شريك
الحياة المناسب في هذه البلدة، وحيث أن والدي كان
يشجعهما باستمرار على القراءة والاطلاع مما جعل
ذهنهما متفتحاً وهذا أدي لترشيحهما للحصول على
دراسات عليا بالخارج. وبالفعل سافرا إلى أمريكا للدراسة
وهناك تزوجا ولم يعودا مرة أخرى إلى سوريا. وعلى
الرغم من أنه كان من الصعب على والداي أن يتركا
أبناءهما ولا يعودوا مرة أخرى إلا أنهما كانا متفهمين جداً
للظروف التي أدت إلى زواجهما في أمريكا وإقامتهما
الدائمة هناك."

استمر أمين في الحديث: "كان من الممكن لي أن
أهاجر من البلد إلا أنني قررت البقاء بجوار أمي وخاصة
بعد وفاة والدي حيث أنني أصبحت السند الوحيد لها.
وعندئذ اكتفيت بالدراسة هنا والبحث عن عمل يدر لي
 دخلاً أستطيع به أن أعول أمي. وأما موضوع زواجي فلم

أكن أفكر فيه كثيراً وخاصة بعد ما رأيت المعاناة التي
عاناها أخي هنا فلذا استودعت هذا الأمر في يدي الله."
كان من الصعب على أميرة أن تستوعب هذه القصة
الساحرة وابتدأت تدور في ذهنها آلاف الأسئلة. وعندما
توقف أمين عند المستشفى لم تدر أميرة ماذا تقول لأمين،
ومن حسن حظها أنه توقف في تلك اللحظة عند المستشفى
وسيكون لديها متسع من الوقت طوال اليوم لتسترجع
كلماته. ولم تستطع أن تقول لأمين عند نزولها من السيارة
سوى: "أشكرك من أجل صراحتك"، فأجاب أمين:
"سأراك في المساء" ثم افترقا مرة أخرى.

الفصل السادس

عندما رأت أميرة والدتها في اليوم الثاني كانت غارقة في تفكير عميق بسبب الكلمات التي سمعتها على التو من أمين. إلا أنه كان يجب عليها أن تلقي هذه الكلمات وراء ظهرها لتستبدل بدلاً منها الجانب المحزن من حياة أمها المريضة. فأمها مازالت ترقد بلا حراك وتحت تأثير المسكنات والمهدئات الكثيرة. وهي تبدو أمام أميرة أنها مجرد الهيكل الخارجي للمرأة التي عرفتھا.

بدأت أميرة على الفور في تصفيف شعر والدتها برفق واستحمامها. وتذكرت أثناء ذلك كلمات أمين "... بعد وفاة والدي أصبحت أنا السند الوحيد لها..." وعندئذ فكرت أميرة "علي من يمكن لأمي أن تعتمد عليه غير ابنتها الوحيدة...؟" ثم همست: "كيف يمكن أن أتركك يا أمي العزيزة؟".

بدأت أميرة في استعادة شريط حديث أمين معها عن عائلته، فكانت منبهة بهذه القصة الفريدة من نوعها، فهي لم تعرف قط أية عائلة يحب أفرادها بعضهم البعض ويقدر الزوج زوجته ويحترمها مثل عائلة أمين.

وتساءلت أميرة "هل يمكن أن تكون قصة عائلة أمين حقيقية أم أن أمين يريد إيقاعها في شركه بكلامه المعسول؟" لكن كلما استرجعت كلام أمين كانت تزداد اقتناعاً بأن هذا الكلام حقيقي.

بدأت تفكر "كيف يمكن للتعليم وحده أن يصنع مثل هذا الحب؟.. لا بد وأن هناك شيئاً آخر يصنع هذا الحب ولم يذكره لي أمين". فهي تعرف كثيرين من الذين درسوا بالجامعات لكنهم لم يكونوا بالضرورة يعدلون في حياتهم وعلاقاتهم الزوجية... بالتأكيد هناك شيء آخر!!!...

بينما كانت أميرة تفكر في كلمات أمين لها، كان أمين يفكر ويسترجع كلماته التي قالها للأميرة ليرى هل يمكن أن تكون لأي من هذه الكلمات تأثير سلبي عليها من ناحيته مما يجعلها في ارتباك وحيرة أو سوء فهم لشخصه؟ وبدأ له أن كلامه كان مباشراً وصريحاً.

ولكن هل للإنسان العادي أن يصدق حقاً بوجود مثل هذه العائلة الرائعة...؟ بالطبع كانت هناك تفاصيل صغيرة تعتمد أن لا يذكرها أمين لئلا يفقد أميرة أو يعرض نفسه للخطر في هذه المرحلة المبكرة من علاقته بها.

ورأى أمين أنه من الأفضل له أن يتوقع الأسوأ لذا قرر الاستمرار في عمله بالتاكسي حتى ما يتمكن من جمع الأموال اللازمة لمعيشته.

وعند انقضاء اليوم أدركت أميرة أن عليها أن تبادل أمين في رحلة عودتها للمنزل بقصتها، لكنها كانت ترتعب لمجرد التفكير في ذلك، فيكيف يمكنها أن تشارك أمين عن أسرتها التي نشأت فيها وحيث يتفشى الفوضى والعبث وخاصة بعد أن سرد هو لها قصته الجميلة عن أسرته؟ لم تستطع أميرة أن تكون على نفس درجة صراحة أمين بل كانت في حاجة لمزيد من الوقت لتكوين قصة يمكن

تصديقها وتبدو في ذات الوقت أنها واقعية. فلذا قررت أميرة أن تجهز عدة أسئلة لأمين تسأله بها عن نفسه لتتجنب سرد قصة عائلتها له. واستغرق تجهيز هذه الأسئلة غير المباشرة والمناسبة لهذا الموقف وقتاً طويلاً من فترة وجودها بالمستشفى.

وإذ اقتربت الساعة السابعة مساء بدأت أميرة تتعطر بالعطر الخاص بأمرها مع إعداد قطعة مبللة من القماش حتى ما تتمكن من مسح العطر قبل دخولها إلى منزلها. وقبلت والدتها هامسة في أذنيها بدعاء ومضت لكي تقابل الرجل الذي تزداد معرفتها به بسرعة.

وكعادته انتظر أمين بجانب سيارته محاولاً اكتشاف مزاجها من خلال قراءة عينيها. وعندما رأت وجهه أحنّت رأسها في وقار وحاول أمين أن لا يُظهر لها انزعاجه بأن قام على الفور بإدارة محرك السيارة. وبادرها أمين بالقول "أتمني أن تكون أمك بخير" فأجابت أميرة "الحمد لله فهي مستريحة" ... ساد صمت بينهما لفترة مما تسبب في انزعاج أمين من جراء هذا الصمت فبادرها بالقول: "أتمني ألا أكون قد سببت لك مضايقات بسبب صراحتي في حديثي هذا الصباح."

أجابت أميرة: "لا.. فقد استمتعت كثيراً بسماع قصة عائلتك وظللت أفكر في حديثك طوال اليوم"، عندها ارتبكت أميرة لا عترافها عما بداخلها لأمين.

أجاب أمين بسرعة: "أنا أعرف مدى صعوبة تصديق قصتي. ولكن الله قد باركني حقاً بمثل عائلتي وأنا أشكره يومياً على هذه العطية."

أجابت أميرة: "أنا أؤمن أنها هبة من الله ولكن كيف يمكن أن يكون تعليم والدك هو السبب الوحيد لمثل هذه العلاقة الزوجية الناجحة؟.. سامحني على سؤالي هذا لك لأنني أعرف الكثيرين من المثقفين ولكنهم يعيشون حياة زوجية مرعبة."

تراجع أمين برأسه للخلف من سؤالها الذي غاصت به داخل أعماقه.. فكر أمين... "كيف أدركت أميرة أن هناك شيئاً آخر أبعد من التعليم أو الثقافة...؟! ... كيف علمت ذلك؟!" ثم اكتشف أنه ربما يكون قد قلل من شأن تفكير أميرة لكن سؤالها هذا جعله يعيد حساباته من ناحيتها وبالتالي أراد أن يعرف عنها الكثير.

ثم أدرك أمين بعد تفكيره وصمته الطويل أنه لابد وأن يعطي إجابة لسؤالها فأجابها قائلاً: "أختي أميرة... إن إجابة سؤالك هذا سيتطلب وقتاً طويلاً فهل تسمح لي بالإجابة في وقت آخر. فإن سؤالك هذا سؤال رائع ويحتاج لإجابة جيدة وسوف أجوبك عليه في يوم آخر.. فهل توافقيني؟!"

أجابت أميرة: "لك مطلق الحرية في أن تجاوب أو لا تجاوب على هذا السؤال وفي الوقت الذي تراه أنت مناسباً."

بعد ذلك ساد الصمت مرة أخرى.. واستغرق كل منهما
في تفكير عميق فيما حدث. أدرك أمين أن عليه أن يخبرها
عن كل شيء بصراحة ولكن متى وكيف يخبرها؟...
أدركت أميرة أن أمين لم يكن أميناً معها بالكامل، لكن يوجد
شيء يخفيه عنها فما هو؟ وهل سيخبرها به غداً أم لن
يخبرها به أبداً؟.

مثل هذه الأفكار كانت تدور في عقليهما وظلا في
صمت حتى انتهت رحلة العودة. وعندما توقف أمين
بجانب المنزل دفعت أميرة الأجرة وقالت "مع السلامة"
وأسرعت إلى المنزل.

الفصل السابع

فتحت أميرة باب شقة عائلتها وهي تأمل أن تتسلل إلى حجرتها بسرعة دون أن يدري أحد أنها وصلت إلى المنزل. وعلى عكس ما كانت تريد فقد رأتها عمتها فور دخولها إلى المنزل وأسرت بإعطائها الأمر للذهاب إلى المطبخ فوراً لإعداد طعام العشاء دون أن تسألها عن صحة أمها المريضة بالمستشفى. ولم تكن أميرة على استعداد لترسخ مرة أخرى للأوامر الصادرة إليها، فكان رد الفعل أنها جاوبت عمتها بلهجة حادة قائلة "هل لم يكن بمقدورك أن تسأليني عن أمي المريضة قبل إصدار هذه الأوامر...؟!"

أدركت أميرة على الفور أنها سوف تندم أشد الندم على تفوها بمثل هذه الكلمات مع عمتها.. وعتها هذه تدعي "ابتسام" وتنادى بـ "أم محمد" ولكن على الرغم من اسمها يعني "الإنسان المبتسم" إلا أن أميرة نادراً ما رأت عمتها تبسم. فأم محمد التي تبلغ من العمر 45 سنة والمنهكة القوى قد قامت بتربية أبنائها الثمانية بأقل القليل من الدعم المادي والمعنوي من زوجها القاسي. فمن يستطيع أن يدرك مثل هذه المتطلبات التي يطلبها مثل هذا الرجل القاسي من زوجته وهي في ذات الوقت أم لثمانية أبناء؟ فهي تقضي كل أيامها في إعداد الطعام وغسل الملابس ونظافة المنزل بمفردها دون مساعدة من أحد. ونادراً ما كانت تغادر المنزل حتى ولو فترة بسيطة للتنزه. وهكذا

فقدت أم محمد أي أمل في أن تكون لها حياة أفضل وخاصة بعد أن كبر الأبناء، فأصبحت حياتها اليومية كلها غضب واستياء. فلذا كانت تحقد على والدتها أميرة حيث أنها كانت تنتظر لمرضها وراحتها لعدة أسابيع بالمستشفى وكأنها فرصة للتنزه.. وكانت أم محمد تتمنى لو كانت مكان والدتها أميرة بالمستشفى ويقوم على خدمتها الكثيرون ولو لوقت قصير.

دار الحديث بين أميرة وعمتها حيث قالت لها عمتها: "هل تقولين أمك المريضة؟! ها...!! فإن ما حدث لإمك كانت هي السبب فيه وإن أخي رجل دين ولديه احتياجات بسيطة جداً ولم تعرف أمك كيف توفي هذه الاحتياجات." كانت هذه الكلمات بمثابة طعنات موجهة إلى قلب أميرة.. ولم تتوقف عند هذا الحد بل استمرت في ثورتها ضد أميرة قائلة: "كان بالأحرى على أمك أن تفتخر بأنها زوجة لرجل ذي مكانة مرموقة مثل أخي لكنها على العكس فشلت في خدمته وتلبية احتياجاته لذلك اضطر أخي للبحث عن زوجة أخرى تلبي احتياجاته ولا تسبب له إحراجاً أمام المجتمع."

كانت أميرة مقهورة من الافتراءات التي انهالت من عمتها على أمها. وكانت تعلم تماماً أنه لا توجد محبة بين عمتها وأمها. لكن هل عمتها تكره أمها إلى هذا المدى...؟! لا يوجد من يبالي بأمي...؟! لا يوجد أحد سواي يدافع عن كرامة أمي...!؟

لكن على الرغم من المخاطرة الكبيرة التي ستتحملها أميرة إلا أنها أخذت على عاتقها الدفاع عن والدتها. لذا قالت: "لم تفعل أُمي أي شيء آخر سوى خدمة أخيك منذ أن تزوجا. فكيف تقولين إنها لم تستطع خدمة أخيك وتلبية احتياجاته، فهي في نظره كالحيوان المحبوس في قفص، يتحكم فيها وكأنه إمبراطور. فأنا لا أسمح لك أن تتكلمي على أُمي بهذا الأسلوب. وسوف لا أسمع منك أكثر من ذلك..."

وهنا صمتت عمتها وبينما كانت لا تزال واقفة في حجرة المعيشة تركتها أميرة وذهبت إلى حجرتها بسرعة وأغلقت خلفها باب الحجرة بشدة. وهنا ظنت أميرة أن الأمر قد انتهى بهروبها إلى حجرتها إلا أن أم محمد استعادت وعيها مرة أخرى فأسرعت إلى باب حجرة أميرة وصاحت عليها من خارج الحجرة قائلة لها بلهجة فيها وعيد وتهديد: "إن هذا الأمر كله سيعرفه أبوك عند عودته."

وهنا ساد الصمت بالمنزل، ارتمت أميرة على سريرها وهي تجهش بالبكاء وعندئذ ابتدأت تسكب قلبها أمام الله: "يا الله القدير، يا من تبعد كثيراً عن خليقتك، هل يمكن أن تسمع صراخي وتساعدني؟ أليس أنت الذي صنعتني وخططت لوجودي على هذه الأرض أم أوجدتني بطريق الخطأ؟! يارب أنا أصرخ إليك هذه الليلة فاسمع صلاتي واراض عن عبدتك. انظر إلى حالتي المؤسفة هذه. يارب من فضلك لا تجعل أبي يسمع ما تفوهت به من كلمات هذا

المساء. فأنا مرتعبة جداً من غضبه وبطشه.. يارب أنقذني
أرشدني لطريق الهروب من هذا الكابوس المؤلم الذي
أعيشه.. يارب اغفر لي إن أخطأت وفكرت في الهروب
مع أمين. لكن كيف يكون هذا خطأ وأنت الذي أتحت لي
هذه الفرصة.. يارب ارشدني ماذا أفعل.. حقق لي حلمي..
يارب صب لعنتك على عمتي بسبب ما قالتها من كلام فظيع
على أُمي الحبيبة... يارب إن كان ممكناً فاسمح لأُمي أن
تهرب معي.. يارب إن استجبت لصلاتي فسأخدمك كل أيام
عمرى."

ومن شدة الإرهاق والتعب نامت أميرة بملابس
خروجها والدموع في عينيها.

الفصل الثامن

حاول أمين إعداد الرد على سؤال أميرة، لكن لم تتح له الفرصة هذا الصباح لكي يشاركها بالرد، وعندما كانت أميرة تتأهب للخروج والذهاب إلى المستشفى كعادتها فاجأها "علي" أخوها الأكبر عند الباب قائلاً: لها "أنا سأذهب معك هذا الصباح لكي أرى أمك".

أرادت أميرة أن تسأل أخاها عن سبب ذهابه معها، لكنها كانت تعرف الإجابة مسبقاً أفضل من سؤالها له حيث أن "علي" كان صورة طبق الأصل من والده. فهو فظ الطباع وأناني ومملوء بالكراهية والحقد وأنه شخص عدواني.

ومما أثار دهشة أميرة أنه كيف يتسنى لشخص بطباع أخوها هذه أن يركع ويسجد لله بدون خوف من غضب وبطش الله القدير. لكن أميرة لم تكن تلقى على أخيها باللوم لأفعاله المؤسفة. وذلك لأنها تؤمن بأن القدر وحده هو الذي جعل رجلاً مثل أخيها بهذه الصفات. وعلى الرغم من أن بعض الناس يحسدون الابن الأكبر على وضعه العائلي إلا أن أميرة لم تكن ترى في وضع أخيها شيئاً يدعو للحسد.

كان أخوها "علي" مجبراً منذ طفولته على أن يعيش تحت ظل والده. فكان لزاماً على الابن البكر أن يكون فخرًا لعائلته وذلك بأن يسير على نهج والده سواء أراد أو لم يرد ذلك. ويتحتم على "علي" أن يصبح زعيماً دينياً مثل والده تماماً دون أن يُسمح له بالتفكير في غير ذلك على الرغم

من أن هذا المنصب كان بعيداً عن تفكيره تماماً. كما لا يُسمح له مطلقاً مجرد التفكير في اختيار مستقبله بعيداً عن هذا المنصب الديني مثل والده تماماً. وللأسف الشديد لم يكن والد "علي" النموذج الذي يتمني أي شخص أن يكون على مثاله.

كان "علي" يدرك تماماً أن الأئمة لا يخطبون في الجوامع سوى ما تريده الحكومة منهم. فكان الدين يستخدم كستار لجعل الناس ينهجون النهج السياسي للبلد وليس الديني. لذلك لم يكن "علي" كشاب يقبل مثل هذه التمثيلية والنفاق من أئمة الجوامع... لذلك كان "علي" يكره والده وذلك للصفات الشخصية البغيضة لوالده وكذلك أيضاً كان يكره الأشخاص الذين كان والده يعمل لحسابهم. وهكذا أصبحت السمة المُميزة "علي" حالياً هي الحقد والعنف.

وهكذا كانت أميرة تخشى من أن تكون عمتها أخبرت "علي" بما حدث منها بالأمس، لذلك سارت نحو باب المنزل وأحنت رأسها خلف أخيها. ولأنها كانت تعلم أن أمين سيكون في انتظارها حسب وعده لها فطلبت من قلبها إلى الله أن يجعل أمين يتحاشاهما عند رؤية "علي" معها. إلا أنه لم يكن هناك أي تاكسي في الشارع سوى أمين الذي أدار محرك السيارة، وسار في الشارع إلى أن استوقفه "علي" وركب بجانبه أما أميرة فركبت في الخلف مطأطئة رأسها.

وقال "علي" لأمين عن وجهتهما فأدار أمين السيارة إلى المستشفى وبينما هو يسير حاول أن ينظر في المرأة التي أمامه ليلمح وجه أميرة إلا أن أميرة كانت تنظر إلى أسفل طوال الوقت خوفاً من أخيها لذلك لم يستطع أمين أن يرى وجه أميرة.

وبينما هم في طريقهم إلى المستشفى ابتدأ "علي" فجأة بوجه حديثه إلى أميرة وكأنه لا يوجد شخص آخر معهم فقال: "أخبرتني عمتك بأنك لم تحترميها الليلة الماضية.. وقد أهنت والدك. كيف تجرؤين على فعل مثل هذا الأمر. ألا تعلمي أنني أنا المسؤول عنك في غياب والدك. أتريدين أن تسببي لي مشاكل؟ يجب أن تُقْبَلِي يديك شاكرة على أنني وعدت عمتك بأنني سوف أتصرف في هذا الأمر. وبالطبع فأنا لن أخبر والدك لأنني متأكد أن هذا خطأ منك، لكن لو حدث هذا الأمر ثانية سوف أقتلك. وأنا أتوقع منك أنك تطيعين الأوامر الصادرة إليك من الأكبر منك سناً سواء كانت أمك مريضة أو غير مريضة! هل تفهمين؟!.. جاوبيني..!!"

أجابت أميرة بصوت منخفض: "حاضر يا أخي" ولكنها لم تجرؤ على أن ترفع وجهها خوفاً من أن تتطرق لعيون أمين في المرأة. ولم تستطع أن تتخيل ماذا يدور بعقل أمين في هذه اللحظات. فكل ما كانت تتمناه هو أن تترك السيارة على الفور. ولكنها كانت تشعر بجزء بسيط من الراحة حيث أن الله استجاب نقطة واحدة من صلاتها وهي أن والدها لن يعرف بما حدث مع عمتها.

ولما وصلوا إلى المستشفى أسرعَت أميرة إلى باب المستشفى وانتظرت حتى دفع "علي" الأجرة وتبعها إلى باب المستشفى لتقوده بدورها إلى حجرة والدتها المريضة. والحمد لله على أن "علي" لم يكن يعزم على زيارة والدته بالمستشفى لكن كان هدفه الرئيسي من الحضور مع أميرة هو تهديد أميرة لما حدث منها بالأمس مع عمته كما كان يريد التأكد بنفسه من أن أميرة تزور أمها فعلاً في المستشفى.

وقد وجد "علي" أمه فعلاً بالمستشفى في نفس الحالة التي كانت عليها بالفعل منذ أن دخلت المستشفى وهي شاحبة اللون وتحت تأثير المهدئات الكثيرة. ارتعب "علي" من مظهر والدته ولم يرد أن يظهر ذلك. ولم يكن من السهل عليه أن يرى مريضاً بالمستشفى لذا سارع "علي" برفع يديه داعياً الله ثم خرج من المستشفى دون أن يُقبل والدته وترك أميرة معها. وقبل أن يترك المستشفى قال لأميرة في لهجة تحذيرية "من الأفضل أن تعودى إلى المنزل في الميعاد."

وقعت أميرة منهارة على الكرسي فور خروج "علي" من الغرفة من هول ما حدث معها في التاكسي في هذا الصباح. وابتدأت ترتجف بشدة وهي تسترجع ما حدث وكيف كانت مع أمين و"علي" أخيها في التاكسي في نفس الوقت. ولكنها شكرت الله لأجل رأفته في أنه أعمي عيون "علي" لكي لا يلاحظ العلاقة بينها وبين أمين وكذلك لأن الله جعل أباهما لا يعلم بما حدث منها بالأمس وبالتالي أنقذها

من بطش أبيها. ولكن ماذا يدور في ذهن أمين الآن؟!
فأميرة شعرت بالخلج الشديد لهذه الحقيقة التي رآها أمين
بنفسه عن الإساءة العنيفة التي وجهها "علي" لها. وبالتالي
فهي تتوقع أنه من المؤكد أن أمين لن يحضر إليها مرة
أخرى. فما الذي يرغمه على الزواج من فتاة في مثل هذه
العائلة؟!

أرادت أميرة بسرعة أن تستجمع قواها مرة أخرى،
حيث أن الممرضات بدأت في دخول الغرفة مرة أخرى
ليمارسن عملهن.
حاولت أميرة أن تدفن أفكارها لما حدث مع أمين خلال
اليومين السابقين بأنها قامت وابتدأت تتشغل بخدمة والدتها
المريضة. إلا أنها عندما بدأت في تصفيف شعر أمها
استعادت كل كلمات عمتها التي تريد بها الانتقام من أمها
وفكرت في نفسها "كيف قالت عمتها هذا الكلام عن
أمها..؟!"

ثم همست في أذن والدتها قائلة: "آه يا أمي كم أريد أن
أخذك بعيداً عن هذه الحياة المدمرة.. أنا أعدك يا أمي الآن
بأن أخرجك من سجنك ولن أستريح حتى أجد طريقاً
لهروبك.. الله سيفتح الطريق أنا أحبك يا أمي..."
تنفست أمها بعمق عندما أنهت أميرة حديثها معها
مؤكدّة لها أنها سمعت ما وعدتها ابنتها به.. وعادت أميرة
مرة أخرى للجلوس على الكرسي وصوبها هدف جديد
تريد أن تحققه وهو ليس فقط حريتها الشخصية لكن حرية
والدتها أيضاً.

ولكن كيف تبدأ في تحقيق هذا الهدف وهي متأكدة أن
أمين لن يعود مرة أخرى؟! ولو حدث وأن عاد أمين فهل
سيكون على استعداد أن يكون طرفاً في تحقيق هدفها؟!
الله وحده يعلم ذلك....!! وهي تثق في معونة الله لها....

الفصل التاسع

صُعِقَ أمين عند سماع كلام "علي" الموجه لأميرة. وبالكاد تمالك أمين أعصابه وأوصلهما إلى المستشفى دون أن يوجه له الكلمات التي كانت على فمه .

وعلى الرغم من أنه كان يتظاهر بعدم الاهتمام بأميرة إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر لأميرة من وقت لآخر في المرأة التي أمامه. ونظراً لأن أميرة كانت مطأطئة رأسها لأسفل طوال الوقت فلذلك لم يستطع أمين قراءة عينيها ولا ما يدور في ذهنها.

بمجرد أن أوصل أمين "علي وأميرة" إلى المستشفى ركن السيارة على جانب الطريق ليرى متى سيغادر "علي" المستشفى. وقد استراح عندما رأى "علي" يغادر المستشفى بعد فترة قصيرة من وصوله، وهذا يعني أن أميرة ستكون بمفردها معه في رحلة العودة مساءً. فهل سيجرؤ على اصطحابها مرة أخرى كعادته؟ ولم لا...؟! وهي وحيدة في هذه الدنيا وبحاجة إليه. ويجب أن يستمر في مساعدتها بقدر ما يستطيع، فهي لا تستحق كل هذه الإهانة والإساءة من عائلتها.

علم أمين أنه مازال عليه مشاركة أميرة بالحقيقة، فهل ستقبل أميرة حقيقة أن الذي أجرى هذا التغيير في حياة عائلته هو كونهم مؤمنين بالمسيح. وهذا ما لم تكن أميرة تعلمه بعد. فماذا سيخسر أمين حتى لو لم تقبل أميرة هذه الحقيقة؟! الحقيقة؟!

لم يحدث بينهم أي شيء ولا حتى هي تعرف اسمه بالكامل. ويمكن لهذه العلاقة أن تنتهي بسرعة كما بدأت، وكل ما عليه هو أن يتوقف عن اصطحابها مرة أخرى. لكن أمين أدرك بداخله أنه لا يستطيع أن يُنهي هذه العلاقة بسرعة كما تخيل. حيث أنه كان يزداد تعلقاً بها دون أن يعرف سبب ذلك. فمن تكون هذه الفتاة بالنسبة له؟! هل هي مجرد عيون من خلف النقاب..؟! إن منظر عيونها هذه قد سلبت عقله بالكامل.. فهل هذه هي طريقة الله لكي يخبره عن أن أميرة هي خطة الله لحياته؟! عندئذ أدرك أمين أنه بحاجة لأن يقضي وقت قليلاً في التفكير ووقتاً كبيراً في الصلاة، فإن الأحداث تتوالى سريعاً والأمر مرهف. علم أمين أنه يجب أن يتخذ موقفاً جاداً حيال هذه الفكرة، لذا قاد سيارته متوجهاً إلى منتزه "تشرين" القريب من المستشفى. وهذا المنتزه عبارة عن واحة من الخضرة وسط المدينة المزدحمة الصاخبة. وهناك ركن السيارة جانباً ونزل ليسيير على قدميه حول المنتزه المحاط بالأشجار الخضراء.. وهنا شعر أمين بأن الجو جميل على الرغم من أنه لم يشعر بذلك منذ الصباح فابتدأ يتنفس بعمق مستمتعاً بالشمس الساطعة وعندئذ بدأ يشارك "أباه" بأفكاره. وبما أن أمين كان وحيداً فلذلك كان يشعر براحة عميقة عندما يدعو الله "أبوه". وبما أن الله هو خالقه فهو يعلم كل شيء عن أفكار ابنه التي تدور بداخله. ولم يجد أمين الحرية الكافية سوى مع الله لكي يشاركه بكل ما في أعماقه من أفكار ورغبات وأمنيات و...إلخ.

بدأ أمين في الحديث مع الله أثناء سيره حول المنتزه
"أبي السماوي.. الله القدير.. أنت وحدك الذي تستحق الحمد
في كل الأرض.. أنت تعرفني يارب فأنا تراب وضعيف..
والعالم يغريني لكي أسير في طريقه ولكنك منحتني القوة
على الشربير بواسطة روحك القدوس.. شكراً لك يا أبي
لأنك خلصتني من خطايي.. شكراً لك لأنك أرسلت يسوع
ليأخذ خطايي في موته ويهبني النصر على الخطية
بقيامته.. أحبك يا أبي.."

نظر أمين حوله فوجد مقعداً خالياً فجلس عليه يستظل
بظل شجرة واستمر في صلاته "يارب أنت تعرف أنني
مضطرب وبداخلي قلق بسبب هذه الفتاة (أميرة) وأنا لا
أعتقد أن الصدفة هي التي قادتني في طريقي وليس من
الصدفة أن تشارك (أميرة) معي بطروفاً فأنت المتحكم في
كل الأمور وأنا أؤمن بأن هذا تخطيطك في حياتي. لكني
لست أعلم مشيئتك لي من هذه العلاقة. فهل أستمّر أم لا؟
وأنا أشعر باحتياجها الشديد وأريد أن أظهر محبتك لها
مشاركاً معها مفهوم الحرية الحقيقية في المسيح يسوع."
هنا صمت أمين عن الصلاة واضعاً رأسه بين يديه
وبدأ يشعر بالصراع الداخلي في قلبه والذي يجب أن
يشارك به مع الله. وفاه بصوت خفيض قائلاً "يارب أنا
أيضاً أشعر بالانجذاب نحو هذه الفتاة.. وأنت تعلم كم أتوق
أن يكون بجانب زوجة تقية ترافقني في حياتي وتؤنس
وحدتي فلو كانت أميرة هي الإنسانية التي بحسب مشيئتك
لحياتي فمن فضلك أجعلها تقبل كلامي حينما أشاركها عن

إيمان عائلتي وسوف يكون قبولها هذا إشارة واضحة منك لي.. أنا أحتاج لمعونتك يارب لكي أظل عند قيمي ومبادئني في هذا المنعطف الحرج من حياتي. يارب ساعدني لأحترمها وأقدرها كأخت لي حتى يحين الوقت الذي تراه مناسباً وبحسب مشيئتك أن أرتبط فيه بها كزوجة. أشكر يارب لأنك تسمع لصلاتي. في اسم المسيح أصلي... أمين."

عاد أمين لسيارته وهو إنسان مختلف تماماً، فقد شعر بانطلاقة جديدة تمكنه من مواجهة الظروف مهما كانت، وذلك لثقته في أن الله معه. وحيث أنه قد سلم هذا الأمر لله فهو الآن على استعداد لتلقي القبول أو الرفض من أميرة حسب إرادة الله. ولا يخشى من استمرار علاقته بأميرة طالما أن الله بجانبه . واستمر أمين في عمله على التاكسي باقي اليوم ليتمكن من توفير النقود التي ربما يحتاجها قريباً.

الفصل العاشر

سارت أميرة إلى باب المستشفى بخطوات غير واثقة في ذلك المساء. فهي لا تدري إن كان أمين سوف يحضر لاصطحابها في العودة أم لا. فخفق قلبها فرحاً لرؤية أمين بجانب سيارته مبتسماً ويبدو أنيقاً أكثر من ذي قبل. فكرت أميرة مع نفسها "لقد عاد بالفعل.. ياه والآن ماذا أقول له؟..." فهي لم تفكر في ماذا تقول لأمين.

ما أن ركبت أميرة السيارة لم تجد صعوبة في أن تبدأ الحديث مع أمين فبادرته بالقول "أنا متأسفة جداً.. أنا في شدة الخجل لم أود أبداً أن تكون أنت الشاهد لكلمات أخي القبيحة.. من فضلك سامحه حيث أنه لا يعلم ماذا يفعل." تذكر أمين شخصاً آخر نطق بمثل هذه الكلمات عيناها، وهو الشخص الذي يريد أمين أن يخبر أميرة عنه. ولكن إجابته اتخذت طريقاً آخر فقال لها "لا أحمل أي عداوة تجاه أخيك يا أختي. لكنني متأسف فقط للجرح الذي سببه أخوك لك.. ولا أستطيع أن أتخيل كيف تستطيعين أن تتحملي مثل هذه الإيذاءات."

أجابت أميرة "أن ما أتحمله أنا لا يساوي شيئاً مما تحمّلته أمي العزيزة.. فقد كنت أبكي طوال اليوم بجوار سرير أمي وأنا أري التعذيب في جسمها الهزيل.. فهي لا تستحق مثل هذه المعاملة."

أجاب أمين "أنا متأكد من هذا.. أخبريني كيف حال أمك العزيزة هذا اليوم؟..."

أجابت أمين "للأسف.. على حالها". وكانت أميرة تود أن تستمر أكثر في الحديث إلا أنها تراجعت عن الكلام لكي لا تُظهر شغفها لاكتشاف مدى استعداد أمين لمساعدتها هي ووالدتها أيضاً.

بادرها أمين بقوله "يا أميرة أنا أريد أن أشاركك أكثر عن أسرتي كما طلبت مني فلا بد أن نجد الوقت الكافي للحديث. فهل من الممكن أن نتقابل معاً في الكافتيريا بالمستشفى أثناء وجودك مع أمك؟"

أدرك أمين مدي هذه المجازفة ولكنه شعر بقوة أن الله يريد أن يشارك أميرة بأفكاره في وضع أكثر راحة. وعلى الرغم من أحداث هذا اليوم فإن أميرة نفسها تعجبت من رد فعلها بقولها "أنا أتمنى ذلك ولكن يجب أن نكون حريصين على ألا نتقابل في الكافتيريا في وقت الذروة فأنا أفضل أن نتقابل قبل أو بعد وقت الغداء."

فرح أمين بأنها كانت على وفاق معه وقال لها "لماذا لا نتقابل غداً الساعة الثالثة عصرًا؟" فأجابت أميرة "هذا مناسب وسأكون جالسة على المائدة في انتظارك". عندئذ ساد الصمت بينهما باقي الرحلة إلا أنهما كانا يشعران بسعادة غامرة حيث أنه سيكون بمقدورهما أن يمكثا مع بعضهما وقتاً أطول في الغد، كما أنهما يدركان تماماً خطورة لقائهما هذا ومدى تحمل كل منهما مسؤولية هذا اللقاء تجاه الآخر. ومن هول هذا الموقف تخيل كل منهما أنه سوف يسقط في هوة عميقة.

منح هذا الحديث لأميرة قوة جديدة أثناء صعودها على السلم متجهة إلى المنزل. حينئذ استقبلتها عمتها بوجه عابس فبادرتها أميرة بصوت لطيف "مساء الخير يا طنط" وأسرعت إلى غرفتها وعادت على الفور إلى المطبخ لتساعد عمتها في تحضير وجبة العشاء. ذهلت أم محمد من تصرف أميرة هذا والتغيير المفاجئ الذي طرأ على ابنة أخيها ولكنها لم ترد أن تسأل عن سبب هذا التغيير الآن . وعند عودة أخوتها للمنزل قدمت لهم أميرة وجبة العشاء ووقفت لتخدمهم وبعدها تناولت طعامها بمفردها في المطبخ قبل أن تذهب لحجرتها للنوم.

لم يكثر أحد في هذا المساء بالسؤال عن صحة والدتها فأدركت أميرة عندئذ أنها هي والدتها وحيدان في هذا العالم. ويبدو أن أمين هو الطريق الوحيد لنجاتهما.

" ما الذي سيخبرني به غداً..؟! " كانت عواطفها متأججة وكانت أيضاً متوترة لكيفية قضاء وقت مع شخص غريب بمفردها. وعلى الرغم من أنه مكان عام إلا أن هذا اللقاء كان أقرب ما يمكن إلى اللقاء العاطفي (راندفو) الذي لم تعرفه قط. وهمست أميرة بدعاء إلى الله قبل نومها طالبة منه الحماية أثناء لقائهما وأن يكون كلام أمين سبب سرور وسعادة لها.

الفصل الحادي عشر

فعل أمين شيئاً غير مألوف في صباح اليوم التالي - فلم يأتِ لاصطحاب أميرة بالتاكسي للذهاب إلى المستشفى - فأمين لم ينس موعده مع أميرة فهذا من المستحيل بل كان يخشى من أن يكون "علي" أخوها معها هذا الصباح أيضاً. فكونه يرى أمين ينتظر أميرة في نفس الموعد فهذا يولد بداخله شعوراً بالشك من ناحية أميرة أو أمين. وكان أمين يتجنب حدوث أي شيء يهدد العلاقة بينه وبين أميرة. وقد فكر مع نفسه أنه حتى لو أميرة شعرت بالقلق لفترة وجيزة فإن هذا أفضل من أن ينتظرها بالتاكسي كعادته صباحاً ويقع في الفخ.

حاولت أميرة عدم إظهار قلقها وهي تقف خارج منزلها تنتظر أمين لاصطحابها إلى المستشفى. ولم تستطع أن تفهم سبب عدم مجيء أمين إليها، فهي اعتادت على أن تجده كل صباح في انتظارها حسب الموعد المتفق عليه. فكرت أميرة مع نفسها "أين أمين الآن؟... هل أنتظره أم لا؟... هل أستقل تاكسياً آخر؟..." ففكرة ركوبها مع سائق تاكسي آخر غير أمين كانت غير مفضلة لها. وبعد مرور عدة دقائق لم تجد أمامها اختياراً آخر سوى أن تستوقف تاكسياً آخر لأنها كانت تخشى من أن تكون مراقبة من أحد أفراد عائلتها أو جيرانها.

وعندما مر عليها تاكسي فارغ أشارت إليه بالتوقف وهي مترددة. توقف السائق وركبت أميرة معه. وأثناء

سيرها بالتاكسي إلى المستشفى ظلت تراودها بعض الأفكار عن ماذا يا ترى الأسباب التي حالت دون مرور أمين عليها هذا الصباح؟! ولم يكن هناك أي سبب من الأسباب التي دارت في ذهنها يتفق والدافع الحقيقي الذي من أجله لم يحضر أمين إليها هذا الصباح. ومع تفكيرها العميق لم تنتبه أميرة للطريق الذي كان يسلكه سائق التاكسي. وبعد مضي وقت من الزمن نظرت أميرة حولها وعندها أدركت أن السائق قد غير اتجاهه المؤدي إلى المستشفى. فسألته أميرة بدهشة: "إلى أين أنت ذاهب؟! " فأجابها سائق التاكسي: "إلى أين تريد أن تذهبي أنت؟" فأجابته غاضبة: "قلت لك مستشفى الشامي". فأجابها بدعابة خبيثة: "أنا في فكري مكان أفضل". فصاحت أميرة قائلة: "كيف تجرؤ على ذلك توقف ودعني أترك السيارة". ولحسن حظ أميرة أن السيارة توقفت عند إشارة المرور. وعندئذ فتحت أميرة باب السيارة وانطلقت مسرعة قبل أن يلحق بها مرة أخرى هذا السائق فاقد الوعي.

اختفت أميرة بعيداً عن الأنظار في أحد الشوارع بين المباني السكنية وظلت هناك حتى تأكدت من أن هذا السائق مضى في طريقه بعيداً. وظلت أميرة واقفة مكانها ترتجف من شدة الخوف بجوار شجرة كبيرة. وابتدأت تنادي.. "أين أنت يا أمين...!!!" وعندئذ أدركت أميرة أنها لا تستطيع الوقوف كثيراً في هذا المكان وهي تنادي أمام المارة بهذا النداء. لذلك حاولت أن تستجمع قواها لتكتشف ما حولها وأين هي من المستشفى الآن. وهنا أدركت أنها قريبة من

المستشفى ويمكنها أن تسير على قدميها هذه المسافة للوصول إلى المستشفى فسارت بسرعة نحوها.

وعلى الرغم من أن أمين لم يحضر لاصطحابها من منزلها إلا أنه سبقها إلى المستشفى وظل ينتظرها حتى يتأكد من وصولها بسلام. وابتدأ أمين يقلق حيث أنه مر وقت طويل ولم تصل أميرة للمستشفى. استمر أمين ينتظر بالقرب من المستشفى مترقباً وصولها حتى رآها قادمة من بعيد تسير على أقدامها، فانطلق أمين من سيارته نحوها ليسألها عن تأخيرها فقال لها: "ماذا حدث لك؟" فصاحت أميرة: "أين أنت..؟!!" فأجابها: "لقد خشيت أن يكون علي" معك هذا الصباح لذا لم أرد أن أظهر نفسي له".

فبادرته بالقول: "آه.. لقد كان أمراً مريعاً ما حدث معي هذا الصباح.. لا أستطيع التحدث الآن سأراك الساعة الثالثة عصراً..".

وغادرا المكان سريعاً لكي لا يلحظ أحد شيئاً إلا أن أمين تضايق حيث شعر أنه هو الذي تسبب في حدوث مثل هذا الأمر المريع لأميرة هذا الصباح. وعندما عاد أمين إلى سيارته جلس فترة من الزمن يصلي إلى الله أن يحفظ أميرة الغالية عليه الآن من أي حزن أو أسى آخر. وقد أدرك أمين بينما كان يصلي أنه سوف يسبب لها حزناً عميقاً عندما يتحدث إليها في اللقاء المرتقب. وكلما اقترب موعد اللقاء كان أمين يرى أن الأمر يزداد صعوبة عليه وخاصة عندما يواجه أميرة بهذا الكلام، لذا كان يسأل نفسه هل الله حقاً يريد مني أن أتحدث مع أميرة بهذا الكلام؟.. وهل يجب

أن أشارك معها بهذا الكلام في هذا الوقت المبكر من
علاقتنا؟.

قرر أمين أن يتوقف لفترة عن التفكير ويمارس عمله
اليومي كسائق للتاكسي. والله سوف يعطيه كلاماً في الوقت
المناسب بالتأكيد.

عندما وصلت أميرة إلى حجرة والدتها بالمستشفى لم
تستطع الوقوف على قدميها فارتمت على الكرسي بجوار
سرير أمها والدموع تنهمر من عينيها حيث أن مشاعرها
تضاربت بين الغضب والسعادة في ذات الوقت من أمين.
فهي كانت غاضبة لأن أمين لم يحضر لها سامحاً لها بأن
تجتاز في هذا الموقف المؤلم. أما أنها تشعر بالسعادة
فلأجل حقيقة موقف أمين لأنه كان يريد أن يجنبها
المخاطرة مع "علي" شقيقها دون ضرورة لذلك. "إنه فعلاً
إنسان حكيم.. ومهتم بي. والدليل على اهتمامه بي أنه
انتظرني بجوار المستشفى. يا له من يوم طويل حتى يأتي
موعد اللقاء المرتقب" لذا قررت أميرة أن تتوقف عن
التفكير وتوجه طاقتها لخدمة أمها المريضة.

الفصل الثاني عشر

مرت الساعات طويلة حتى أتت الساعة الثالثة عصراً
أخيراً بالنسبة لأمين وأميرة. على الرغم من الخوف من
هذا اللقاء وماذا يخبئ وراءه، وماذا يحمل من معاني، إلا
أن أميرة أرادت أن تكون في الكافتيريا قبل الموعد المحدد
حتى ما يجدها أمين عندما يصل في الميعاد المتفق عليه.
وقفت أميرة في الصف لتدفع ثمن كوب من الشاي على
أمل أن تشربه لراحة أعصابها. وجدت أميرة الكافتيريا
وبها أناس قليلون فأخذت مكانها على مائدة في أحد أركان
الكافتيريا بعيداً عن عيون الناس. وصل أمين بعد قليل
ودفع ثمن فنانج القهوة مع قطعة من المخبوزات وتلفت
حوله وشعر براحة عندما رأى أميرة جالسة في انتظاره.
وعندئذ شعر كل منهما بالفرح عندما التقت أعينهما.
تكلم أمين مسرعاً وهو يهم بالجلوس: "هل أنت بخير
يا أختى... أنا كنت في غاية القلق بخصوصك هذا
الصباح.. ألا تسامحيني على كوني السبب في إحداق الأذى
لك هذا الصباح؟".
أجابت أميرة قائلة: "لقد كنت حكيماً في تصرفك هذا
بأنك لا تأتي إليّ هذا الصباح. فما حدث لي لم يكن من
الممكن تجنبه ولكن الحمد لله لم يدركني أي أذى. فالله
حفظني. أشكرك على اهتمامك".
أجاب أمين: "وكيف لا أهتم بك.. والله هو الذي
أحضرك إلى حياتي لهدف معين".

كانت هذه الكلمات غريبة جداً على مسامع أميرة حتى أنها رجعت بظهرها للخلف من شدة دهشتها لما سمعته من هذا الكلام الغريب. إلا أن أحساسها الداخلي كان يُظهر لها صدق هذه الكلمات ولذا أجابته قائلة: "لقد أنعم الله عليّ حقاً بمعرفتك."

أراد أمين أن يغير مجرى الحديث عندما شعر أن أميرة لا تشعر بعدم راحة لتطور الأحداث معهما فلذلك بادرها بالسؤال كيف حال أمك اليوم؟". أجابت أميرة هذا السؤال وهي تشعر براحة: "يبدو أنه هناك تحسن ضئيل.. أنا أشكرك" ثم رفعت النقاب لكي ما تستطيع أن تشرب الشاي. فبادرها أمين بالقول: "أنا أعلم أنه ليس لدينا وقت طويل وأنا أريد أن أكون منفتحاً معك بقدر المستطاع حيث أنك تستحقين معرفة الحقيقة حتى ما تكونين قادرة على الاحتفاظ بعلاقتنا أم لا، إن كان هذا يناسبك فأنا أريد أن أشاركك أكثر عن عائلتي." أجابت أميرة بشغف: "من فضلك شاركني."

بادر أمين على الفور: "لقد كنتِ على صواب عندما كان لديك الاعتقاد أنه ليس التعليم هو السبب الأوحى الذي صنع بوالديّ زوجاً ناجحاً فهناك أشياء أخرى كثيرة غير المعرفة العقلية للعالم الخارجي. فعندما كان والدي يدرس دراسته الجامعية تقابل مع رجل وصفه بأن لديه السلام الحقيقي، على الرغم من أنه ينتمي لعائلة فقيرة وممزقة وكان والده أباً مؤذياً إلا أنه كان راضياً بحياته، وبعد

البحث تحقق أن مصدر هذا السلام العجيب هو العلاقة مع الله."

سألت أميرة: "العلاقة مع الله؟!!!... ماذا يعني هذا؟".
قال أمين: "إن هذا الرجل أخبر أبي أنه بالإيمان
بيسوع المسيح قد نال هبة الحياة الأبدية وتأكد أنه سيذهب
إلى السماء."
قالت أميرة: "أنا لا أفهم كلامك.. هل يمكن أن تشرح
لي بأكثر استفاضة؟".

"نعم يمكن" أجاب أمين بعد شرب قليل من القهوة
"فعلي الرغم من أن أبي كان من المسلمين السيئين
الصالحين وكان أيضاً متعلماً ذا ثقافة عالية إلا أنه كان
يشعر بفراغ كان يملأ حياته، وكان لديه العديد من الأسئلة
التي لا يجد لها إجابة. وعندما سمع أن المسيح يسوع قد
جاء إلى الأرض ليُري الإنسان الطريق إلى الله فأراد أن
يعرف أكثر عن هذا الرجل، فهو كمسلم يعرف أن عيسي
نبي لكن ما يسمعه الآن يختلف تماماً. فقد قال له رجل
السلام هذا أن المسيح كان أكثر من مجرد نبي، إنه كان ابن
الله. ولكن ليس ابن من الناحية الجسدية الأرضية لكنه هو
الذي أتى من عند الله. فهو كامل (في كل شيء) من جميع
النواحي، لقد أرسله الله خصيصاً ليموت على الصليب
ليخلص الإنسان الخاطئ من نتائج خطاياهم.. الموت. فهو لم
يمت فقط لكنه قام ثانية من الموت ليفتح الطريق أمام
الإنسان حتى تصبح له علاقة حقيقية مع الله وفي النهاية
يحيا للأبد مع الله في السماء."

صمت أمين قليلاً إذ رأى نظرة عدم التصديق في عيون أميرة ثم عاود الكلام مرة أخرى "قبل أن تقولي شيئاً فأنا أعرف أن الأمر يبدو جنوناً (غير معقول) وهذا ما حدث أيضاً مع أبي ولهذا فهو رفض الرسالة لمدة طويلة. لكن كان هناك شيء ما جعله ينجذب باستمرار لهذا الرجل. فهو يريد أن يعرف الحقيقة وأخيراً قابل رجلاً آخر لديه نفس السلام. ولم يصدق هذا الكلام لمجرد أن سمعه من شخص أو اثنين ولكنه عاد إلى المنزل وطلب من الله أن يُظهر له الحق. وفي هذه الليلة ظهر المسيح لأبي في حلم قائلاً له إن ما سمعه هو الحق، فلذلك لم يجد مفراً من أن يسلم حياته للمسيح مؤمناً أنه هو الطريق إلى الله... بعد ذلك تغيرت حياة أبي بالكامل، تعلم معنى العيش لله واتباع طريقه، فدرس التوراة والإنجيل وابتدأ يطبق ما درسه في حياته. وفي بداية الأمر واجه صعوبات عديدة من عائلته إلا أنهم أخيراً تركوه ليحيا حياته الجديدة."

سألت أميرة: "هل تقصد بقولك هذا أن أباك صار مسيحياً؟!"

"نعم" أجاب أمين "إن أبي كان تابعاً للمسيح وليس أبي فقط بل أُمِّي أيضاً."

"وماذا عنك؟" سألت أميرة: "هل أنت أيضاً تابع للمسيح؟"

تنفس أمير نفساً عميقاً قبل الإجابة وقال: "لقد نشأت في منزل يسود فيه الحب بين أبي وأُمِّي ونشأنا في حب أبي وأُمِّي لنا. وعلمت منذ طفولتي أن المسيح هو مصدر

هذا الحب وأردت أن يكون لي نفس هذا الحب في حياتي.
فعندما بلغت سن العاشرة من عمري طلبت إلى المسيح أن
يكون مخلصي ويملاً حياتي بحبة أيضاً. وها أنا أعرفه
كل هذه السنين من عمري وهذا أمر رائع. وهذا هو السبب
الأوحد للسلام في هذه الحياة يا أميرة."

صُغت أميرة عند سماعها هذه الكلمات وأخذت تفكر..
شخص مسيحي.. كيف يمكن أن يكون هذا؟! فهي تعرف
أنه يوجد مسيحيون في سوريا لكن لم يكن يوجد أي علاقة
تقريباً مع أحد منهم. فكل ما كانت تعرفه عن المسيحيين أنه
في الجانب الآخر من هذا البلد يمكنك أن تجد ملاهي ليلية
وسيدات يرتدين ثياباً خليعة. فإذا كانت هذه فهي المسيحية
هي لا تريد أن تكون واحدة منهم. وبالتأكيد أن الله لا
يرضى بمثل هذه السلوكيات.... ولكن أمين الآن يقول لها
إنه هو أيضاً مسيحي. فما معنى هذا؟! وماذا تقول له؟!
أظهرت الصدمة رد فعلها بقولها "مسيحي...؟ فالجانب
الذي يعيش فيه المسيحيون في هذا البلد هو الأسوأ في
دمشق فكيف تقول أنت أنه رائع؟! فالمسيحيون يقومون
بكل الممارسات الشاذة."

أجابها أمين: "أنا أعلم مدى صدمتك لسماع هذا الكلام
يا أميرة وبينما يجب أن تدركي أن هناك مسلمين مخلصين
ومسلمين بالاسم فهناك أيضاً مسيحيون حقيقيون وآخرون
مسيحيون بالاسم. فأنا لم أتكلم معك بخصوص هؤلاء
المولودين في عائلات مسيحية ولذلك يدعون مسيحيين. بل
ما أحدثك عنه هم من يأخذون قراراً شخصياً للإيمان

بالمسيح واتباع تعاليمه. وهؤلاء الذين اختاروا هذا القرار لا يفعلون هذه الأمور ولا يستطيعون أن يعيشوا مثل الذين من يسمون أنفسهم مسيحيين، فعندما تقابلين واحداً من أتباع المسيح الحقيقيين فستعرفين هذا من أسلوب حياته."

أجابت أميرة: "يا أمين أنا لست أعرف كيف أفكر الآن.. فما قلته الآن هي أمور غريبة عليّ ومن الصعب أن أقبلها. وأنا أحتاج وقتاً للتفكير فيها. فيجب أن تدرك أن والدي زعيم ديني له مكانته واحترامه في هذه المدينة. ولكوني تحدثت مع شخص مسيحي مثلك فهذا معناه أن عقاباً صارماً ينتظرني. فلذا دعني أفكر."

أجاب أمين: "أنا أعلم تماماً أنه من الصعب عليك أن تستقبلي كل هذا الكلام حيث أنه فوق احتمالك يا أختي وأنا متأسف إن كنت قد تسببت لك في هذه الصدمة وهذا الضيق (الألم).. فلم أقصد أبداً أن أجرحك بل يجب أن تعرفي الحق إذا كنت ترغبين معرفتي أكثر. يجب أن تعرفي أن أهم شيء في حياتي هو كوني تابعاً للمسيح. ولك أن تأخذي الوقت الكافي لتفكري فيما أخبرتك به. وإذا كان لديك أي اسئلة فيمكنك أن تسأليني في أي وقت. وسأترك الآن وسأعود إليك الساعة السابعة مساءً إذا أردت ذلك لاصطحابك للعودة إلى منزلك."

بدأت الأفكار تتصارع في رأس أميرة وهي مرتبكة هل تريده أن يأتي لاصطحابها؟!... وهل تريده هو شخصياً؟!... لكن بالطبع هي مازالت تريده أن يأتي

لاصطحابها عندئذ أجابته بالقول: "نعم.. من فضلك أن
تحضر.. معذرة يجب أن أنصرف الآن."
وعندها أسرعت خارجة من الكافتيريا لتذهب لحجرة
أمها مهرولة فقد كان هذا الحديث أكبر مما يمكنها أن
تتحمله... مسيحي!!!.... ماذا سيحدث بعد هذا اللقاء...؟!!

الفصل الثالث عشر

شكراً لله أن أميرة كان لديها الوقت الكافي لتستعيد هدوءها الفكري في حجرة والدتها قبل أن تعاود رؤية أمين مرة أخرى في المساء وكذلك عائلتها. ولم تستطع حتى استرجاع كلام أمين لها والتفكير فيه مرة أخرى حيث كان هذا الكلام له وقع الصدمة الشديدة عليها. فمكثت أميرة تفكر في ماذا كان يدبره الله لها؟!!!

اعتقدت أميرة أن أمين هو الطريق لهروبها.. ولكن مع مسيحي؟!!! لم تستطع أميرة أن تتحمل هذا العبء الشديد نتيجة هذا التفكير فلذا قررت أن تتجاهل التفكير في هذا الكلام حتى ما تعود وتنفرد في حجرتها بالمنزل لتعيد ترتيب أفكارها. وجلست أميرة بجوار أمها وهمست في أذنيها: "أمي... أمي العزيزة يبدو أن الطريق للهروب مستحيل الآن، ولكن يجب علينا أن نثق في مساعدة الله لنا. فليس لدينا أي طريق ولكنني لا أتركك تقاسين بعد الآن، أنا أحبك يا أمي."

جاءت الساعة السابعة مساءً وأدركت أميرة أن عليها أن تواجه أمين مرة أخرى. وعند خروجها من المستشفى وجدته ينتظرها كالعادة. لم تستطع أن تبتسم هذه المرة عند رؤيتها له على الرغم من أنها لم تستطع أن تتجنب ركوب التاكسي معه. وأدرك أمين صعوبة الموقف على أميرة وخاصة بعد أن عرفت أنه مسيحي. ولكنه قرر بعد لقاؤهما

هذا أن يستمر في إظهار الاهتمام والرعاية لا وهو يثق أن الله هو الذي سيغير قلبها.

قال أمين فور ركوبها التاكسي كعادته: "أنا متأكد أن والدتك تحظي برعاية وراحة كاملة بالمستشفى". أجابت أميرة بعد أن استجمعت أفكارها: "نعم هي بخير."

على الرغم من أن أمين كان يريد الاستمرار في الحديث معها إلا أنه أدرك أن أميرة تحتاج للمزيد من الوقت للتفكير مع نفسها وخاصة بعد المفاجأة المذهلة التي فاجأها بها. فماذا كان ينتظر منها غير ذلك؟ .

وهكذا ظلا صامتين طوال باقي رحلة العودة لكن قبل وصولهما إلى منزلها قال أمين: "لم يحدث أي تغيير من ناحيتي يا أميرة وستجدينني بجانبك في أي وقت تحتاجينه مني."

ردت أميرة عليه بفتور: "تصبح على خير" وتركته السيارة.

كان من الصعب على أمين أن يرى التغيير الواضح على أميرة ولكنه كان يدرك أن ما فعله هذا هو الشيء الصحيح. وإلا كانت حياته ستبني على أكذوبة، وهذا فوق ما يستطيع أن يتحملة.

على عكس ما توقعت أميرة أن تنفرد بنفسها في حجرة منزلها لتفكر بترو فيما قاله أمين لها لكنها فوجئت بحزن شديد يسود منزلها بالكامل. كانت تنتظرها أخبار مأساوية وكانت عمتها أول من استقبلتها بهذه الأخبار قائلة: "هل

سمعت ماذا حدث اليوم يا بنت أخي؟.. إنه لأمر شنيع.. ليت الله لا يسمح لنا به..."

سألت أميرة بشغف: "ماذا حدث؟.. ما الأمر يا

عمتي...؟"

"حرام إنها صغيرة جداً" استمرت عمته في الحديث دون أن تذكر لها تفاصيل ما حدث.

"من يا عمتي هذه الصغيرة؟!.. ماذا حدث...؟!"

تكلمت عمته وكأنها تمزح "لعل مثل هذه المأساة لا

تحدث مرة أخرى في هذا المنزل إن شاء الله."

لم تدرك عمة أميرة مدى نفاذ صبر أميرة وهي تنتظر معرفة ماذا حدث إلا أنها عادت إلى صوابها وبدأت حديثها "نعم يجب أن تعرفي القصة لعلها تمنع حدوث مثل هذه المأساة معك فأنت مازلت صغيرة ويمكن أن تتخذي بمثل هذه الطريقة."

عندئذ بدأت في سرد القصة المفجعة "لقد وجدوا جثة لشابة صغيرة في المنزل الأعلى منا بطابقين هذا الصباح، وهي لم تتجاوز العشرين من عمرها وربما تعريفينها إنها تُدعى "ليلي" وتنحدر من عائلة غنية ومتدينة ولا يوجد لهم صلة قرابة بنا وكما قلت لك فقد وجدوا جثتها اليوم في الشارع بعد أن قفزت من شرفة منزلها بالدور الخامس." صمتت أم محمد للحظة بعد أن رأت أميرة تحمق بها من هول المفاجأة واستمرت في حديثها: "إنها انتحرت.. يا حرام. فما سمعته عنها من العاملة التي تعمل لديهم هو أن ليلي كانت على علاقة بسائق تاكسي!"

"بسائق تاكسي؟! " رددت أميرة بصوت ضعيف.
أجابت عمتها "نعم.. هل تصدقين هذا؟ على الرغم من
أن والدها لم يسمح لها بالذهاب إلى المدرسة فقد كان
يُحضر لها المدرسين الخصوصيين لتدريسها بمفردها
بالمنزل ولأنها كانت تتسم بالذكاء فقد وجد أبوها أنه من
العار أن لا يسمح لها باستكمال تعليمها في الجامعة فسمح
لها بمواصلة تعليمها بالجامعة ولذا قرر أن يستأجر لها
تاكسيًا ليأخذها بانتظام من وإلى الجامعة حتى لا تختلط بأي
شخص غريب وتكون تحت رقابته المباشرة لها. ولكن
حدث ما هو عكس المخطط له حيث بدأت علاقة بينها وبين
سائق التاكسي."

استمرت أم محمد في سرد تفاصيل الأحداث غير
مدركة ما لهذه التفاصيل من تأثير على ابنة أخيها "لم يكن
لديها أي فكرة عن الجنس الآخر أو أساليبهم ومن الواضح
أنه كان يعاملها برومانسية مما يجعلها تعتقد أنه يحبها.
فخططا على أن يهربا معاً. وذات مرة رأهما أحد أقاربها
في وضع غير لائق معاً فأخبرا أباهما فعلى الفور قرر
حبسها في حجرتها وأودع السائق في السجن. لم تتحمل
هذه الفتاة المسكينة هذا الأمر مما جعلها تلقي بنفسها من
شرفة منزلها لتلقي حتفها. يا حرام!!! وبسبب هذه الفضيحة
فإن عائلاتها الآن تريد أن تتبرأ من ابنتهم المتوفية خوفاً
من العار الذي سيلحق بعائلتهم نتيجة السلوك المشين لهذه
الفتاة والوفاة غير الطبيعية وبعيدة كل البعد عن الدين.
وبالطبع قلب أمها مكسور عليها لكن لا تستطيع أن تفعل أو

تقول شيئاً خوفاً من زوجها أليس هذا شيء مرعب يا ابنة أخي؟".

شعرت أميرة بأنها ستسقط على الأرض مغشياً عليها أمام عمتها لذا يجب عليها أن تجلس فوراً وبسرعة على كرسي خوفاً من حدوث هذا. فلم تتفوه أميرة مطلقاً. فماذا تستطيع أن تقول؟ جلست وكأنها خرساء. ولكن عمتها كان عندها المزيد من الحديث عن هذا الأمر "هل تعرفين ماذا قالت جارتني لي اليوم بعد أن سمعت هذه القصة؟... لم أستطع تصديق ما سمعته.. فقد قالت أن النقاب لا يمنع العيون من الشهوة.. فهل يمكن أن تتخيلي هذا الكلام؟". صمتت أم محمد للحظة واستمرت في حديثها حتى قبل أن تسمع إجابة أميرة "وقالت لي أيضاً أنها تؤمن أنه بسبب النقاب وتزمت والدها هو ما دفع الفتاة لهذا السلوك الدنيء. وبالطبع انتابتنني الدهشة لسماع هذه الكلمات من جارتني المسلمة المتدينة وأبديت لها دهشتي هذه فأجبتها بالقول: "إن النقاب وحده هو الذي يحفظ بناتنا من خطط الرجال القذرة. فإذا لم نكن نحن نحافظ عليهم فمن سيحافظ عليهم؟ انظري إلى المسيحيين فإنهم يسمحون لبناتهم أن يصرن في الشارع دون ستر أجسادهن ويسمحوا للأولاد بمداعبتهن تارة بالكلام وتارة اللمس بالأيدي. فهم يجلبون المشاكل لأنفسهم. وعلى الأقل فإن بناتنا محتشمين ويغطون أجسادهن. وأنا لا ألقى باللوم على والد هذه الفتاة ولا على النقاب لكن ألقى باللوم على سائق التاكسي الذي لا بد أنه خدع المسكينة لجعلها تظن أنه أحبها."

كان الأمر في غاية الصعوبة على أميرة أن تسمعه وبصفة خاصة هذا اليوم بالذات. فأخبرت عمتها بصوت به نبرة مختلطة بالخلج والخوف "عمتي العزيزة إنها أخبار مؤلمة ويجب عليّ أن أذهب فوراً لأصلي وأدعو الله أن يحفظ عائلتنا من حدوث مثل هذه المأساة."

وبهذا الرد لم تستطع عمتها أن ترفض طلبها هذا بأن تصلي فتركتها وقالت لها: "بالطبع يا عزيزتي اذهبي وادعي الله أن يحفظنا جميعاً.. أنا أزعجتك بهذا الكلام فلذا صلي واستريحي وأنا سأقوم بإعداد وجبة العشاء لإخوتك."

استراحت أميرة لانتهاه هذا الحديث وتحاملت على نفسها حتى وصلت إلى غرفتها وارتمت على سريرها غارقة في بحر من الدموع وبدأت تصلي بصراخ: "آه يارب.. هل هذه علامة تحذير منك؟.. ماذا تريد أن تقول لي؟.. هل أنا منخدعة بهذا الرجل المسيحي؟ ماذا يعني كل هذا؟"

ومن شدة التعب لم تستطع أميرة التفكير أكثر من ذلك في هذا الأمر لذا نامت بدموعها.

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي استيقظت أميرة وليس لديها أية رغبة في الذهاب إلى المستشفى بل فضّلت أن تمكث على سريرها طوال اليوم محاولة أن تنسي ما سمعته طوال يوم أمس. إلا أن محاولتها باءت بالفشل نتيجة لطرقات أخيها على باب غرفتها قائلاً لها: "يا أختي.. ماذا تفعلين؟.. هل مازلت في السرير؟!... يجب عليّ أن أذهب لعملي.. دعينا نذهب."

لم تفهم أميرة ما هو ارتباط عمل أخيها بها لكنها لم تجرؤ على الاستفسار وارتدت ملابسها بسرعة واستعدت للخروج مع أخيها. وحالما نزل أخوها معها بادرها بالقول: "بالتأكد عمتنا الفضولية هذه أخبرتك بما حدث لجارتنا أمس.. فهذه الفتاة البلهاء أفسدت يومي حيث أنه أصبح لزاماً عليّ أن أرافقك وأحرسك في ذهابك وإيابك من المستشفى لمدة أسبوع على الأقل حتى تستقر الأمور. أنا لا أستطيع أن أصدق كيف أنه بسبب فتاة بلهاء تتحول حياة الآخرين إلى تعاسة بهذه السرعة."

بعد سماع أميرة كلمات أخيها، لم تستطع الإجابة أو الرد عليه وتبعته صامتة إلى خارج المنزل. وأشار أخوها للناكسي فتوقف أمين بالناكسي حيث أنه كان الوحيد في الشارع في هذا الوقت. وشكراً لله أن أخاها لم يكن "علي" الذي رافقها من قبل في سيارة أمين بل كان أخوها الذي يدعي "حليم" وهو الأصغر من "علي". وقد أوكل إليه

"علي" مهمة مراقبة أميرة أخلاقياً ولم يكن يريد حلیم هذه المهمة كما لم يكن يريد الاستمرار فيها لكنه أراد أن يفعل هذا في اليوم الأول لينال رضى أخيه مظهراً له الطاعة في تنفيذ ما أوكله إليه.

ركبت أميرة التاكسي مع حلیم وهي متوترة وجلس حلیم في المقعد الأمامي بجوار أمين. وبعد ما قال حلیم لأمين اسم المستشفى التي سيذهبون إليها فعل شيئاً غريباً.. نظر نظرة مباشرة إلى وجه أمين قائلاً له: "لقد جعلتم حياتي بائسة يا سائقي التاكسيات حيث أنه لا يمكن الوثوق بكم فلذا يجب عليّ أن أصطحب أختي إلى أي مكان تذهب إليه. يا إلهي كم أن هذه الحياة غير عادلة!"

لم يكن أمين يدري ماذا حدث أو كيف يجاوب حلیم فكل ما أمكنه أن يجاوب به هو "معذرة".

ابتدأ حلیم وهو لا يعلم أي شيء عن العلاقة بين أمين وأميرة في سرد القصة بكاملها لأمين: "إن الفتاة البلهاء التي تسكن في الطابق الأعلى منا ألفت بنفسها من شرفة مسكنها وانتحرت بسبب سائق تاكسي! فهل لك أن تتخيل هذا؟! فإن الحي بأكمله أصبح يعيش في حالة من الذعر خوفاً من حدوث مثل هذا الأمر مع بناتنا. أما بالنسبة لي فأنا لا أرى أية مشكلة في هذا الأمر فقد فعلت هذه الفتاة الصواب عندما قتلت نفسها لكي لا تجلب العار والفضيحة لأسرتها. وهكذا فأنا الآن ألعب دور المرافق والحارس لأختي هذه البلهاء التي سوف لا تدرك ماذا سيفعل معها أي رجل حتى لو اقترب منها. وهي في رأيي لا تستحق أن

أضيع وقتي ومجهوداتي معها في أي شيء. وعلى أي حال فأنا أفعل هذا الأمر كمنظر أمام الناس في الحي ولكنني لا أنوي أن أستمّر في هذه التمثيلية طويلاً. فعلى أي حال فهي مجرد بنت. فما أهميتها؟! فلو حاولت أميرة مجرد لفت الأنظار إليها فهي تعلم تماماً أننا سنقتلها فوراً.. ولا يكون لديها وقت لإلقاء نفسها.. ها ها..".

شعر أمين بغليان داخلي وغضب شديد مصحوبين بالغضب من كلمات حلیم، فلم يستطع أن يوقف رد فعله فلذا خوفاً من أن يتناول عليه بكلمة على فمه فتوقف بالسيارة على جانب الطريق وأمر حلیم بلهجة شديدة: "أخرج من سيارتي حالاً!!.. ليس من حقك أن تهينني في سيارتي. كما أظن أنه ليس من حقك أيضاً أن تهين شقيقتك. فلن أسمح لشخص مثلك أن يركب سيارتي.. أخرج فوراً!!!"

ترك حلیم التاكسي مسرعاً من شدة ذهوله لتصرف أمين معه، ولكن تصرف حلیم بعد ما خرج خارج التاكسي كان صدمة حقيقية لأمين وأميرة معاً إذ قال: "خذها.. اغتصبها.. فأنا لا يهمني ما يحدث لهذه البنت عديمة القيمة فإنها مثل النفاية مثل أمها تماماً لا فائدة منهما. وأنا لن أخسر حياتي بالتعامل معها."

وعندها انطلق حلیم تاركاً أميرة مع أمين في التاكسي بمفردها.

بمجرد أن اختفى حلیم عن الأنظار التفت أمين إلى أميرة وكانت تجesh في البكاء فقال لها: "يا أميرتي كيف بمقدورك الاستمرار في كل هذه الكراهية المحيطة بك؟!"

فأنت في نظر الله أعلى من الماس والجواهر الثمينة والله يريد أن يظهر لك محبته بشدة. واعلمي أنني أيضاً أهتم بك كثيراً. فمن فضلك اسمحي لي أن أساعدك."

لم تستطع أميرة أن تتوقف عن البكاء. وعندما أدرك أمين عدم استطاعتها في الرد استمر في قيادته للسيارة حتى وصلا إلى المستشفى. وهمست أميرة قبل مغادرتها للتاكسي قائلة: "أنا خائفة جداً يا أمين.. ولست أعلم ماذا أفعل؟!.. كما لا أعلم ماذا ستفعل أُمي..؟! فإن حياتنا امتلأت بالكراهية..."

قال أمين: "اسمحي لي أن أراك ثانية عصر اليوم.. حتى نتحدث سوياً فأنا أعلم مدى جرحك وارتباكك."

أجابت أميرة: "لا.. لا أستطيع اليوم فلقد رأيت ما حدث معي فإنهم سوف يراقبونني.. وأنا أخشى ذلك". ثم تركت أميرة السيارة مسرعة إلى المستشفى .

جلست أميرة طوال اليوم على الكرسي بجوار أمها منزوية دون حركة وهي لا تستطيع أن تستجمع أفكارها مما حدث معها خلال اليومين الماضيين. وفجأة حضرت الممرضة وعندما رأت حالتها هذه عرضت عليها أن تعطيها مهدئاً. وكانت أميرة تريد فعلاً أن تستريح من آلامها وعذابها الداخلي إلا أنها كانت تخشى أن تتناول المهدئات ويصل بها الأمر إلى أن تصبح مثل أمها دون حراك فلذا رفضت أن تأخذ المهدئ. ونظرت أميرة إلى وجه والدتها المريضة جداً وإذ هو أكثر شحوبة من قبل

وكانها شعرت بأن هناك شيئاً ما حدث مع أميرة خلال
اليومين الماضيين.

فكرت أميرة "ما الحل؟!... ما العمل؟!.. هل يمكن أن
يكون الانتحار هو الطريق الوحيد للتخلص من هذا
الجحيم؟!..." وصرخت قائلة: "ساعدني يا الله."

الفصل الخامس عشر

مر اليوم ببطء شديد يعلوه ضباب كثيف وأميرة مازالت منزويه في الكرسي بجوار أمها إلى أن حضرت الممرضة لتخبرها بانتهاء موعد الزيارة و عندها نظرت أميرة إلى ساعة يدها وفوجئت بأن الساعة الآن تقترب من الثامنة مساءً. فملاً الرعب قلبها وعقلها. وقبل أن تصل أميرة إلى باب الحجرة فوجئت بأخيها "علي" يدفع باب الحجرة صائحاً فيها: "أين أنت يا غبية؟" هل لم تدري أنك تأخرت لمدة ساعة عن موعد عودتك للمنزل؟ فماذا تفعلين هنا طول اليوم أتحمين أحلام اليقظة؟ وهل تريدين أن تتسببي في فضيحة لعائلتنا أيضاً؟ هيا انهضي بسرعة ودعينا نذهب."!

ثم دفعها إلى خارج الحجرة حتى دون أن يسأل عن أمه المريضة. وسارت أميرة أمامه مطأطئة رأسها ولم تجرؤ على أن ترفع رأسها لتتنظر حولها عندما خرجت من المستشفى لترى هل أمين ينتظرها أم لا؟ كان هناك تاكسي ينتظر "علي" فدفع أميرة إلى داخل هذا التاكسي. وهكذا لم ير كل من "علي" وأميرة أمين الذي كان في انتظار أميرة ورآهما أمين من بعيد. وعندئذ أدرك أمين أن أميرة في محنة جديدة. فماذا يمكن لأمين أن يفعل ليساعدها؟!... هل سيراها مرة أخرى؟...!

ظل "علي" يؤنب أميرة في التاكسي على أنها تأخرت عن موعد عودتها إلى المنزل. وأنها خاطرت بسمعة

العائلة أمام الحي بالكامل بفعلتها هذه. وقد حامي عنها من قبل عندما تناولت على عمتها لكنه من الصعب عليه أن يحامي عنها ثانية. فقال لها: "علي" إن هذه هي الفرصة الأخيرة بالنسبة لك ولو حدث أي شيء آخر في مرة قادمة فسوف يخبر والده بكل ما حدث."

لم تستطع أميرة التوقف عن البكاء وكانت تشعر وكأن سهاماً تُغرز في قلبها. وهكذا كان مقدار الألم الذي احتملته أميرة من أفراد عائلتها هذا اليوم على وجه الخصوص. ولم يتوقف الهجوم على أميرة عند هذا الحد بالنسبة "لعلي" لكن عمتها فاجأتها فور دخولها المنزل بوابل من الصرخات والتهديدات والانذارات فدخلت أميرة مطأطئة رأسها ولم ترفع عينها حتى وصلت إلى غرفتها. وعندما همت أميرة بإغلاق باب غرفتها لفت انتباهها الوعيد الأخير من عمتها وهو أنها سوف تحرمها من الذهاب لأمرها في المستشفى إذا لم تكن على قدر من المسؤولية. وعندها استدارت أميرة فجأة وارتمت عند قدمي عمتها تتوسل إليها قائلة وهي تبكي: "من فضلك يا عمتي العزيزة اسمحي لي بأن أستمّر في الذهاب إلى المستشفى لأرعى أُمّي فليس لديها أحد سوى، ولن أنسي موعداً ثانية وسأعود دائماً في الموعد إلى المنزل.. ولن أفعل شيئاً يسيء لسمعة العائلة.. فمن فضلك يا عمتي!!..."

أجابتها عمتها: "آه.. انصرفي وابعدي عني.. فأنت بنت غبية يمكنك أن تمكثي مع أمك.. فأنت على شاكلتها وإياك

أن تتأخري مرة أخرى!.. فأنا المسئولة عن شرفك طوال فترة غياب والدك!!"

أجابت أميرة: "أشكرك.. أشكرك يا عمتي وأنا لن أخذلك مرة أخرى."

إن هذه المواجهة التي حدثت بين أميرة وعمتها أعادت للأميرة صوابها مرة أخرى فأدركت أنها يجب أن تضبط نفسها في كل تصرفاتها لتتمكن على الأقل من الخروج من المنزل والذهاب إلى المستشفى وإلا فلن تجد أي وسيلة للهروب من هذا الجحيم.

وهكذا يجب على أميرة أن تعيد تفكيرها من جديد في ضوء ما حدث معها في اليومين الماضيين وعليه تقرر ماذا يجب أن تفعل في المستقبل. وفكرت أميرة أن تأخذ حماماً دافئاً أولاً لتنعش روحها وهكذا فعلت ثم عادت إلى حجرتها وهي على استعداد لمواجهة المستقبل بعزم جديد. بدأت أميرة تفكر في أول أمر يهتمها وهو قصة أمين. وبينما كانت أميرة تستحضر كلمات أمين مرة أخرى بدأت تناجي الله بطريقة جديدة لم تعهدها من قبل. وأدركت أن الله هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يسمعها. فهل هناك شخص آخر غيره يمكنه أن يسمعها؟! لا بد لها أن تثق أن الله حقاً يهتم بها. فقد اهتم بها بالقدر الكافي بأن سمح لها أن تكون في هذا العالم وبالتأكيد لم يأت بها إلى العالم لمجرد أن يسمح لها أن تعاني نتيجة وجودها في أسرة سيئة. واعترفت أميرة مسلمة أنه لا يوجد شيء يحدث في هذا

العالم بدون معرفة وسيطرة الله. فهل أمين هو جزء من خطة الله لها؟! لكنه مسيحي!!؟؟ وهكذا بدأت تصلي.
"يا الله المنعم.. الرحيم.. العزيز.. خالق الكون.. أنت مصدر كل الأشياء وأنت المتحكم الأوحد في كل الأشياء في العالم. يا رحيم أنه من الصعب جداً عليّ أن أفهم كلمات أمين التي قالها لي عنك. إلا أن الفكرة بأنك إله محبة تبدو رائعة على مسامعي. فأنا أعترف بأنني مرتعبة منك طوال حياتي وأنت تبدو لي دائماً الله المنتقم أكثر من أنك الله الذي يحب خليقته. فهل حقاً يا الله أنت تحبني؟! هل يمكن حقاً أنك تريد عمل علاقة بالإنسان ومعني أنا أيضاً!!؟ ولكن أرجوك يارب أن تسامحني إن كنت أجدف عليك الآن لكنني في حاجة لأن أعرف الحق. هل من الممكن أن يكون عيسى النبي هو حقاً ابنك وأنت أرسلته فعلاً لكي يموت من أجل خطايا البشرية؟! يا الله المنعم والرحيم ليس لي أحد أسأله هذه الأسئلة إلا أنت.

فإذا كان عيسى أو يسوع كما يدعوهُ أمين مرسلاً منك حقاً ويجب عليّ أن أؤمن بما قاله أمين، فهل من الممكن أن تعرفني هذا؟ وقد قال أمين إنك تكلمت إلى والده عن طريق حلم. وأنا لا أستطيع أن أقول لك ماذا تفعل معي يا الله القدير ولكنني أنا محتاجة إليك وأتوسل إليك أن تبين لي حقيقة عيسى.

يا الله العلي على الرغم من أنني أريد أن أطلب منك أكثر عن مستقبلتي ولكنني أعلم أنني طلبت منك أكثر مما يجب أن أطلبه في ليلة واحدة. فلذلك أنا أترك بين يديك أمر

المستقبل. ومن فضلك ساعدني لاتخذ القرارات الصائبة.
شكراً لك."

على الرغم من أن أميرة شعرت بالخوف بسبب
جرأتها في طلب مثل هذه الطلبات من الله إلا أنها شعرت
لأول مرة بحالة من الهدوء الذي ساد عليها وعندئذ قررت
مع نفسها أن تستمر الأمور كما هي عليه مع أمين حتى
يأتي الوقت الذي يبين الله لها أن تفعل غير ذلك حيث أنه
جاء في حياتها كمصدر للمساعدة والراحة. فهل لا تستطيع
أن ترفضه بعد.. وأكثر من ذلك أليس لها مشاعر من
ناحيته؟! فعلاً لقد افتقدت رؤيته هذا المساء. فقد كان يجب
عليها أن ترفع رأسها عند خروجها من المستشفى لترى
هل كان ينتظرها أم لا فعلى الأقل كانت ستدرك شفقتة
عليها لكنها لم تفعل ذلك .

"آه" تنهدت أميرة قائلة: "ماذا لو لم يأت ثانية؟... ماذا
لو اعتقد أنني أتحاشاه...؟ اهْدأي يا أميرة.. كوني هادئة."
بدأت تتجه أفكار أميرة نحو الفتاة التي أَلقت بنفسها
وماتت. كيف يحدث هذا في مثل هذا التوقيت بالذات؟!
عرفت أميرة أن هذه علامة واضحة لتكون أكثر حرصاً
مع أمين .

وعلى الرغم من أن دمشق عاصمة كبيرة وتكتظ
بالملايين من البشر إلا أنها تبدو كواحدة من المدن
الصغيرة. ففيها يرى الناس ويلاحظون بعضهم البعض
ويتكلمون كثيراً. فلذا يجب عليها أن تخطط تخطيطاً محكماً
لكي لا يكتشفها أحد في حالة هروبها .

وأفضل شيء يمكن عمله هو الإسراع في الهروب
معه بأقصى سرعة بدلاً من أن تطول علاقتها مع أمين
وتكون معرضة للخطر. ولكن توجد أمور كثيرة جداً يجب
أن تدرسها جيداً قبل الهرب. وعلى أي حال فهي لا تعلم
حتى الآن إذا كان أمين يفكر في مساعدتها بهذه الطريقة أم
لا؟

بعد عناء التفكير هذا قررت أميرة أن تأخذ قسطاً كافياً
من الراحة, وقد تبدو الأشياء مختلفة في الصباح.

الفصل السادس عشر

كانت أميرة تتمنى نوماً عميقاً لكن جاءها النوم هذا المساء بصعوبة. وأثناء الليل انتابها شعور غريب وكأن شيئاً أو شخصاً ما معها في الحجرة. وعندما فتحت عينيها رأت ضوءاً لامعاً وهيئة إنسان يقف أمامها. اعتقدت أنها بالتأكد في حلم مع أن هذا كان يبدو وكأنه حقيقة واقعة وفجأة تكلم هذا الإنسان: "يا أميرة لقد جئت إليك استجابة لصلاتك.. يا أميرة يجب أن تعرفي أن كلمات أمين عني هي حقيقة. وأنا أتيت إليك لتؤمنني وليكون لك حياة جديدة وبداية جديدة مع الله.. الله يحبك يا أميرة ثقي فيه.. ثقي في كلماته.. هو يعلم بكل احتياج لك وسيقودك في الطريق الصحيح". وعندها اختفى هذا الرجل.

جلست أميرة في ذهول وصمت لما رآته وسمعته. "هل هذا حقيقي؟... من يكون هذا الرجل؟"

بدأت أميرة تتذكر ما قاله أمين لها عن والده وماذا طلب من الله.. أن يظهر له في حلم.. هل من الممكن أن تكون هي أيضاً قد رأت نفس يسوع هذا؟ ويسوع هذا قال لها إن الله يحبها؟.. فكيف يمكن أن الله يحبها؟ فهي لم تعرف المحبة الحقيقية في حياتها من قبل إلا من والدتها. فماذا فعلت هي لتستحق محبة الله هذه لها؟!

وبالرغم من أنها لم تفعل شيئاً تستحق لأجله هذه المحبة إلا أن هذا لا يقلل من شأن حقيقة رغبتها الشديدة لهذه المحبة من كل قلبها.

وكلما فكرت أميرة أكثر في ما قاله هذا الرجل فقد أدركت أنه يسوع -يسوع الذي كلمها أمين عنه. إنه حقاً من الله ويستطيع أن يمنحها حياة جديدة. وهذا ما كانت أميرة تتمناه وتحلم به. ولكنها لو آمنت بيسوع وأصبح لها حياة جديدة من خلاله فهل هذا سيغير ما يحدث من حولها؟ بالتأكيد نعم. وعلى الرغم من أن هذا لم يكن من السهل عليها إلا أنها آمنت أن الله يحبها حقاً وقد أرسل يسوع ليظهر لها الطريق إليه.

أخذت أميرة بسرعة وضع الصلاة راحة على الأرض وبدأت تصلي "يا الله يا رحيم يا منعم.. إنك حقاً منعم فأنت ترسل لي هذه الرسالة وأنا لا شيء. يارب أنا أؤمن أن يسوع جاء ليعطيني حياة جديدة وبداية جديدة. وأنا أؤمن أنك تحبني وأرسلته لتسمح لي بأن أعرفك بطريقة جديدة. غيرني يارب واعطني بداية جديدة وحياة جديدة. أنا أريد أن أتبع تعاليم يسوع وأعرف الطريق الذي تريد مني أن أسلك فيه. عرفني كيف أتبعك.. سامحني يا رحيم، فأنا التي سمحت للخوف والخطية أن يفصلاني عن معرفتك وعن محبتك."

وعندما انتهت أميرة من صلاتها أدركت أن حياتها تغيرت وستكون مختلفة عند شروق شمس هذا الصباح. لقد فعل الله شيئاً ما بداخلها فشعرت بسلام لم تشعر به من قبل ولا تستطيع حتى أن تصفه. وعلى الرغم من أنها لا تعلم ما ينتظرها في المستقبل إلا أنها أدركت أن كل شيء على ما

يرام. فهي الآن في يد الله. ثم عادت إلى سريرها ونامت
نوماً هادئاً.

عندما استيقظت أميرة في صباح اليوم التالي تساءلت
هل من الممكن أن يكون هذا مجرد حلم؟. ولكنها وهي
ترتدي ملابسها أدركت أن هذا كان حقيقياً. فلقد كان السلام
ما زال بداخلها وكانت تتطلع حقاً لترى ماذا سيحدث معها
هذا اليوم. فحيّت عمّتها بقبلة دافئة حتى وقفت مذهولة لهذا
التصرف وتناولت طعام الإفطار بشهية ثم توجهت إلى
خارج المنزل للذهاب إلى المستشفى. وأدركت أنها ستذهب
إلى المستشفى بمفردها حيث لم تر حليم هذا الصباح.
وتفوهت أميرة بصلاة سريعة تطلب فيها أن يكون أمين في
انتظارها.

الفصل السابع عشر

لم يستطع أمين أن يتوقع حالة أميرة التي ستكون عليها عندما يصطحبها هذا الصباح. ففي آخر مرة رآها فيها كانت إنسانة مكسورة ومجروحة بل محطمة. ولم يكن متأكداً أيضاً هل سيجرؤ أن ينتظرها كعادته كل صباح. ولكن ما أن رآها تخرج من المنزل، رأى فيها شابة متألفة واثقة بنفسها. فقاد سيارته نحو المنزل. فما أن رآته أميرة فقفزت بسرعة داخل السيارة ولم تستطع أن تتمالك نفسها عن الحديث حتى يصل إلى آخر الشارع فبادرت على الفور بالحديث مع أمين عما حدث معها فقالت وهي تشعر بسعادة غامرة: "يا أخي أمين أليس هذا صباحاً رائعاً؟..!" لم يستطع أمين أن يدرك ماذا حدث معها فأعاد عليها القول مبادلاً إياها نفس الشعور: "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج به."

قالت أميرة: "إن هذا الكلام جميل.. هل هو من الإنجيل؟ هل يمكن أن تقوله مرة أخرى من فضلك؟". فقال أمين: "هذا هو اليوم..." ولم يستطع أمين أن يكمل الآية حيث أنه أصبح شغوفاً جداً لمعرفة ماذا حدث مع أميرة فبادرها على الفور بالسؤال: "يا أختي أميرة ماذا حدث معك؟ فلقد شاهدتك بالأمس وقد كنت في حالة يأس شديدة وأما اليوم فتبدلين وكأنك امرأة جديدة." أجابت أميرة: "أنا امرأة جديدة يا أخي والله هو الذي جعلني هكذا!! وأنا متلهفة أن أحكي لك عن هذا وأشكرك

على انتظارك لى بالأمس. وتساءلت مع نفسي هل
انتظرتني طويلاً."

"بالطبع انتظرتك وكنت قلقاً عليك عندما لم أرك في
السابعة مساءً ولم أرغب في الدخول إليك في المستشفى
حتى لا يراني أحد. واسترحت كثيراً عندما رأيت أخاك
يصطحبك إلى المنزل. فأخبريني الآن ماذا حدث لك
بالأمس؟"

قالت أميرة: "أمين.. إنه شيء رائع.. لقد جاء إلي
يسوع هذا المساء. فلقد رأيت ضوءاً لامعاً وشكل إنسان
يقف مقابلي وفي البداية لم أكن أعلم من هو ذا الشخص
ولكنه تكلم معي."

سألها أمين: "هل تكلم معك؟!.. وماذا قال لك؟"
فشاركت أميرة بإثارة: "لقد قال لي أن ما قلته أنت عنه
كان حقيقة، وأن الله يريد أن يعطيني حياة جديدة وبداية
جديدة. فقط كل ما يجب عمله هو أن أؤمن به. وقال لي
أيضاً أن الله يحبني أليس هذا مدهشاً يا أمين؟؟"

عندئذ ابتسمت أميرة وقالت وهي تومئ برأسها
مستمرة على قولها: "إن الله يحبني ثم اختفى بعد أن قال لي
هذا الكلام فركعت على ركبتي وصليت إلى الله طالبة منه
حياة جديدة. وقلت له إنني آمنت أنه أرسل يسوع إلى العالم
ليرينا الطريق إلى الله.. يا أمين هناك شيء آخر فاتني أن
أقوله لك، هل لديك الكتاب الذي فيه تعاليم يسوع؟ فأنا أريد
أن أعرف ما قاله يسوع. هل لديك إنجيل؟؟"

غمر الفرح قلب أمين لما سمعه وأصبح من الصعب عليه التركيز في قيادة السيارة، فانتحى جانباً بالسيارة قبل أن يصل للمستشفى. وبسرعة أدار وجهه نحوها ونظر إلى وجهها وقال لها: "أختي أميرة.. إن هذه أعظم أخبار قد سمعتها. ففي نفس الليلة بالأمس كنت أنا أيضاً أصلي إلى أبي طالباً منه أن يُعرفك بنفسه.. وها هو قد فعل أليس هذا عجباً؟ وأنا مسرور جداً بأنك الآن تعرفين مقدار محبة الله لك. وستغير حياتك عما كانت عليه في الماضي."

توقف أمين للحظة ثم استطرد بإبتسامة قائلاً: "نعم أنا عندي إنجيل وسأحضره لك كما يُمكنك أن تشتريه بسهولة في أي وقت في دمشق. وأنا أعتقد أن كل المسلمين يجب أن يقرأوا الإنجيل. فبينما كنت بالأمس "مُسَلِّمة" لله على أنه هو السيد أما الآن فأنت "مُسَلِّمة" له من واقع محبتك له ولأنه هو يحبك. ويسوع هو الذي فعل هذا التغيير."

أغلق أمين عينيه للحظات في محاولة منه أن يتخيل منظر وصورة المسيح وبعدها قال للأميرة: "بماذا كنت تشعرين بينما كنت تريه.. آه.. أميرة.. كم أنا سعيد لأجلك ولكن...!! ها...!! ماذا أنا فاعل..؟! إنه يجب عليّ أن أوصلك إلى المستشفى فوراً حتى لا تتأخري عن موعدك ويترتب على ذلك أن يحضر أخوك الأكبر لاصطحباك مرة أخرى كما حدث بالأمس."

أجابت أميرة: "إنك فعلاً على حق يا أمين فيجب أن أذهب إلى المستشفى فوراً.. أشكرك لتشجيعك وأتمنى أن تشاركني أكثر عن يسوع وعن طريقه.. وأنا أريد أن

أعرف كل ما يمكن معرفته عنه. وكم أتمنى أن نصرف وقتاً أطول في الحديث معاً ولكنني أعلم مدى احتياج أمي لي. وكم أحب أن أشارك أيضاً مع أمي عن يسوع فهي بحاجة لأن تعرف أن الله يحبها أكثر من أي شخص آخر." وعندها وصلا إلى المستشفى وقالت لأمين وهي لا تريد أن تترك التاكسي: "سأراك في المساء يا أخي.. يومك سعيد" وعندما همت بالخروج من التاكسي قال لها: "ليكن يومك رائعاً في أول حياتك الجديدة يا أختي.. نلتقي في المساء."

صعدت أميرة سلم المستشفى وكأنها تطير في الهواء متوجهة إلى حجرة أمها إلى أن اصطدمت بالواقع عندما وجدت الحجرة فارغة وبها إحدى الممرضات تخبرها بأن صحة والدتها تدهورت أثناء الليل مما استدعى الأمر إدخالها حجرة العناية المركزة ووضعها تحت المراقبة بالأجهزة ولما كنا متأكدين من أنك ستحضرين في موعدك اليومي لذا انتظرنا حتى الصباح ولم نستدعيكم تليفونياً. ودعينا نذهب معاً إلى هناك. لم تستطع أميرة أن تصدق ما سمعته من الممرضة. ألم يكن هذا هو أول يوم في حياتها الجديدة؟ وألم يكن من المفترض أن يكون كل شيء رائعاً مادام الله هو المتحكم في الأمور الآن...؟!!

"فماذا حدث...؟! فماذا حدث لأمي...؟! أين الله؟!!" عندما دخلت أميرة إلى عنبر العناية المركزة صُدمت أميرة من حالة أمها عندما رأتها راقدة دون حراك ويتصل بجسمها أنابيب الأكسجين في أنفها وخرطوم السوائل التي

تدخل جسمها وأجهزة قياس القلب والنبض التي تتصل بالشاشات التي تقرأ هذه البيانات لحظة بلحظة حتى يمكن متابعة الحالة الصحية لأمرها. وقد كان هذا الموقف أكثر مما تستطيع أميرة أن تتحمله. فلذلك ألقت بنفسها على الكرسي وانخرطت في بكاء شديد .

عندئذ حضر الطبيب وابتدأ يشرح للأميرة حالة أمرها فقال: "لولا العناية الإلهية لانتهدت حياة أمك ليلة أمس ولسوء الحظ لسنا نعلم سبباً واضحاً لما حدث من تدهور صحة أمك، فمن المحتمل أن يكون نتيجة لآثار جانبية من أحد الأدوية التي نعطيها لها ولذلك فنحن الآن نحاول إنقاذها عن طريق المحاليل وأثناء ذلك سنغير لها الأدوية بأخرى، لكنها مازالت في حالة سيئة. فإذا لم يكن لديها الرغبة في الحياة فستتدهور حالتها أكثر. وأنا أستطيع فقط أن أشجعك لتتحدثي معها في محاولة إقناعها ليكون لديها حب للحياة. وأنا متأسف حيث أنني لا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك."

همست أميرة: "أشكرك يا دكتور" ومضى الطبيب تاركاً إياها بمفردها مع أمرها في العنبر وابتدأت أميرة ثانية في البكاء ولكن في هذه المرة كانت تبكي صارخة إلى الله "يا الله العزيز.. الكريم والرحيم لقد قلت لي ليلة أمس أنك تحبني وأنا صدقتك. وشعرت نتيجة لهذا التصديق بالتغيير الذي طرأ على حياتي ولكن انظر إلى حالة أمي الآن!! هل ستسمح لها بأن تموت دون أن تعرف محبتك لها أيضاً؟ يا الله إنها أمي التي أنا أحبها وهي كل مالي في هذه الحياة

وهي الوحيدة التي تعاملني معاملة طيبة. فمن فضلك لا تأخذها مني. فأنا أريد أنها تعرف عن يسوع. وأنا أريدها أن تراني وأنا سعيدة. فبالأكيد طريقك لهروبها من ظروفها الصعبة لن يكون بموتها!! أفلا تسمح لها بأن تعرف القليل من السعادة في هذه الحياة قبل ذهابها إلى الحياة الأخرى؟! فلو أنت تحبها أفلا تسمح لها بأن تعيش؟! ساعدني يا الله وانقذ أمي."!!

وبينما كانت أميرة جالسة تبكي سمعت صوتاً هادئاً يهمس بداخلها. لم تختبر أميرة مثل هذا الأمر من قبل طيلة حياتها لكنه كان صوتاً حقيقياً ومسموعاً "يا ابنتي أميرة.. أنا أحبك فعلاً.. وأنا أحب أمك فعلاً.. لم يأت الوقت بعد لتموت أمك لكن هذا هو الوقت الذي فيه تخبرينها عن محبتي لها فهي بحاجة لتسمع هذا منك. فأنت الوحيدة التي تستطيع أن تقدمي لها الرجاء الذي اختبرتيه أنت اليوم. وهذا سوف يغير حياتها تغييراً كلياً."

مسحت أميرة دموعها وركعت على الفور بجوار سرير أمها وطلبت أولاً من الله أن يعطيها الكلام الذي ستقوله لأمها ثم بدأت تهمس في أذن أمها بينما تمسك بيدها قائلة: "يا أمي العزيزة ... العزيزة جداً.. هناك أشياء كثيرة يجب أن تعيشي لأجلها فلا يمكن أن تموتي... ماما.. أنا أحتاج إليك... ماما.. أنت كل مالي في هذه الحياة.. فمن فضلك لا تتركيني وحيدة."

بدأت أميرة وهي تمسك بيد أمها باستماتة تتحسس بيدها الأخرى على شعرها ودموعها تنهمر مرة أخرى

وهي تقول: "ماما.. الله يحبك.. نعم الله يحبك أنت وهو يرى ضيقك وجراحك وآلامك وهو يريد أن يشفيك ويعطيك الرجاء. أتعرفين ماذا يا أمي؟" ركعت أميرة ثانية بجوار أمها ومسحت دموعها: "أنا الآن عندي رجاء.. نعم.. الله أعطاني أملاً جديداً حتى مع وجود كل هذه المشاكل التي في عائلتنا.. ولكم كانت فرحتي وأنا أستيقظ هذا الصباح وكلني لهفة في أن أعرف ماذا سيفعل معي الله في هذا اليوم. لقد وجدت السلام يا ماما.. إنه سلام عجيب. أتعرفين كيف حصلت على هذا السلام؟..

المسيح عيسى يا ماما قد أتني إليّ ليلاً وأخبرني بأن الله يحبني ويريد أن يعطيني حياة جديدة وبداية جديدة.. يا ماما أنا آمنت به وعندما آمنت به غمرني سلام عجيب. ولم أشعر بسعادة مثل ما أشعر بها اليوم. وما يحزنني هذا اليوم هو فقط أنني أراك يائسة.. لا تياستي يا ماما.. فهناك أشياء كثيرة جداً تستحق أن تعيشي لأجلها أكثر من أبي وإطعام الأولاد والعيش داخل أربعة جدران المنزل. إن الله لديه خطة أفضل لحياتك ويريد أن يعطيك رجاء."

ثم ضغطت أميرة على يد أمها بشدة واستمرت قائلة: "لا تياستي يا ماما من فضلك حاولي أن تختبري ما اختبرته أنا فسوف تتغير أشياء كثيرة في حياتك يا ماما، ارجعي لي يا ماما من فضلك."

استمرت أميرة على حالها قابضة على يد أمها لساعات طويلة وتصفف شعرها باليد الأخرى لتمنحها الإحساس باللمسات الجسدية على قدر المستطاع دون توقف. وبعد

فترة طويلة دخلت إليها الممرضة تقول لها يجب أن تذهب لتأكل شيئاً وتأخذ قسطاً من الراحة. استجابت أميرة لهذه النصيحة وتوجهت إلى المصعد لتذهب إلى الكافتيريا. وما أن دخلت إلى المصعد رأت من...؟! إنه أمين...!! وبمجرد أن رآها أمين عاد ثانية إلى داخل المصعد بدلاً من الخروج منه. ولم يكن بداخل المصعد سواهما فصاحت أميرة تقول: "ماذا تفعل هنا يا أمين؟!"

فأجابها أمين "بعد ما تركتك شعرت بحاجتك الماسة للإنجيل فقررت أن أحضره إليك سريعاً."
فسألته أميرة: "هل أنت ملاك؟!"
أجاب أمين: "أنا أبعد من أكون ملاك."

وهنا انفتحت أبواب المصعد وسارا سوياً إلى الكافتيريا ولحسن الحظ كانت الكافتيريا شبه خالية. وذهبا على الفور لشراء القهوة وجلسا معاً لاحتسانها وابتدأ كل منهما في الحديث. فسألها أمين: "كيف حال أمك اليوم؟".
أجابت أميرة: "لقد وجدتتها في حجرة العناية المركزة ولم يحدد الطبيب سبباً واضحاً لمشكلتها ولكنه قال إن حالتها سيئة جداً."

أجاب أمين: "أنا كلي أسف، فهل لا يمكن أن يفعلوا شيئاً لها؟!"

فقالت أميرة: "إن الطبيب قال إن هذا الأمر يرجع لأمي إن أرادت أن تخرج من هذه المحنة. كما قال لي أن أتحدث معها لمساعدتها في البقاء على قيد الحياة. وفعلاً حاولت معها طيلة هذا الصباح يا أمين فقد أخبرتها بكل

شيء عن يسوع وكيف أن الله يحبها لكنني لست متأكدة من أن هذا الحديث سيساعدها على الخروج من المحنة أم لا. فلقد بكيت كثيراً وأنا أحب أمي ولا أريد أن أفقدها، وأريدها أن تعرف هي أيضاً أن الله يحبها.. هل تعلم ماذا حدث معي يا أمين هذا الصباح..؟! لقد شعرت بينما كنت أصلي أن الله يتحدث إليّ وكان هذا الأمر غريباً بالنسبة لي فأخبرني الله أن أمي لن تموت حيث إن وقتها لم يأت بعد وهو يريدني أن أشاركها عن يسوع.. هل تصدق هذا؟؟".

قال أمين: "نعم أصدق هذا.. فهذا هو معنى الصلاة الحقيقية فهي ليست محادثة من طرف واحد، لكن الله يتحدث أيضاً إلينا. وهذه هي الطريقة التي بها ندرك أن روح الله القدوس يسكن بداخلنا ويعطينا حياة جديدة. إن الله حقاً يتكلم إلينا وهذه هي الحقيقة المثيرة في علاقتنا معه. وإن كان الله قد أخبرك أن موعد موت أمك لم يأت بعد فهذه فعلاً حقيقة.. وربما من أجل هذا أنا علمت أنه يجب أن أحضر لك الكتاب المقدس سريعاً. فوالدتك بحاجة لأن تسمع كلام الله الخاص لها."

فتح أمين الكتاب المقدس وقال: "يا أميرة إن هذا السفر يُدعي المزامير وهو يحتوي على كلام جميل عن الله ومحبه لنا، وأنا أعتقد أن أمك ستجد في هذا الكلام راحة وعزاء لها، فاقرأي لها بداية من مزمور 23 إنه رائع." أجابت أميرة: "أشكرك يا أمين.. إنك حقاً ملاك وقد أرسلك الله لي عوناً في وقت حاجتي."

وبعد انتهاء شرب القهوة معاً تصافحا مودعين
بعضهما وبداخلهما الخوف من أن يكون قد رآهما أحد معاً.
ولكن أمين وأميرة كانا متأكدين أن الله هو الذي قاد
خطواتهما في هذا اليوم بالذات وبالتالي شعرا باطمئنان من
جديد لهذه المعرفة. وعند دخولها إلى المصعد قالت لأمين:
"صلّ لأجلي وصلّ لأجل أمي". أجابها أمين "سوف
أصلي."

الفصل الثامن عشر

كانت أميرة تُمسك الكتاب المقدس بإحكام وهي في طريقها إلى حجرة أمها. ولما تأكدت من عدم وجود أحد في الحجرة مع أمها فتحت بسرعة مزموّر 23 الذي قال لها عنه أمين. وقبل أن تبدأ في القراءة همست في أذن أمها قائلة: "أمي الحبيبة أنا متأكدة جداً أن الله يحبك لأنه دبر طريقة لسماع كلماته الخاصة لك من خلال كتاب خاص جداً. وعلى الرغم من أنني أعلم أنك مندهشة من طريقة كلامي معك عن الله إلا أنني متأكدة أنك سوف تفهمين وتتشبعين مما ستسمعينه مني. وهذه الكلمات جديدة بالنسبة لي أيضاً ولكنني أعلم أن الله سوف يستخدم هذا الكلام لتحسن حالتك. اسمعي يا ماما وصدقي هذا الكلام." بدأت أميرة تقرأ: "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء. في مراعي خضرٍ يربضني. إلى مياه الراحة يوردني. يرد نفسي. يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه. أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي. مسح بالدهن رأسي. كأس يري. إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي وأسكن في بيت الرب إلى مدي الأيام."

بينما كانت أميرة تقرأ المزمور امتلأت بالعواطف الجياشة وصاحت قائلة: "يا أمي... هل سمعت هذا الكلام.. هذا الكلام الجميل..؟! إنه كلام الله لك يا أمي."

قرأت أميرة المزمور نفسه مرة أخرى لتتأكد من أن
أمها سمعته فعلاً. وكانت تمسك بيد أمها طوال فترة
قراءتها للمزمور، وعند قراءة الكلمات "يرد نفسي"
شعرت أميرة أن أمها تضغط على يدها فنظرت أميرة إلى
أمها فوجدت الدموع تنهمر من عيونها. وشعرت أميرة
على الفور بأن قلبها ينبض فرحاً: "يا ماما أنت فعلاً
تريدين البقاء في الحياة والله عنده خير لك.. عيشي يا أمي..
عيشي."

وبعد ما قرأت هذا المزمور للمرة الثالثة لأمها بدأت
تبحث عن مزمور آخر لتقرأه، فوجدت مزمور 37
وشعرت بأن كلمات هذا المزمور جميلة ويمكن أن تتحدث
لأمها مباشرة. "لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم،
فإنهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون ومثل العشب الأخضر
يذبلون. اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع
الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك
واتكل عليه وهو يُجري. ويخرج مثل النور برك وحقك
مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي
ينجح في طريقه من الرجل المجري مكاييد."
"أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم في
زمان الضيق. ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار
ويخلصهم لأنهم احتموا به."

ثم كررت أميرة: "تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك..
أليس هذا وعداً رائعاً يا أمي؟.. يا ماما.. أنا لم أقرأ من قبل

أي شيء مثل ما قرأت في هذا الكتاب. فهل تريد أن
تسمعي أكثر؟"

شعرت أميرة بضغط أمها على يدها أكثر وبدأ على
وجه أمها علامات الارتياح وهكذا قضت أميرة باقي اليوم
وهي تقرأ لأمها من الكتاب المقدس.

وعند نهاية اليوم قبل أن تترك أميرة أمها كعادتها
للعودة إلى منزلها دخلت الممرضة وقالت للأميرة: "يبدو أن
أمك في تحسن فالتنفس وسرعة النبض الآن في حالة جيدة.
ويبدو عليها الارتياح وأنا أعتقد أنها ستكون في حالة أفضل
هذه الليلة."

أجابت أميرة: "أنا أثق من هذا". وغادرت أميرة
الحجرة والفرح يملأ قلبها.

وعندما رأت أمين هذا المساء كانت أميرة سعيدة جداً
وهي تشارك معه التغيير الذي طرأ على أمها كنتيجة
لل كلمات التي سمعتها. وبينما كان أمين يقود سيارته صلى
هذه الصلاة "أبي السماوي.. أنا أريد أن أشكر في هذه
اللحظة على أمانتك مع أميرة ومع أمها. واشكر لأنك
لمستها بكلمتك. فمن فضلك تكلم إلى قلبها وإلى نفسها أكثر
حتى تُشفى تماماً وتسلمك نفسها بالكامل كما فعلت أميرة.
وأنا استودع مستقبلهم بين يديك. لأنني أعرف أنك تخطط
لهم خطط سلام لا شر. وأنت ستعطيهم رجاء ومستقبل.
أشكر.. أشكر يا إلهنا المنعم جداً لما فعلته اليوم. في اسم
المسيح أصلي.. أمين."

لم تفكر أميرة من قبل في أن تصلي بهذه الطريقة لله ولكنها أدركت أنه يجب عليها أن تتعلم الكثير عن حياة أتباع المسيح وقالت هي أيضاً: "أمين" على صلاة أمين، لأن الله كان صالحاً جداً معها هذا اليوم وقالت أميرة لأمين قبل وصولها لمنزلها: "أشكرك جداً يا أمين على الكتاب المقدس فأنا أريد فعلاً أن أقرأه بالكامل."
أجابها أمين "أشجعك أن تبدأي بقراءة إنجيل متى يا اختي وستجددين فيه حياة وتعاليم يسوع المسيح."
وبينما تفتح أميرة باب السيارة عند وصولها لمنزلها قالت: "سأفعل هذا.. تصبح على خير.."

بعدما دخلت أميرة منزلها قاد أمين سيارته لمكان هادئ خارج نطاق المدينة وترك سيارته جانبه وابتدئ يسير على قدميه وهو يصلي "أحمدك يارب لأنك بالرغم من أنك إله قدير لكنك تُظهر محبتك للإنسان.. أشكرك يا الله لأنك سمعت صراخ أميرة وأمها فكلاهما عانا بالظلم لمدة طويلة وكانا يطلبان معونتك فمن أنا حتى تستخدمني معهما. وأنا أشكرك لأنك أعطيتني الشجاعة لأشارك بإيماني وكلماتك معهما.. يارب ساعد أميرة لتنمو في إيمانها بك سريعاً.
أعطها حكمة لتعرف كيف تتصرف مع من حولها. احفظها يارب من كل من يريد أن يؤذيها وأنا أعلم يارب أنك لمست قلب أم أميرة بكلامك. ساعدها حتى تتفاعل مع محبتك وتسلمك نفسها لك.. يارب عرفهم كيف يعيشوا في ظروفهم أو دبر لهم كيف يهربوا منها. ولو كانت ارادتك أن تستخدمني معهم فأنا طوع أمرك. وأنا اضع بين يديك

أميرة حيث أن مشاعري تنمو من ناحيتها بقوة، ولكنني
أريد فقط أن أكون في مشيئتك. ساعدني يا الله أن أكون
حكيم وأرضيك في كل طريقي. أصلي هذا في أسم يسوع.
أمين."

الفصل التاسع عشر

استمرت أميرة لعدة أيام تقرأ الكتاب المقدس لأمرها بالمستشفى. ولقد كان وقت خاص لهما، فيه كانت أميرة تتعلم الكثير عن الله ومعني اتباع المسيح، وكانت أمها في ذات الوقت تتحسن سريعاً. وبعد يومين من دخول أمها إلى العناية المركزة صرح لها الأطباء بالعودة إلى حجرتها الأولى وفي اليوم التالي لعودتها لحجرتها وبينما كانت أميرة تقرأ لها من الكتاب المقدس فتحت "أم علي" عينيها، وأطلقت أميرة صرخة طويلة مبهجة "يا ماما.. أنتِ تحيين.. لقد عدت مرة أخرى.. كم أنا سعيدة.. أحبك يا ماما!!"

وعلى الرغم من ضعف صوت أمها إلا أنها همست للأميرة قائلة: "أنا أحبك أيضاً".. أسرعت أميرة تنادي الممرضة التي جاءت بدورها لفحص أمها وأدارت وجهها وقالت للأميرة "إنها لمعجزة حقاً أن تتماثل أمك للشفاء بهذه السرعة. لقد رأينا حالات مماثلة لها من قبل دون أن تتحسن. ولكنها مازالت تحتاج إلى راحة تامة وهي الآن في طريقها للشفاء."

كانت أميرة في منتهي السعادة وهي تسمع كلمات الممرضة هذه وكل ما فعلته أميرة هو أنها شكرت الله في قلبها لما حدث مع أمها.

امتلأت أميرة من الفرح وهي تفكر أنها ستشارك أمين بهذه الأخبار في المساء.. فمنذ أن رأت أميرة المسيح

والعلاقة بينها وبين أمين في تطور مستمر. وقد كان الكلام بينهما ينساب دون أي عوائق أثناء الذهاب والإياب من وإلى المستشفى. وأمطرت أميرة أمين بالأسئلة الكثيرة عن معنى اتباع المسيح، وكان أمين يجاوب عن بعض الأسئلة وعادة كان يوجه نظرها لقراءة آيات من الكتاب المقدس لتتعلم من كلام الله أكثر من أن تتعلم من خبرته هو الشخصية .

وبينما هما يتكلمان أكثر وأكثر عن الله كان يحدث شيء ما بينهما. بدأ يشعر كل منهما بالارتباط القوي بالطرف الآخر وكانا يتطلعان للحظات التي سيقضيانها معاً في السيارة. وهكذا استمر أمين وأميرة في الذهاب والعودة من وإلى المستشفى بانتظام يومياً واحترام لمواعيدهما على الرغم من أنهما كانا يتمنيان قضاء وقت أطول مع بعضهما.

وأخيراً جاء الوقت الذي فيه فتح أمين مع أميرة أمر علاقتهما معاً فقال "أختي أميرة.. إن هذه الأيام لهي رائعة بالنسبة لي فقد كان من المدهش جداً أن أرى كيف يعمل الله في حياتك فأنت مثل البرعمة التي تتفتح لتصبح وردة في عيني ولكنني أشعر بأن الله لربما أوجدنا مع بعض لهدف آخر."

ابتدأ أمين يشعر برهبة الموقف الذي فيه ستتغير الأمور إلى الأبد فلذا حاول أن ينظر إلى الطريق أمامه ويتجنب النظر إليها حتى ما يهدئ من روعه. واستمر أمين

قائلاً: "يا أميرة أنا أريد أن أعرف هل لديك مشاعر تجاهي بطريقة أكثر من كوننا إخوة؟"

صُدمت أميرة من هذا السؤال على الرغم من أنها كانت تأخذ في اعتبارها احتمالات وجود هذا الشعور من ناحيتها. وأخذت نفساً عميقاً ثم جاوبت: "يا أخي أمين أنا لا أشك أبداً أن الله جعلك في حياتي لسبب ما. وأنا أعلم أن السبب الأساسي هو أن أدرك أن الله يحبني وأرسل يسوع ليخلصني. ولهذا لا أجد القدر الكافي الذي به أشكر الله. وفي الحقيقة فإنه قد تطورت مشاعري أيضاً من ناحيتك." كاد أمين يصطدم بالأتوبيس الذي أمامه عندما سمع هذه الكلمات تخرج من فم راكبته المفضلة! وبعد ما تحكم أمين في عجلة القيادة مرة أخرى، قال: "يا أميرة أنا لا أعلم ماذا يريد الله منا أن نفعله نتيجة مشاعرنا تجاه بعضنا البعض. فهناك الكثير من العوائق التي تقف أمامنا وخاصة من ناحية ظروف عائلتك ووضعها الحالي. وعلى أي حال دعينا نستمر في الصلاة لكي يوضح الله لنا مشيئته ويفتح أمامنا الأبواب لنكون معاً."

وهنا وصلاً إلى المنزل وأسرعت أميرة بدفع الأجرة قائلةً لأمين: "سوف أصلي وأراك غداً."

عندما رأت أميرة أمين صباح اليوم التالي أخذاً يتحدثان بأكثر انفتاحاً عن ماذا يمكن حدوثه عند عودة أبيها من شهر العسل. وكل ما استطاعت أميرة أن تتخيله هو أن الوضع سيعود لما كان عليه وستكون أمها منعزلة وكذلك الوضع بالنسبة لها سيكون كما هو عليه الآن.

ولكن ما كان يشغل بال أميرة هو أين ستعيش الزوجة الجديدة لأبيها. فعلى الرغم من أن منزلهم كبير وجميل لكن يوجد خمسة أشقاء لها بالإضافة إليها هي وأمها وهذا سيكون أكثر من سعة المنزل. فهل سيضع الزوجة الجديدة في شقة مستقلة لها؟! فهي تعلم أن إمكانيات والدها المادية لا تسمح بذلك. وبهذا لم تستطع أميرة أن تتوقع إجابات واقعية على كثير من الأسئلة نتيجة الوضع الجديد بعد عودة أبيها مع زوجته الجديدة. وصارحت أميرة أمين بأنها متأكدة أن أباهما لن يوافق على زواجها من أي إنسان لا يختاره هو بنفسه. وهذه الحقيقة جعلتها أكثر اضطراباً إلا أن رغبتها زادت في أن يشاهد كيف سيفتح الله الطريق لهما ليكونا معاً.

وما أن وصلت أميرة إلى المستشفى ودخلت حجرة أمها وجدت أمها جالسة وتتناول طعام الإفطار!! فأسرعت إليها لتحضنها وتقبلها "ماما.. كم تبدين رائعة.. إنه لشيء مدهش!!"

ولأول مرة تطيل أم أميرة في الحديث قائلة: "يا ابنتي الغالية جداً أميرة.. إنك حقاً أميرة وعطية من عند الله ولولاك ما كنت أستطيع الجلوس أو الحديث اليوم. لقد كنت أشعر بوجودك في كل لحظة كنت تقضيها معي وسمعت كل كلامك وصلاتك بجانبني في السرير. وعلى الرغم من محبتي الشديدة لك إلا أنني لم أرغب في العيش دقيقة واحدة. فكل تفكيري أنصب على ماذا سيواجهني عند عودتي للمنزل، ولم أستطع أن أتحمل كل هذا الألم. ولكن

يوم أن تحدثني عن يسوع وقرأتي لي من كلمة الله شعرت أن هناك صوتاً آخر يتحدث إليّ. فعندما سمعت كلام الله عن محبته لي أردت أن أصدق أنها حقيقة. وكلما كنت تقرئين لي أكثر أدركت أكثر أنها حقيقة. وحتى بينما كنت أستلقي على الفراش دون حراك سلمت قلبي إلى الله وآمنت بالمسيح وفي هذه اللحظة فتحت عيني وابتدأت أحيا من جديد! ولا أستطيع أن أعبر بالقدر الكافي عن شكري لله لاستخدامه لك في إعادتي للحياة مرة أخرى.. فكم أحبك يا أميرة."

بكت أميرة وهي تقول: "يا ماما كم أنا أحبك أيضاً وكم أنا سعيدة بأن يكون لك حياة جديدة في المسيح. ولقد تعلمت كثيراً من قراءة كلمة الله وقد منحني الله سلاماً عجيباً. أنا أعلم يا ماما أن الله يحبنا وسوف يساعدنا في معرفة كيف نتصرف في المستقبل."

كانت أميرة تقرأ لأُمها من الكتاب المقدس كلما كانت الممرضات خارج الحجرة وابتدأت تشاركها بكل ما تعلمته من أمين على الرغم من أنها لم تخبرها عن اسمه. وأخيراً سألتها أمها: "يا أميرة من أخبرك بهذا الكلام عن يسوع؟! وكيف حصلت على الكتاب المقدس؟."

كانت أميرة تعلم تماماً أنها ستخبر أمها بكل ما حدث بينها وبين أمين لكنها لم تكن مستعدة لأن تقصها على أمها بهذه السرعة. وهكذا طلبت إلى الله أن يساعدنا ويعطيها الكلمات التي تقولها لأُمها.

بدأت أميرة تحكي قائلة: "يا أمي منذ اليوم الأول لدخولك المستشفى كنت مضطرة لأن أحضر إليك بمفردي حيث لم يُرد أحد من إخوتي الحضور معي فلذلك رتب أبي لي أن أستقل سيارة أجرة بمفردي على أن أتصل بأخي تليفونياً فور وصولي للمستشفى وكذلك العودة إلى المنزل مساءً في الموعد المحدد دون أي تأخير. ولم أكن أتخيل أبداً أن أول سائق تاكسي أستقله يعرف المسيح. لقد كان أطيّب رجل أقابله في حياتي ولقد أدرك مدى معاناتي بسبب حالتك يا أمي. ولذا عرض عليّ أن يأخذني ذهاباً وإياباً من المنزل وإلى المستشفى يومياً طول فترة وجودك بالمستشفى. ولقد كان يخشى عليّ من أن يسيئ إليّ أي سائق تاكسي آخر. وفي أول الأمر لم أكن أصدق أنه يشفق عليّ لكن مع مرور الوقت تأكد لي إخلاصه. وكان يسأل دائماً عن صحتك وكان يُظهر اهتماماً حقيقياً بحالتنا. وعلى الرغم من أنه لا يليق أن أتحدث مع شخص غريب إلا أننا بدأنا نتحدث مع بعض أكثر أثناء ذهابنا وإيابنا من وإلى المستشفى حيث أنني لم أجد شخصاً آخر أتحدث معه. فمن فضلك يا ماما سامحيني على هذا التصرف. وعلى أي حال فقد أخبرني أنه يتبع المسيح. وقد صُدمت وأصابتنني حالة من التخبّط عند سماعي هذا الأمر. فهل تصدّقيني أنني منذ البداية كنت أدعو الله أن يرسل لنا أي شخص يساعدنا سوياً على الهروب بعيداً عن مشاكلنا؟! وعندما علمت أنه مسيحي فقد كان هذا الأمر أكثر من أن أحتمله. وعندها لم أعرف كيف أتصرف. ولكن حالاً ظهر المسيح لي في حلم

قائلاً لي أن ما سمعته منه هو حقيقة. وهنا بدأت حياتي الجديدة في المسيح.

إن ملاك الرحمة هذا اسمه (أمين) يا أمي.. وهو وحيد في هذا العالم فقد مات والداه ويعيش أخوه وأخته خارج البلاد، ولا أستطيع أن أخبرك عن مدى روعة معاملته معي ولم يحاول ولو مرة واحدة أن يقترب لي أو يلمسني. ولا أستطيع أيضاً أن أخفي عنك مشاعرنا تجاه بعضنا البعض. ولكننا نصلي حتى ما نعرف مشيئة الله لنا."

لم تفتح أم أميرة فمها أثناء سماعها لحديث أميرة. ففي الظروف العادية كان سينتابها الغضب والخوف والخل نتيجة لسماعها هذه الأخبار أما الآن فلم يطرأ على تفكيرها سوى أن الله وحده هو الذي قاد مثل هذا الرجل ووضع في طريق ابنتها كما حفظها بطريقة عجيبة. وعلى الرغم من شعورها بالارتياح والاطمئنان إلا أنه انتابها شعور من الخوف تجاه رد فعل والد أميرة عند سماعه هذه الأخبار. بدأت أم أميرة تقول: "يا أميرة بسبب ما حدث لنا في

الأسابيع القليلة الماضية من تغيير في حياتنا فأنا لا أستطيع إلا أن أشكر الله على انه أرسل أمين في طريقك. فهو لم يؤثر في حياتك أنت فقط بل قد أثر في حياتي أنا أيضاً. فبسبب ما شارك به معك عن المسيح فأنا الآن أستطيع الاستمرار في الحياة. ورغم كل هذا فلا نستطيع أن نتجاهل الواقع الذي نعيش فيه في منزل واحد مع رجال لا يعرفون الله كما عرفناه نحن وأيضاً لن يسمحوا لك بأي علاقة مع مثل هذا الرجل. فكيف نتصرف الآن يا بنتي؟"

كان رد أميرة على أمها: "إن الأمر كله في يد الله يا ماما". ولم يكن لدي أميرة أي إجابة على الموقف الصعب الذي تعيشه هي وأمها، ولكنها أدركت أن الله هو الذي سار بهما إلى هذه اللحظة وهو سيعبر بهما في هذه الظروف أيضاً.

"هل تذكرين يا أمي الآية التي قرأتها لك من المزامير التي تقول (انتظر الرب واصبر له) وكل ما نستطيع عمله الآن ياماما هو أن ننتظر الرب. وهو سيرينا ماذا نفعل في المستقبل" هكذا قالت أميرة لأمها في نهاية حديثهما.

الفصل العشرون

أثناء عودة أميرة إلى المنزل هذا المساء أخبرت أميرة أمين بكل ما دار بينها وبين أمها من حديث. وكان أمين في منتهى السعادة حيث أن أم أميرة تفهمت موقفهما بطريقة صحيحة وكذلك لأنها بدأت تتعافى. وعندئذ أدرك أمين أن وقته مع أميرة أصبح قصيراً جداً بعد أن بدأت أمها تسترد صحتها، فلذا قرر أن يشارك بهذا الأمر مع أميرة. فقال: "هل تعتقدين يا أميرة أن أمك ستخرج من المستشفى سريعاً وذلك لأن صحتها في تحسن سريع؟"

يبدو أن هذا السؤال أصاب أميرة بصدمة حيث أنها لم تفكر في هذا الأمر من قبل. فقالت: "لا يا أخي، فلم يخبرني أحد من عائلتي عن صحة أمي كما أنهم لم يسألوا عنها أبداً. وأنا أعتقد أنها بحاجة إلى المزيد من الراحة وقضاء فترة أطول بالمستشفى. وهي الآن في بداية التحسن في صحتها ومازال أمامنا أيام كثيرة مع بعضنا البعض." على الرغم من أن أمين كان يرغب في تصديق كلام أميرة إلا أنه كان يخشى حدوث عكس ذلك. فلذا قال لها عند وصولها إلى المنزل: "دعينا نتكلم أكثر مع بعضنا البعض غداً."

أجابت أميرة: "لا مانع لدى."

وفي صباح اليوم التالي اتفقا أميرة وأمين على اللقاء في كافيتريا المستشفى الساعة الثالثة عصراً. وبينما كانت أميرة تتحدث مع أمها في حجرتها دخلت الممرضة قبل أن

تتناول أم أميرة طعام الغداء الساعة الثانية عشرة ظهراً
لتخبرها بأن ابنها سوف يحضر الساعة الثانية ظهراً
لاصطحابها بعد خروجها من المستشفى.

أجابت أم أميرة: "ابني..!" هل سأخرج من
المستشفى؟! أجابت الممرضة: "نعم" .. لقد كان ابنك على
اتصال دائم يومياً مع الطبيب المعالج لك والذي أخبره بأن
صحتك قد تحسنت فلذا طلب خروجك من المستشفى ووافق
الطبيب، تناول طعامك ودعي ابنتك تجهز لك حاجاتك
لخروجك من المستشفى."

عندما خرجت الممرضة جلست أميرة وأنها في ذهول
تام، فلم يتخيل أي منهما ما حدث، فقالت أميرة في غضب:
"لا عجب حيث لم يسألني أحد منهم عن صحتك فقد كان
"علي" يراجع الطبيب يومياً بالتليفون وأنا على يقين من
أن أبي هو الذي جعله يفعل هذا يومياً ليتأكد أنك فعلاً
مريضة ولا تدعين المرض وأن لا تستمتعي بفترة أطول
من اللازم بالمستشفى."

تحول وجه أم أميرة إلى الشحوبة مرة أخرى فقد أتى
اليوم الذي كانت تخشاه وترتعب منه بسرعة غير متوقعة.
فقالت لأميرة: "اقرأ لي بسرعة المزمور الثالث
والعشرين مرة أخرى. لأنني يجب أن أعلم أن الله معنا."
وافقت أميرة على أن تقرأ لأمها هذا المزمور على
الرغم من أنه كان من الصعب جداً عليها قراءته في هذا
الوقت. فقد بدا كل شيء مختلفاً عن قبل. وبينما كانت أميرة
تقرأ المزمور أدركت أن الكلمات مازالت حقيقة وأن الله

سيسير معهما حتى وإن كانا في وادي ظل الموت. ويجب أن تثق في الله. وتذكرت أميرة ما قاله لها أمين ذات مرة وهو أن طرق الله تختلف عن طرقنا، فلو هذا هو طريق الله لها فبال تأكيد يختلف عن ما كانت ستختاره هي.

ويبدو أن هذا المزمور ساعد أمها أيضاً كثيراً، فتنفست بعمق وقالت للأميرة: "يا أميرة هل يمكن أن تصلي الآن لنا؟ فنحن في حاجة إلى الله أكثر من أي وقت مضى. وعلى الرغم من أنني أعرف أن الله معنا إلا أنني مازلت أخشى من مواجهة ما سيحدث."

أجابت أميرة: "بالطبع يا ماما" .. وأغلقت أميرة عينيها وأمسكت بيد أمها وبدأت تصلي "أبانا السماوي هل أتجرأ وأدعوك أبانا.. نعم فكلمتك تخبرنا بأنك أبونا وتعتني بأبنائك.. أبونا نحن في حاجة لأن تلاحظنا الآن فأنا وأمي وضعنا حياتنا بين يديك وأنت أعطيت كل منا رجاء جديداً في هذا العالم. إنه من السهل أن يكون لدينا رجاء ونحن بعيدون عن المشاكل ولكننا الآن سنواجه المشاكل مرة أخرى فلذا نحن في حاجة لقوتك ليكون لنا رجاء حتى عندما تبدو الأمور سيئة لكل منا. هل ستساعدنا يا أبانا؟! أعطنا الشجاعة لنكون أقوياء لك ولنظهر محبتك حتى لأعدائنا. احفظنا من تجارب الشرير. ونحن لا نريد أن نقلق بل حسبما تقول كلمتك نريد أن ننتظرك بصبر ونتكل عليك.. ساعدنا يارب لأننا نشعر بضعف شديد الآن. املاًنا بروحك حتى ما نواجه كل ما يقابلنا بقوتك. في اسم المسيح أصلي. آمين."

قالت أم أميرة: "يا لها من صلاة جميلة يا أميرة."
أجابت أميرة: "لقد تعلمت الكثير عن التحدث مع الله يا
ماما.. فإن أروع شيء هو الصلاة الحقيقية.. أنا أعلم أنه
سيساعدنا يا ماما فهو سينفذ وعده لنا.. وسوف نواجه هذا
الأمر بمعاونته لنا". هنا تذكرت أميرة فصاحت "يا ماما
ماذا عن أمين فسوف لا أراه مرة أخرى!! فماذا أفعل يا
أمي؟".

بينما كانت أميرة تضع وجهها بين ذراعيها وتبكي
أجابتها أمها قائلة: "إذا كان الله استطاع أن يضع أمين في
طريقك في المرة الأولى فهل لا يستطيع أن يحضره لك
مرة أخرى؟ أنا أعلم كم هو صعب يا طفلي ولكنني أثق أن
الله سيسمح لك برؤيته مرة أخرى. ويجب أن تثق في طرق
الله."

عندئذ تنفست بعمق وأضافت قائلة: "الآن من الأفضل
أن نبدأ في حزم أمتعتنا."

حاولت أميرة أن تتماسك وتساعد أمها في الاستعداد
للرحيل من المستشفى ولكنها لم تستطع قط إيقاف تفكيرها
في أمين. فلقد رتبا اللقاء في الساعة الثالثة عصراً ولكن
"علي" سيحضر الساعة الثانية ظهراً. فيما سيفكر أمين
عندما لا يراها؟ هل سيتخلى عنها؟ هل ستراه مرة أخرى؟
وبالنسبة للأميرة فقد كان عدم رؤية أمين ثانية أصعب بكثير
من مواجهة عائلتها بعد عودتها إلى المنزل.

وصل "علي" إلى المستشفى في الساعة الثانية ظهراً
على غير عادته في محافظته على المواعيد. وبدون أن

يقبل أمه أو يشكر الله على سلامتها أمرها هي وأميرة أن يخرجها على الفور من الحجرة. وعند وصولهما إلى المنزل ساعدهما "علي" في حمل الحقائق حتى باب المنزل وهنا قال لأمه "مرحباً بك يا أمي فعلى الأقل أنت أفضل من عممتنا الفضولية" وعندما دخلوا الشقة ابتدأ يشاركهما بالأخبار قائلاً: "بالمناسبة إن أبي سوف يحضر إلى المنزل غداً. ويتوقع أن يكون المنزل نظيفاً وأيضاً وليمة من الأطعمة معدة لاستقبال عروسه الجديدة. وأنا متأكد أنك في صحة جيدة الآن وتستطيعين أن تقومي بهذه المهمة. سأراكم فيما بعد". ثم انصرف تاركاً المنزل .

كان باقي إخوة أميرة خارج المنزل. ولكن قبل أن تستريح أميرة وأما كان عليهما أن يواجهها شخصاً آخر في المنزل وهي العممة (أم محمد).

خرجت أم محمد من حجرة النوم وهي تحمل في يدها حقيبة ملابسها. ومن الواضح أنها كانت لا تريد البقاء في المنزل لحظة واحدة بعد الآن فقالت لأم أميرة: "أخيراً.. جاء الوقت لتعودي إلى المنزل فلقد كنت أعتقد أنك سوف لا تخرجين من المستشفى أبداً والحمد لله على أنك بصحة جيدة وتستطيعين القيام بكل واجبات منزلك. ويعطيك الله القوة فأنا لم أقم بطهي طعام لكل هذه الكمية من قبل في حياتي!! فإن أولادك يأكلون مثل الأحصنة وبالطبع لم يساعدني أحد كما كانوا يساعدونك. فلذا يجب على أخي أن يدفع لي الكثير نظير ما تحملته نيابة عنك.. حظ سعيد.. ومع السلامة!" ومضت أم محمد خارج المنزل.

من الواضح أن أميرة وأمها طرأت عليهما نفس الفكرة وفي ذات الوقت فانفجرا في الضحك فور خروج أم محمد من المنزل وعلفت أم أميرة بقولها "حقاً أن الله مُنعم. فكوني لا أتحدث مع أم محمد فهذه نعمة في حد ذاتها." أجابت أميرة ضاحكة: "نعم أعتقد أن الله لديه روح مرح أيضاً."

والآن إذ لا يوجد أحد غيرهما في المنزل استرخيا على الأريكة وبدأ يتحدثان معاً. وعلى الرغم من أن صحة أم أميرة تبدو واهنة إلا أنها أدركت أن أمامهما الكثير مما يجب أن يفعلاه لتهيئة المنزل قبل عودة زوجها. فقالت للأميرة: "يا أميرة أنا في حاجة شديدة لمساعدتك لترتيب المنزل استعداداً لعودة والدك. فهل يمكنك أن تساعديني؟" أجابت أميرة: "يا أمي أنا سوف أساعدك ولن أتركك بمفردك."

قالت أم أميرة: "يا ابنتي أنتِ عطية من الله لي". وبسرعة وضعا أمتعتيهما جانباً وانشغلا في أعمال المنزل. قامت أميرة بنظافة غالبية المنزل بينما كانت أمها تطهو الطعام في المطبخ وشكرت الله على أنها وجدت الكثير من الخضروات واللحوم والفاكهة في المطبخ وعرفت من ذلك أن أبناءها ظلوا على عمل واجبههم اليومي الوحيد وهو شراء الخضروات واللحوم.

كانت أم علي دائماً ما تشعر بالحسرة على عدم مقدرتها الخروج خارج المنزل حتى لشراء الخضروات واللحوم وخلافه ولكن أبناءها تعلموا تدريجياً بعد مرور

وقت طويل كيفية شراء اللحوم الجيدة والخضروات الطازجة.

وهكذا ظلت أميرة وأمها يعملان فترة طويلة حتى عاد الأبناء إلى المنزل لتناول وجبة العشاء. ولقد اندهش معظم الأولاد عند رؤيتهم لأهمهم في المنزل حيث لم يتوقعوا سرعة عودة أهمهم من المستشفى. ومن الواضح أن "علي" لم يشارك أياً من إخوته بأخبار أهمهم.

وبعد إطعام الأولاد أخذت أميرة وأمها قسطاً من الاسترخاء ثم دخلا معاً غرفة أميرة وابتدأ الحديث مرة أخرى قبل نومهما. وحيث أنه لا يوجد حجرة إضافية بالمنزل لاستقبال العروسة الجديدة فلذا فكرت أم أميرة فيما سيحدث وانتهت إلى أنها ستطرد من حجرتها لإفساح المجال للعروس الجديدة، فلذا قررت أن تبادر وتترك الحجرة من نفسها بدلاً من طردها منها.

وعلى الرغم من التعب الشديد والإرهاق الذي حل بأميرة وأمها إلا أن أم أميرة طلبت من أميرة أن تقرأ لها جزءاً من الكتاب المقدس قبل النوم. فوجدت أميرة فقرة من إنجيل متى كان وقد سبق أن قرأتها من قبل وهذه الفقرة كانت من إحدى الفقرات المفضلة لديها.

كان يسوع يتكلم قائلاً: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأنني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين وحملتي خفيف."

طلبت أم علي من أميرة أن تعيد عليها قراءة هذه
الكلمات مرة أخرى ولم تكد أميرة أن تنتهي من قراءة هذه
الكلمات مرة أخرى حتى وجدت أمها في سبات عميق.
عندئذ أغلقت أميرة الكتاب المقدس وصلت من أجل أمها
النائمة فهي تعلم أن جسدها مازال هزياً ولن تتحمل إيذاء
جسدياً مرة أخرى من والدها عند عودته. فطلبت من الله أن
يعطيها القوة لتحمل ما سينتظرها.

الفصل الحادي والعشرون

بدأ أمين يضطرب عندما جاءت الساعة الثالثة عصراً ولم يجد أميرة في الكافيتيريا حسب الموعد المتفق عليه. فخاف أن يسأل عن أم أميرة خشية أن يتساءل أحدهم عن سبب سؤاله هذا. فلذا فضل الانتظار في التاكسي حتى يحين موعد خروج أميرة من المستشفى في السابعة مساءً وبهذا لم يستمر في عمله كسائق للتاكسي. ولما حانت الساعة السابعة لم تظهر أميرة كعادتها، تأكد أمين من حدوث شيء غير عادي معها هذا اليوم. فلذا قرر الذهاب إلى مكتب الاستعلامات بالمستشفى للسؤال عن أم أميرة وعندها اندهش إذ علم بخروجها من المستشفى. فعاد على الفور إلى التاكسي عائداً لمنزله حيث لم يعلم ماذا سيفعل في المستقبل. هل سيرى أميرة ثانية؟ أم لا...!! وسأل "ماذا يعني هذا يارب؟".

قضى أمين ليلته دون أن يعرف طعم النوم لكنه نهض من فراشه صباحاً وذهب كعادته إلى منزل أميرة في الموعد المحدد ليتأكد بنفسه هل ما حدث بالأمس حقيقي أم لا. وعندما لم تظهر أميرة في موعدها المحدد قاد أمين سيارته في حالة من الذهول. لذلك قرر أن يتوجه إلى المنتزه القريب ليصلي حيث أدرك أنه بدون الصلاة لا يستطيع أن يستجمع قواه مرة أخرى.

وبعد قضاء فترة من الصلاة مع الله بدأ أمين يشعر بالسلام مرة أخرى فعاد لعمله اليومي واثقاً في أن الله

سيجمعهما مرة أخرى لو كانت هذه مشيئته لهما. وهو لا يعرف كيف يمكن أن يحدث هذا .

كانت أميرة تنظر من البلكونة في نفس الوقت الذي كان فيه أمين يقود سيارته أمام منزلها هذا الصباح. وعندما رأت التاكسي طفر قلبها من الفرح وكادت تنادي عليه. لكنها أحجمت عن ذلك خوفاً من الفضيحة وراحت تراقبه أثناء سيره في الشارع ببطء إلى أن اختفى عن أنظارها وعيناها مغروقتان بالدموع. وصلت أميرة قائلة: "يا الله هل سأراه مرة أخرى؟ وبالتأكيد أنت لم تحضره في حياتي لتأخذه مني بهذه السرعة. ساعدني لأتقوى بك."

عندما انتهت أميرة من صلاتها في البلكونة جاءت أمها مربتة على كتفها قائلة: "أميرة. لدينا الكثير من العمل الذي يجب أن نقوم به وأنا لا أعلم موعد وصول أبيك فمن الأفضل أن نبدأ في العمل."

أجابت أميرة: "حاضر يا أمي" ثم نظرت مرة أخرى إلى الشارع قبل أن تتبع أمها إلى الداخل.

لم تعمل أميرة وأمها واجباتها المنزلية بقدر ما عملا هذين اليومين، فلقد قررا أن يعملتا أفضل ما لديهما ليكون المنزل في أحسن صورة وأشهى الأطعمة مجهزة لاستقبال "أبو علي" وعروسه الجديدة.

قالت أم أميرة للأميرة شيئاً مهماً حتى قبل أن ينهضا من فراشهما هذا الصباح: "يا أميرة أنا أثق أن الله أعادني إلى المنزل مرة أخرى لسبب ما. فلو كانت إرادته لنا الهروب كان سيفتح أمامنا الطريق بسهولة ولكنه لم يفعل. ولذلك

فأنا أعتقد أنه من واجبنا أن نبين روح المسيح لعائلتنا.. إنه يوجد ظلام كثير في منزلنا يا أميرة."

أومأت أميرة برأسها موافقة على كلام أمها. واستمرت أم أميرة في حديثها "فإما نُبتلع في هذا الظلام أو نتغلب عليه بإشراق نور الله. هل تذكرين الآيات التي قرأتها لي الأسبوع الماضي "أنتم نور العالم لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت." أكملت أميرة الآيات "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات."

ثم قالت أم علي "ربما يريدنا الله أن نكون نوره لعائلتنا. وأصلي أن يقبلوا هذا النور ويعرفوا محبته كما نحن نعرفها."

أجابت أميرة: "لكن يا ماما ماذا يحدث لو لم يقبل أبي النور؟"

أجابت أمها: "إذاً سيمنحنا الله القوة لتحمل كل ما سيواجهنا. يجب أن نثق في الله."

ولحسن الحظ كان لدى أميرة وأمها متسع من الوقت هذا اليوم لعمل الترتيبات اللازمة لاستقبال العروسين. واستطاعا أن ينهيا أعمال المنزل من نظافة ونقل كل ما يتعلق بأمر علي من حجرة نومها إلى حجرة نوم أميرة كما قاما بإعداد طعام يكفي لمدة أسبوع. وقاما بإعداد الأطعمة الشهية مثل شيش كباب، محشي كرنب، وورق العنب،

وأنواع عديدة من المطبوعات والسلطات وكذلك بطاطس محمرة، وهي ما كان يفضلونها الأولاد يومياً على مائدتهم. ولما لم يصل الزوجان الجديان إلى المنزل حتى الساعة الخامسة عصراً قررت أميرة وأمها أن يأخذا قسطاً من الراحة ويستحما وبمجرد أن ارتديا ملابسهما سمعا صوت المفتاح في الباب. أسرع كل من أميرة وأمها ليقفا في غرفة المعيشة استعداداً لهذه اللحظة الكبيرة.

بمجرد أن دخل أبو علي إلى المنزل أحنت أم أميرة رأسها مرحبة به وحيّته قائلة: "حمداً لله على سلامتك يا أبو علي. لقد تشرفنا بعودتك."

أخذ أبو علي من تحية زوجته الرقيقة فقال متمتماً: "الله يسلمك.. أنا سعيد أن أراك وقد استعدتِ صحتك."

وبعد أن دخل أبو علي من باب المنزل تبعته امرأة منقبة ونحيفة. وكانت هذه هي امرأته الجديدة. فقدمها قائلاً: "هذه مدام فاطمة زوجتي". وأشار بإصبعه قائلاً: "هذه أميرة ابنتي وهذه أمها" فهزت المرأة المنقبة رأسها ولم تقل شيئاً.

لم تتردد أم أميرة أن تحيي الزوجة الجديدة قائلة:

"مرحباً بك في هذا المنزل يا أختي."

شعر أبو علي بعدم ارتياح لتصرف زوجته الأولى لذا أمرها بجفاء قائلاً: "احضري لنا الشاي" معتقداً أنه بهذا الأسلوب سيعيدها إلى مكانتها الوضيعة والذليلة.

أجابت أم أميرة قائلة: "بكل سرور يا أبو علي" وبهذا لم يصل أبو علي إلى مراده في إذلال أم أميرة وتغييرها.

ساعدت أميرة بسرعة أباهما وزوجته الجديدة في حمل الحقائب إلى حجرة نومهما. وعادت لتجد أباهما جالسا على الكنبه وزوجته مازالت واقفة أمامه، فبادرتها بالسؤال: "هل تريدان الاستحمام؟" أجابتها: "نعم من فضلك.. لقد كانت رحلة طويلة". قادتها أميرة إلى الحمام وعادت للصالون مرة أخرى حيث كان يجلس والدها بمفرده. فقالت أميرة له "مرحباً بك في المنزل يا أبي." سألها أبوها: "أين كل أولادي" ... ألا يحضرون لاستقبالي والترحيب بي؟".

أجابت أميرة: "أنا متأكدة أنهم على وشك الوصول سريعاً". محاولة عدم إظهار جرح مشاعرهما بتجاهل أبيهما الواضح لهما. وإذ لم تنه أميرة كلامها فُتح باب المنزل ودخل ثلاثة من أولاد أبو علي الخمسة فاندفعوا بسرعة نحو أبيهم مقبلين وجنتيه ومقدمين له الترحيب والتحية وفي ذات الوقت مقدمين أعذارهم بسبب تأخيرهم.

أجاب أبو علي بانفعال: "أي استقبال هذا ألا يوجد واحد من أولادي في انتظاري ليرحب بي وبزوجتي الجديدة؟ ألا يوجد احترام مطلقاً؟" وقدموا له مرة أخرى أعذارهم محاولين إظهار الاهتمام به والطف معه حتى يهدئوا من ثورته وانفعاله.

وصل بعد دقائق قليلة كل من "علي" و "حليم" فقالا: "حمداً لله على سلامتك يا بابا."

صاح والدهم: "لا فائدة - لا فائدة منكم - فكل ما وجدته هو النساء للترحيب بي بعد رحلتي الطويلة!! يجب على أن أطردهم كلهم من المنزل."! وأثناء ثورته هذه خرجت زوجته الثانية من الحمام. ولسوء حظها لم تخرج فقط من الحمام بل خرجت دون النقاب. توقف الجميع عن الكلام ومحمليين وأفواههم مفتوحة مندهشين لرؤية زوجة أبيهم الجديدة. فقد كانت امرأة جميلة ذات شعر أسود طويل وعيناها بنية داكنة اللون وذات جمال آخاذ. وهي أيضاً صغيرة السن ولا يتعدى عمرها التاسعة والعشرين أي أصغر من "علي" أكبر أخوة أميرة بعام واحد.

صرخ أبو أميرة بحدة قاطعاً الصمت: "يا امرأة ضعي النقاب!! هؤلاء ليسوا أبناءك.. اذهبي إلى حجرتك! سوف أحاسبك فيما بعد على هذا التصرف". أدارت فاطمة الجميلة وجهها متجهة إلى حجرتها التي لم تكن تعرف أين هي. لاحظت أميرة هذا الارتباك الواضح على فاطمة فأسرعت نحوها لتساعد المرأة المسكينة وتقودها إلى غرفتها. ودخلت معها أميرة الغرفة وأغلقت الباب خلفهما. وفور أن أغلقت أميرة الباب ارتمت فاطمة على السرير تبكي وهي منهارة. ورأتها أميرة مثل أنثى الغزال الضعيف وهي ترتعد من شدة الخوف. فأحاطتها بذراعيها محاولة أن تهدئ من روعها وقالت لها: "لا تقلقي يا مدام فاطمة سوف تتحسن الأمور فأبي سيهدأ سريعاً وكان شيئاً لم يحدث، فأنت لم تدري أن هذا الأمر سيضايق أبي بهذه الصورة.

فهو لم يكن يقصد سوى حمايتك من إخوتي الأغبياء.. لا تبكي.

قالت فاطمة وهي تجهش بالبكاء "آه.. كم أنا أغضبتة ويبدو أنني لم أستطع أن أفعل معه شيئاً يجعله سعيداً.. كما لا أعتقد أنه شعر بالسعادة معي ولو للحظة واحدة منذ يوم زواجنا. كم أنا بائسة.. لكم أراد أبي إنجاح هذا الزواج." سألتها أميرة: "من هو أبوك؟"

قالت فاطمة: "إن أبي مجرد بقال وهو ليس شخصاً مهماً لكنه مهم بالنسبة لي فقط." أجابت أميرة: "أنا متأكدة أن أباك رجل مهم جداً وإلا لما اختار أبي أن يتزوجك."

قالت فاطمة: "لا... إنه ليس كذلك لكن أباك أعجب بي بينما كنت أساعد أبي في محل البقالة. وأبي ليس لديه أولاد فلذا كان من الضروري على أن أساعده في عمله. وعد أبو علي أبي على تقديم المعونة على تنشيط وإنجاح تجارته البسيطة إذا ما وافق على زواجه مني. فلذا أنا أخشى أن أخيب ظن أبيك حيث لن ينظر إلى عائلتي بعين الشفقة." لم يكن أمام أميرة إلا أن تشفق على هذه المرأة التي تفكر بهذه الطريقة. فمن الواضح أنها ليست سوى لعبة أو دمية يلعب بها أبو علي. وتمنت أميرة أن تتحسن الأمور ولا يحدث جرح لعائلة فاطمة في المستقبل. فهي تعلم كيف يمكن أن يكون أبوها قاسياً ولا سيما على الأشخاص الذين ليسوا حسب هواه. ربت أميرة مرة أخرى على فاطمة وقالت "لا تقلقي، فسوف تتجحين في مهمتك. فقط

استريحي هنا وسأحضر لك الشاي. وأنا متأكدة أن أبي سيستدعيك حالاً."

خرجت أميرة من الحجرة لتجد أباه وأولاده غارقين في حديث مرح. فكانوا يضحكون ويتحدثون عن شيء ما. وكانت أم علي قد أحضرت لهم الشاي وعادت إلى المطبخ لتجهز لهم طعام الغداء. ودائماً ما كانت أميرة تتعجب من سرعة تغيير أمزجة الرجال فتارة يصيحون بصوت عالٍ ويعقب هذا فوراً إلقاء النكات وتبادلها مع بعضهم البعض. كان صوت "علي" هو أعلى الأصوات وقال: "هل قرأت الجريدة اليوم يا أبي؟. قد كان هناك مقال شيق يحكي عن لص في مصر. فقد قبض البوليس على اللص وهو يحاول الفرار ممسكاً بجهاز تليفزيون، وقد كان يرتدي الحجاب متشبهاً بالنساء وكان يضع جهاز التليفزيون داخل الحجاب ليبدو وكأنها امرأة حامل ولكن لسوء حظه كان يتمايل أثناء سيره ويحاول ضبط وضع التليفزيون داخل الحجاب وهذا ما ساعد على اكتشاف أمره. فهل تتخيل هذا؟.. ماذا سيفعلون بعد هذا؟."

أجاب أبو علي كرجل دين له مكانته المرموقة: "إن الحجاب رداء مقدس والغرض منه الحفاظ على شرف المرأة. وإن استخدامه بطريقة فاضحة مثل هذه فهذا حرام. ومن الواجب أن يُقتل هذا الرجل رمياً بالرصاص." لم يجرو أحد من الأولاد أن يضحك بعد سماع رد أبيهم على هذا الخبر على الرغم من أنهم كانوا مشحونين من

الضحك داخلهم. فأبوهم كان لديه القدرة على كبتهم ولا سيما عندما يتحدث بالنبرة الدينية.

ولأول مرة منذ فترة طويلة يجتمع جميع الأولاد بالمنزل لتناول وجبة العشاء معاً. وقد كان جلوسهم معاً هذا المساء ليس لمجرد احترامهم لوالدهم وخوفهم من بطشه لهم إذا ما حاولوا ترك المنزل لكن كان جميعهم في شغف وتلهف لرؤية الزوجة الجديدة مرة ثانية. وبينما خرجت أميرة تحمل الشاي لتوصيله إلى فاطمة في الغرفة ناداها أبوها قائلاً: "قولي لمدام فاطمة أن تأتي إلى هنا لتشرب الشاي معي."

أجابت أميرة: "حاضر يا أبي" وأسرعت إلى حجرة فاطمة لتخبرها قائلة: "أبي يريدك أن تأتي لتشربي الشاي معه في الصالون". أجابت فاطمة: "أشكرك" وبسرعة ارتدت الحجاب ومسحت دموعها وسارت خلف أميرة إلى خارج الحجرة.

كان الأولاد جميعاً يحيطون أباهم من كل الجهات عندما دخلت فاطمة الصالون، وعندما لاحظ أبو علي الفضول الزائد من أولاده نحو زوجته الجديدة أصدر أوامره على الفور لهم: "اذهبوا كل واحد إلى حجرته ودعوني أجلس أنا وزوجتي بمفردنا لبعض الوقت. وسأراكم على العشاء."

لم يستجيبوا لأوامر أبوهم بالسرعة المطلوبة بل ساروا ببطء شديد حتى غادروا جميعهم الصالون تاركين أبيهم مع

زوجته الجديدة بمفردهما. أما أميرة فتركت الشاي لفاطمة
وذهبت لتساعد أمها في إعداد وجبة العشاء في المطبخ.

الفصل الثاني والعشرون

بينما كان أبو علي يجلس مع زوجته الجديدة محاولاً ملاطفتها وتهديئة الأجواء معها، كانت أميرة تحكي لأمها عن كل ما حدث خارج المطبخ تفصيلاً. فضحكت أميرة وأمها بهدوء على منظر الأولاد وهم يرون لأول مرة زوجة أبيهم الجديدة. وقالت أم علي باستغراب: "لم أكن أتخيل أن هذا الرجل سيتزوج بفتاة أصغر سناً من ابنه. فيم كان يفكر؟! سوف يكون من الضروري عليه أن يحبسها في الحجرة خوفاً عليها من أولاده."

قالت أميرة: "آه.. يا ماما لو كنت ترين الخوف الذي كان يملأ عينيها لأنفطر قلبك عليها. فهي من أسرة فقيرة ولا تملك سوى شبابها لتقدمه لأبي. وكل ما أخشاه أنها إذا لم تُسعد وترضي أبي فسينعكس هذا بالسلب على أسرتها." قالت أم أميرة: "إذاً يجب الآن أن نأخذ هذه المسؤولية على عاتقنا ولنساعدنا لثُرُضي زوجها الجديد وأنا بدوري سأعلمها موقفاً أو أكثر فيه تُرضي به أي رجل لتصبح الزوجة الكفء."

سألت أميرة قائلة: "يا أمي هل أنت متأكدة أنك تريدين أن تفعلي هذا؟ أليس من المؤلم لك أن تشاهده مع امرأة صغيرة مثل هذه؟"

قالت أم أميرة: "إنه يؤلمني أكثر مما تتخيلين يا بنتي ولكني قررت أن أتخذ هذا الموقف. ويجب عليّ أن أتعلم كيف أتعاش مع هذا الموقف. فوضع هذه الفتاة سيء للغاية

كونها تزوجت من أبيك وأنا لن أزيد عليها مأساتها وأكون لها كعدو فإني أشفق عليها كثيراً."

أجابت أميرة: "يا ماما إنك أقوى جداً مما كنت أتخيل". قالت أم أميرة "إنها ليست قوتي يا أميرة لكن الله أعطاني القوة والقدرة على احتمال البقاء في هذا المنزل هذه الليلة وأنا أعلم أن زوجي سوف ينام مع امرأة أخرى. وأنا متكلة على الله بالتمام هذا المساء. وأنا في ذاتي ليس لدى أي قوة للإحتمال. والآن دعينا نتوقف عن الحديث ونعد الطعام على المائدة."

بدأت أم علي وأميرة في إعداد الطعام على المائدة. فقد جهزا طعاماً يكفي لإطعام عدة عائلات في هذا المساء وأصبحت المائدة مغطاه تماماً بالأطباق المليئة بالأطعمة الشهية من لحوم وخضروات وسلطات. ولما انتشرت رائحة الطعام في أرجاء المنزل هب الأولاد كل من حجرته إلى مائدة الطعام. ولما صارت المائدة معدة تماماً أعلنت أم علي "أنه وقت الطعام.. مرحباً يا أبو علي ويا مدام فاطمة من فضلكم تعالوا لتستمتعوا بالطعام مع عائلتكم."

لما رأى أبو علي الوليمة التي أعدتها زوجته الأولى مع ابنتها صمت عن الكلام. وجلس أبو علي على رأس المائدة وطلب إلى فاطمة الجلوس عن يمينه. وبعدها فاجأ الجميع بأن طلب إلى أم علي الجلوس عن يساره. وطلب إلى أميرة أن تجلس بجوار فاطمة لتكون حاجزاً بين فاطمة وأولاده.

تراحم الأولاد في الناحية المقابلة من المائدة. وأكل الجميع في صمت تام معظم الوقت. وأخيراً تكلم أبو علي وقال: "تسلم ايديك يا أم علي. أنا سأشرب الشاي في الصالون."

بهذه الكلمات القليلة أنهى أبو علي وقت الطعام وقام وتبعته فاطمة إلى الصالون بعد أن نظرت لأم علي وأميرة نظرة تقدير. أما الأولاد فأسرعوا بالتهام ما يمكن التهامه بسرعة من قطع اللحم والخبز قبل أن يتركوا المائدة وهم متذمرون. وبدأت أميرة في رفع الأطباق من على المائدة وفجأة عادت فاطمة لتقول لها: "إنه قال لي أن أذهب وأكون مع السيدات فإنني أخمن أنه يريد أن يمكث بعض الوقت مع أولاده. فهل يمكنني أن أساعدكما؟". أجابت أم علي: "شكراً.. فأنا وأميرة سنقوم بالعمل فلا بد وان تكوني متعبة فلم لا تأخذين قسطاً من الراحة في غرفتك الجديدة؟"

قالت فاطمة: "أنا لا أستطيع أن أترككما تقومان بالعمل كله فيكفي أنكما قمتما بإعداد الطعام لعدة أيام فمن فضلكما دعوني أساعدكما."

قالت أم علي: "لا.. ليس هذه الليلة.. سيكون لديك الوقت الكثير للمساعدة فيه ولكن يجب أن تستريح في هذه الليلة."

أجابت فاطمة: "أشكرك.. فإن الله حقاً باركني بأن منحني أختاً عطوفة مثلك.. تصبحون على خير."

ردت أم علي: "أنا أختك... تصبحين على خير."

جلس أبو علي مع الأولاد يشاهدون التلفزيون ويتحدثون معاً. أما أميرة وأمها فقضيا وقتاً طويلاً في غسل الأطباق بعد العشاء. لقد كان يوماً مرهقاً للغاية ولكن من الواضح أنه يوم ناجح وبه القليل من المشاكل. وبينما هما ينظفان الأطباق شكرتا الرب على مساعدته لهما وخاصة في هذا الوقت الصعب. ثم جاء أخو أميرة الأصغر إلى المطبخ مطالاً برأسه قائلاً: "إنه طعام لذيذ.. تسلم أيديكما.. تصبحون على خير". وهذا كان له الأثر الكبير في رفع حالتها المعنوية.

كاد يغشى على أميرة وأمها عندما سمعا كلمات الأخ الأصغر. فمن النادر جداً أن يقول أحد الأبناء مثل هذا الثناء والمديح. ماذا حدث في العالم؟! سألت أميرة: "هل تعتقدين يا ماما أنه رأى رؤية عن المسيح أيضاً؟!" أجابت أم أميرة ضاحكة: "نتمني هذا. أشرك يارب. وبهذه العبارة الجميلة دعينا ننهي أعمالنا ونذهب إلى الفراش يا أميرة."

"فكرة جميلة يا ماما."

ذهبت أميرة مع أمها تتسحب دون أن ترى وجه "أبو علي" مرة أخرى إلى فراشهما. وتساءلت أميرة: "هل سيكون الغد مثلما مر اليوم بسلام؟ إنه الآن سيبدأ فعلياً وقت المعيشة مع بعضنا ومع الزوجة الجديدة". وصلت أميرة داعية "ساعدنا يارب." ونامت أميرة وأمها سريعاً بعد يوم طويل ومرهق.

الفصل الثالث والعشرون

استيقظت أم علي قبل شروق الشمس لتقوم بإعداد طعام الإفطار. وذلك على الرغم من أنها كانت مرهقة من أعمال المنزل طيلة اليومين السابقين. فكان لابد وأن تعود إلى عاداتها المألوفة في الاستيقاظ مبكراً ليكون الطعام جاهزاً قبل أن يستيقظ الرجال.

ظلت أميرة نائمة. وعند دخول أم علي المطبخ وجدت فاطمة تجلس على المائدة وهي تبكي فسألتها قائلة: "ما بالك تبكين يا أختي؟"

أجابتها فاطمة: "أنا بخير – فقط لدى حنين لمنزلي. أنا مشتاقة لأن أرى والديّ."

قالت أم علي وهي تربت على أكتافها: "إن هذا أمر طبيعي. فلقد تركت كل شيء خلفك لتدخل في عالم جديد وغريب عليك. وستتحسن الأمور مستقبلاً بمرور الوقت." قالت فاطمة: "أتمنى ذلك. وأشكرك."

عرضت عليها أم علي قائلة: "دعيني أجهز لك فنجاناً من القهوة حتى ما تستطيعين مساعدتي في تحضير طعام الإفطار."

أجابت فاطمة: "أشكرك وأود أن أساعدك بكل سرور." وبسرعة أدركت أم علي أن الزوجة الجديدة ليس لها دراية بأعمال المطبخ. وأثناء حديثهما معاً بينما كانا يجهزان طعام الإفطار أخبرت فاطمة أم علي بأنها كانت تقضي معظم وقتها مع أبيها في محل البقالة ولم تكن تقضي

أي وقت تقريباً مع أمها فاعترفت لها بأنها لا تعلم الكثير عن أعمال المنزل.

قالت أم علي: "ستتغير الأمور وأنت كزوجة يُفترض منك أنك تقومين بأعمال كثيرة لكن لا تقلقي فأنا وأميرة سوف نساعدك لتتعلمي وتتنقي كل ما تحتاجين معرفته." أجابت فاطمة: "أنا لم أفعل معك أي شيء أستحق معه أن تبادليني هذا المعروف.. فأنا لو كنت مكانك لكنت فعلت كل ما بوسعي لأجعلك تعيسة، لكنك استقبلتيني كواحدة من أبنائك.. ما الذي يجعلك مختلفة هكذا؟"

وخوفاً من أن تتعجل الأمور وتخبر العضو الجديد في العائلة قالت أم علي بإيجاز: "سوف يكون لدينا الوقت الكثير لنحدث عن هذا الأمر فيما بعد. أما الآن فمن المهم أن تكوني أحسن زوجة على قدر ما تستطيعين."

وقبل أن توجه فاطمة الشكر لأم علي ثانية سمعت صوت أبو علي يصيح من غرفة الطعام قائلاً: "أين طعام الإفطار...؟!" وبهذا كان يعلن بوضوح للجميع أنه استيقظ من النوم ويجلس في غرفة الطعام في انتظار من يخدمه. أسرعت أم علي وأعطت صينية الطعام لفاطمة ومعها القهوة قائلة لها: "خذي هذا الطعام له. وسوف يكون أكثر سعادة عندما يرى وجهك في بداية اليوم أفضل من أن يرى وجهي."

أجابت فاطمة: "إنني أخاف من أن تنصب القهوة عليه بينما أنا أقدمها له."

نصحتها أم علي: "لا.. لن يحدث هذا، فقط خذي نفساً عميقاً واخرجي وعلى وجهك ابتسامة."

سارت فاطمة وهي تحمل الصينية ببطء شديد بينما كانت أم علي تراقبها وتزيل من أمامها كل ما يعترض طريقها إلى أن وصلت لزوجها بسلام إلى غرفة الطعام وسمعتها تحيي زوجها بصوت جميل مرتعب: "صباح الخير يا أبو علي". رد أبو علي على تحية فاطمة بصوت أجش ولفظ قائلاً: "ما هذا.. هل تعلمت زوجتي الجديدة أن تعد طعام الإفطار بهذه السرعة؟ فلديك مهارات أكثر مما كنت أتوقع. لكنني أعلم أن هناك شخصاً آخر خلف باب المطبخ. اخرجي يا امرأة وتعالِي إلى هنا... ماذا؟! ألا تريدين أن تحيي زوجك في الصباح من الآن فصاعداً...؟!."

سارت أم علي ببطء شديد وهي تستجمع قواها إلى أن وصلت غرفة الطعام وقدمت لأبو علي التحية: "صباح الخير يا أبو علي. أنا أثق أنك أخذت قسطاً كافياً من النوم." أجاب أبو علي: "هذا ليس من شأنك الآن.. هل أعددت طعام الإفطار هذا أم فاطمة...؟!."

أجابت أم علي: "لقد أعددناه سوياً. يا زوجي." رد أبو علي وقال: "هذا ما توقعته.. يا امرأة.. أنا أمنعك من أن تعلمي زوجتي أي شيء. أنا أعلم أنه لا فائدة منها. فأنا لم أتزوجها لمهارتها في إعداد الطعام. إن أعمال التنظيف وإعداد الطعام هي واجبك أنت. أما فاطمة لديها

واجب واحد فقط ولن أسمح لك بإفسادها بأن ترهقها بعمل آخر. هل هذا واضح!؟".

أجابت أم علي: "نعم يا زوجي.. واضح تماماً." فقال أبو علي بصيغة الأمر: "يا فاطمة اجلسي وتناولي معي الطعام.. ويا امرأة عودي إلى عملك." أدرات أم علي ظهرها لتعود إلى المطبخ وهي تشعر بوهن في جسدها. ولكن شكراً لله أن أميرة ذهبت إلى المطبخ بعدما استدعى أبوها أم علي إلى غرفة الطعام بوقت قصير. وقد سمعت كل ما قاله أبوها فقالت: "أمي.. أمي.. هل أنت بخير؟" وبينما أميرة تكلم أمها وجدتها تسقط فجأة على أقرب كرسي لها.

أجابت أم علي ببطء شديد: "نعم.. نعم أنا بخير. إن كلماته هذه تسحقني يا بنتي. وأنا التي سمحت لكلماته هذه أن تتغلغل في داخلي". وتمالكت أم علي أعصابها وقامت لتجلس على المائدة في المطبخ فأسرعت أميرة وصبت لها كوب شاي وقالت لها: "يا أمي حقاً إن هذا المنزل ملئ بالظلام فكيف يمكننا أن نقف في وجه قوى الظلام هذه؟" أجابت أم علي: "سيساعدنا المسيح على ذلك ويجب أن نتكل عليه."

طلبت أميرة من أمها أن تذهب لتستريح في حجرتها وستقوم هي بإعداد طعام الإفطار للأولاد وبعدها ستنظف الأطباق.

وعندما خرج أبو علي إلى الجامع أسرعت فاطمة إلى المطبخ وهي تصرخ قائلة: "أميرة أين أمك؟.. هل هي

بخير..؟ كم أنا متأسفة لأجل كلماته الجارحة. وأنا أعلم كم
أتسبب لها في آلام شديدة."

أجابت أميرة: "إن أُمِّي كانت تمر بآلام شديدة قبل
حضورك يا مدام فاطمة وكلماته الجارحة هذه ليست أمراً
جديداً. وإن أُمِّي تأخذ قسطاً من الراحة الآن. وهي تتكل
على الله ليساعدها."

قالت فاطمة: "يالها من امرأة شجاعة جداً."
أجابت أميرة: "هو الله الذي يجعلها شجاعة هكذا."
قالت فاطمة: "أتمنى أن أكون بمثل قوتها هذه."
أجابت أميرة: "تستطيعين... تستطيعين.. والآن اسمحي
لي بأن أقوم بواجباتي نحو أُمِّي ونحو أعمال المنزل."
تركت أميرة فاطمة وهي تقف في المطبخ. وهي تدرك
تماماً أن كل ما حدث لعائلتها لا ذنب لفاطمة فيه. وفعلياً
أميرة تشعر بالعطف نحو فاطمة وتطلب من الله أن
يساعدها لتشاركها بمحبته في الوقت المناسب.

بينما كانت أم أميرة تسترخي في الحجرة دخلت عليها
أميرة قائلة لها: "كيف حالك الآن يا أُمِّي؟".
أجابت أم أميرة: "أنا الآن أفضل بكثير.. أشكرك. هل
خرج أبوك من المنزل؟".

أجابت أميرة: "نعم يا أُمِّي. ماذا تريد مني أن أقوم به
هذا الصباح؟ أنا أريدك أن تستريحي على قدر المستطاع."
قالت أم علي: "إن هذا العمل يتطلب منا أن نعمله سوياً
وأنا الآن أحسن ويمكنني أن أقوم لأعمل معك... ماذا تعمل

فاطمة؟". أجابت أميرة: "لا أعلم". فقالت أم أميرة: "دعينا نذهب لنراها."

ذهبت أميرة مع أمها إلى الصالون ليجدا فاطمة جالسة وتشرب الشاي. فبادرتها أم علي بالقول: "يا أختي. إن كلمات زوجي هي بمثابة قانون في هذا المنزل. فلذلك لا أستطيع أن أنفذ ما وعدتك به هذا الصباح في المطبخ. فأنت بحاجة إلى تركيز كل طاقاتك لإسعاد زوجي كامرأة. وأنا لا أستطيع أن أستنفذ طاقاتك في أعمال المنزل أو المطبخ." صاحت فاطمة: "آه.. يا أم علي.. كيف أقضي وقتي طوال اليوم؟ أنا لا أستطيع أن أمكث في المنزل دون أن أفعل شيئاً. فأنا اعتدت على العمل في المحل مع أبي وأشغل وقتي. إني أكاد أجن!! فعلى الأقل أن أعمل شيئاً من أعمال المنزل أفضل من أن أجلس بدون عمل." أجابت أم علي: "أنا أفهم تماماً ما تشعرين به، ولكن إذا اكتشف زوجك أنك لا تطيعين أوامره فسوف يكون الأمر أسوأ جداً عليك. فلذا يجب عليك أن تطيعي أوامره. وفي الوقت نفسه فأنا وأميرة على استعداد لتشجيعك والحديث معك على قدر المستطاع. ولكن أحذرك أن لا تخبريه بأن علاقتنا طيبة مع بعضنا البعض." فوعدت فاطمة: "سأكون على حذر."

قالت أم علي وهي تقدم النصيحة لفاطمة: "أقترح عليك أن تقومي بترتيب حجرتك لجعلها جذابة باستمرار لإستقبال زوجك عند عودته في أي وقت وهذا سيشغلك لبعض الوقت."

أجابت فاطمة: "أشكرك". وعلى الفور تركت فاطمة
النشأ وأسرت لحجرة نومها.
قالت أم علي: "يالها من طفلة مسكينة فليس لديها أدنى
فكرة عن الوضع الذي أوصلت نفسها إليه."
سألت أميرة قائلة: "يا أمي هل ستشاركين معها عن
المسيح؟!"

قالت أم علي للأميرة: "كان لدى الفرصة في هذا
الصباح لكنني لم أشاركها خوفاً من أنني أتسرع في
مشاركة امرأة أكاد لا أعرف عنها شيئاً. وسوف يعطينا الله
السلام عندما يكون الوقت مناسباً. وسوف يوضح لنا
الطريقة التي نفعل بها هذا."

قالت أميرة: "أنا أظن أنك على صواب يا أمي. لكنني
فقط كنت أفكر أنها بحاجة لأن تعرف الرب الآن فهي بدون
الرب لا تستطيع أن تبقى على قيد الحياة في وضعها
الحالي."

أجابت أم علي: "إنك على صواب يا بنتي، ودعينا
نصلي من أجل اللحظة المناسبة لذلك."

الفصل الرابع والعشرون

في الساعة الثالثة عصراً نادى بصوت ودود على غير المتوقع: "يا مامي أنا هنا في المنزل."
أجابت أم علي بينما كانت تخرج من المطبخ لتحياي ابنها الأصغر محمود: "مرحباً بك في المنزل يا ابني. ثم سألته هل كل شيء على ما يرام معك؟."
أجابها محمود: "كل شيء رائع يا أمي.. وماذا عن صحتك؟".

أجابت أم علي وهي مأخوذة بهذه المفاجأة وهي اهتمام ابنها المفاجئ بالسؤال عن صحتها: "الحمد لله."
استرخى محمود على الأريكة في الصالون بينما أميرة وأمها يحملقان فيه من شدة دهشتهما. وفكرت أميرة: "هل يمكن أن يكون هذا أحد إخوتي؟ منذ متى يحدث أن يدخل أحد إخوتي إلى المنزل ويبادر بتحيةة أمي بهذا الدفء؟".
لاحظ محمود أن أميرة وأمها ارتبكا نتيجة تصرفه هذا لذا أسرع طالباً: "يا أمي هل يمكنك أن تجهزي لي كوباً من الشاي؟ وسأكون شاكراً جداً لك."
ردت أم علي متلعثمة: "بالطبع يا ابني.. سوف أحضره لك حالاً."

وعندما ذهبت أمه إلى المطبخ تحدث محمود مع أخته قائلاً: "يا أختي كيف حالك اليوم؟".
أجابت أميرة بعد أن سيطرت على انفعالاتها: "أنا بخير يا أخي". وقبل أن تتوقف عن الحديث أضافت قائلة:

"هل أنت بخير يا محمود؟" وبينما كانت هذه الكلمات تخرج من فمها كانت أميرة تخشى من أن ينهرها ويوبخها محمود لكنها قُوبلت بضحكه الدافئ لها.

فقال محمود: "ها.. ها.. بالتأكيد أنتِ تعتقدين أنني مريض. لكن الحقيقة هي أنني في أحسن حال يمكن أن أكون عليه. آه يا أختي إنني يجب أن أعتذر لكِ لأنني لم أكن أخاً صالحاً لكِ من قبل. فأنتِ كنت دائماً الأخت المثالية التي تستحق كل تقدير من عائلتك. وأنا بالأخص ممنون لكِ على وقوفك إلى جانب أمنا طيلة مدة مرضها. وأنا أعلم أنك فعلت معها الكثير حتى يتم شفاؤها."

وإذ كانت أميرة لا تزال في حذر شديد تجاه التصرف الجديد لأخيها الأصغر أجابته: "لا داعي للاعتذار يا محمود فأنا لم أقم إلا بواجبي نحو أمي. والفضل يرجع إلى الله وحده فهو الذي أعاد أمنا إلينا ولا فضل لي في ذلك." رد محمود: "نعم هو الله. حمداً لله فهو مصدر لكل شفاء ولكل خير. وسأظل شاكراً له للأبد على استعادة أمنا العزيزة لصحتها."

أثناء هذه الكلمات دخلت أم علي تحمل الشاي لابنها. ألقت أميرة نظرة ارتباك لأُمها. ماذا حدث لمحمود؟ هل تصرفه بهذه الطريقة يخفي خلفه طلب ما يريد أن أميرة وأُمها يحققانه له؟.. وضعت الأم الصينية أمام ابنها على المائدة وقد كان لكلماته التي سيتفوه بها وقع الصدمة عليها: "أشكرك يا أمي على الشاي. ألا تجلسي أنتِ وأميرة لننتحدث معاً؟"

أجابت أم علي: "إنك عطوف جداً يا ابني.. لكن يجب على أن أحضر طعام العشاء. ويمكننا أن نجلس سوياً في وقت لاحق."

قال محمود: "أتمنى هذا يا أمي."
وعندها أسرعت أميرة وأمها إلى ملجأهما في المطبخ.
وهناك تهامسا مع بعضهما البعض عن سلوك محمود الجديد هذا. فسألت أميرة: "ماذا تفهمين من هذا يا أمي؟ فأنا لم أر محمود في مثل هذه السعادة من قبل وأنا أعلم أنه لم يسبق له أن سأل عن صحتك من قبل."
أجابت أمها: "لست أعلم يا طفلي.. لست أعلم أي تفسير لهذا. أنا أخشى أن أصدق أنه فعلاً صادق في كلامه.. فلم أر من قبل مثل هذا السلوك يصدر من أحد أولادي. فيجب علينا أن ننتظر ونرى هل سيستمر هذا السلوك الجديد أم لا ونسأل الله أن يعطينا الحكمة في التصرف تجاهه."

أثناء حديث أميرة وأمها في المطبخ انتهى محمود من شرب الشاي وتسلسل خارجاً من المنزل. فقد كان شغوفاً لأن يقص على مجموعة خاصة من الأصدقاء عن كل ما حدث معه هذا اليوم.

الفصل الخامس والعشرون

عندما وصل محمود منزل إبراهيم صديقه وجد مجموعة من الأصدقاء مجتمعة في بيته، فحيوه بحرارة معانقين ومقبلين. وعندما جلسوا في الصالون بدأ إبراهيم بالصلاة: "أبانا السماوي نحن نُقر بحضورك بيننا اليوم. نشكرك لأجل هبة الخلاص التي منحتها لكل منا مجاناً. نشكرك لأنك أعطيتنا أن نكون أولادك من خلال المسيح. كن معنا الآن ونحن نسبحك ونقرأ كلمتك. بارك وقتنا معاً. إننا نصلي في اسم المسيح الغالي أمين."

نعم، محمود أخو أميرة وابن أم علي هو أيضاً مؤمن بيسوع المسيح. كيف ومتى حدث ذلك؟ هذا ما سوف تعرفه أميرة من فم أخيها سريعاً. إنه في هذا الاجتماع بالتحديد سيطلب محمود من مجموعة المؤمنين هذه أن يصلوا لأجله حتى ما يستطيع أن يشارك عائلته بإيمانه بالمسيح.

طلب إبراهيم بعد صلاته من كوكب أن تقرأ المزمور المائة من الكتاب المقدس: "اهتفي للرب يا كل الأرض. اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم. اعلموا أن الرب هو الله. هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه. ادخلوا أبوابه بحمد دياره بالتسبيح احمده باركوا اسمه. لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته وإلى دور فدور أمانته." قال إبراهيم: "لنسبح الرب معاً بالترنيم". وهنا بدأت المجموعة الصغيرة من المؤمنين بالمسيح بالترنيم للرب. وكانت هذه هي المرة الثانية لمحمود في مشاركة هذه

المجموعة في العبادة. كانت ترنيماتهم ما زالت غريبة على مسامعه، فلم يكن يتوقع أبداً أن يغني الله من قبل. فقد كان هذا تغييراً كلياً وجذرياً لمبادئه في العبادة. فكل ما سمعه طيلة حياته أنه يحظر تلحين كلمات القرآن، وهو الآن يغني بكلمات كتاب مقدس آخر وهو الكتاب المقدس. هل هذا صواب؟ هل الله مسرور بهذا؟ .

عرف محمود مما سمعه من الترانيم المختلفة أن هذا فعلاً هو ما يُسر الله.. وهو أن يسمع أولاده وهم يرثون ترنيمات تسبيح له ولكم هي جميلة. فكلمات المزمور مثل التي قرأناها الآن كانت تُردد بموسيقى اعتاد محمود على سماعها. فدقات الطبلية مع صوت الفلوت كانا مألوفين لتراثه الفني، لكنهما نادراً ما كانا يستخدمان في إكرام الله، ودائماً تستخدم في الأغاني التي تتحدث عن الحب المفقود. بدأ أفراد المجموعة بعد غناء فقرة الترانيم في مشاركة

بعضهم البعض عن تعاملات الله معهم في حياتهم خلال الأسبوع الماضي كما شاركوا في طلبات صلوات جديدة، ووجد محمود مرة أخرى أن هذا الجانب من العبادة التي يقوم بها المسيحيون أمراً غير عادي، فلم يسبق له من قبل أن سمع عن أناس يشاركون بعضهم البعض في مشاكلهم الشخصية على الرغم من عدم ارتباطهم بعضهم مع بعض بصلة قرابة. وأما هنا فهم يشاركون عن المرضي في عائلاتهم وعن أناس يريدون أن يشاركوهم عن ارتباطهم بالمسيح. كما تحدثوا عن احتياجات أخرى مثل البحث عن عمل لفرد منهم أو المشاكل التي يواجهها بعضهم في

المدارس. لم يحجب أحد منهم أية مشكلة عن المجموعة ورفعوا كل طالبة أمام الله في الصلاة.

أما اليوم فقد شارك محمود باحتياج خاص له مع المجموعة. فقال: "لقد كنت اليوم أعامل أُمي وأختي بطريقة مهذبة، ويجب عليّ أن أعترف بأنهما صُدمتا وقد رأيت هذا واضحاً علي وجهيهما. وكما تعلمون أنه ليس من الطبيعي أن يكون الولد مهذباً في معاملة أُمه في مجتمعنا. والحقيقة أنني لم أكن شاذاً عن هذه القاعدة بين إخوتي في معاملتي لأُمي، أما اليوم فقد لاحظت في سلوكي عكس هذه القاعدة مما جعلهما في حيرة من أمري. فهل يمكن الصلاة من أجلي حتى أتمكن من معرفة متى وكيف أشارك مع أختي وأُمي؟ وأنا أريد أن أشارك معهما بالذات حيث أنهما يعيشان في عزلة تماماً داخل العائلة، والسبب في ذلك أن أبي قد اتخذ له زوجة ثانية مؤخراً، وأنا أعلم أنه يجب عليّ أن أشارك أيضاً أبي وإخوتي لكن هذا سيتطلب بعض الوقت. وأنا أرى أنه من الأفضل أن أبدأ مع السيدات وربما يكون هذا طريقاً أسهل في الوصول للرجال. أشكركم لصلواتكم لأجلي."

شعرت واحدة من أفراد المجموعة بحاجة ماسة للصلاة من أجل طالبة محمود فقالت على الفور: "هل يمكننا أن نصلي الآن من أجل هذه الطالبة؟"
أجاب إبراهيم: "بالطبع... نعم.. من فضلك يا منى ارفعي محمود وعائلته في الصلاة الآن."

أجابت منى: "نعم.. " وبدأت تصلي: "أبانا السماوي
نشكرك من أجل عائلاتنا ونشكرك أنك تمنحنا آباء وأمّهات
يهتمون بنا ونحن هنا على الأرض. يارب أنت تعلم أن
كثيرين من أفراد عائلاتنا لا يعرفون عن محبتك لهم من
خلال المسيح. أنت تعلم كم هو مهم بالنسبة لنا أن نرى
عائلاتنا تقبلتك كمخلص لها كما نحن قبلناك. يارب أنا أرفع
محمود أمامك الآن. أشكرك لأنه ابتداء حياة جديدة في
المسيح وهو يريد أن يرى عائلته تبدأ نفس الحياة. سهّل
أمامه الطريق ليستطيع مشاركة أخته وأمه بمحبته لك، لكي
يتقبلا هذه المعتقدات الجديدة عند سماعهما إياها من
محمود. يارب امنحه شجاعة وجرأة على مشاركتها في
أول فرصة يجدها سائحة أمامه، وامنحه بركة بينما يفعل
هذا. في اسم المسيح أصلي. آمين."

بينما كانت منى تصلي، شعر محمود بسلام عميق وقوة
جديدة تسرى في جسده. وبينما قال الجميع "آمين" على
صلاة منى، أدرك محمود أن الله قد سمع حقاً وسيستجيب
الصلاة. وأصبح شغوفاً لمعرفة ما سيحدث.

بعد انتهاء فترة الصلاة قام زوج كوكب "أبو رحال"
ليشارك المجموعة من الكتاب المقدس. وقرأ من سفر إرميا
الأصحاح التاسع والعشرين والآية الحادية عشرة "لأنني
عرفت الأفكار التي أنا مفكر بها عنكم يقول الرب أفكار
سلام (خطط سلام) لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء (مستقبلاً
ورجاء)." "

بدأ أبو رحال في الحديث عن المستقبل المضمون في
يدي الله ورجائنا الأكيد في الله عندما نعرف المسيح. بدأ
محمود يستمع إلى المناقشات التي كانت تدور حول الفقرة
التي قرأها أبو رحال وتشجع كثيراً حينما أدرك أن الله يعلم
تماماً كل ما سيحدث في حياته الخاصة مستقبلاً.

ابتدأ يفكر في نفسه "هل الله فعلاً له خطة لأجلي؟". قد
كان الله بالنسبة لمحمود يبدو بعيداً عنه لذا كان يأخذ وقتاً
طويلاً حتى ما يدرك حقيقة الله المحب والذي يريد أن يكون
في علاقة معه. لكن مع مرور الأيام ومع قراءته للكتاب
المقدس أكثر وأكثر كان يزداد إيمانه بالله المحب ويشعر
بحضور الله يملأ حياته. وهو يعلم أن مستقبله الآن مشرق
لوجود المسيح في حياته وتمنى أن يشارك أسرته بهذا
الأمر.

بعد فقرة المشاركة هذه صلى أحدهم ثم رنموا ترنيمة
وهكذا انتهت فترة العبادة. وابتدأ المؤمنون المجتمعون
يشجعون بعضهم البعض أثناء شربهم للقهوة. وكان إبراهيم
هو أول من تحدث مع محمود فقال: "إني سعيد جداً أننا
نستمر نصلي من أجلك حتى ما تتمكن من أن مشاركة أمك
وأختك. ودعنا نعرف ماذا سيحدث."
أجاب محمود: "سأخبرك.. أشكرك."

الفصل السادس والعشرون

أثناء الأيام الأولى لافتراق أمين وأميرة ظل أمين يمر باستمرار على منزل أميرة على أمل أن يلحق أميرة مرة ثانية، إلا أنه كان يعلم تماماً أن مثل هذا لن يحدث ما لم يتدخل الله بطريقة معجزة. وبينما كان أمين يفكر كثيراً في أميرة على مدار اليوم بدأ اليأس من إمكانية لم شملهما مرة أخرى يتطرق إلى نفسه. وعندها بدأ يسأل الله.. لماذا سمح لهما بالارتباط العاطفي مع بعضهما؟

وبينما كان أمين يقود سيارته إلى مكان هادئ صلي قائلاً: "أبي السماوي أنا أعلم أنك أنت المتحكم في كل الأمور وأنا أقر وأعترف بأمانتك في حياتي حيث أنك خلصتني من حياة اليأس وملأتني بالسلام والخلاص الأكيد. وأنا لا أشك في أن يدك على حياتي. هناك أوقات في حياتنا لا نستطيع أن نرى هدفك بوضوح كما حدث معنا أنا وأميرة في الأسابيع القليلة الماضية، فأنا يارب أعلم أن هدفك الرئيسي في أن تحضر أميرة في حياتي هو أن أعرفها بك، وإذا لم يكن لك هدف آخر فأنا سأكون سعيداً لما حدث. لكن يارب أنت تعلم أن أميرة قد لمست وتراً في قلبي وأنا غير قادر على أن أنساها.

آه يارب لو كانت مشاعري من ناحية أميرة ليست منك، فمن فضلك وضح لي هذا وانزع مني هذه المشاعر. أعطني راحة يارب بأنك أنت تهتم بها وأنك تُعد لي فتاة أخرى. ولو أن خطتك أن ترتبط مع بعض كزوج وكزوجة

فمن فضلك وضح لي هذا الأمر. وفي الوقت الحالي سوف أعيش حياتي العادية كما كانت قبل رؤية أميرة، ولكنني لن أكف عن أن أرفعها أمامك في الصلاة مع أمها طالباً لهما الحماية والنمو في إيمانهما الجديد. يارب أنا أضع مستقبلتي بالكامل بين يديك ولن أحاول مرة أخرى في رؤيتها ولم يحدث يا أبي أنك خذلتني من قبل وأنا متأكد أنه يمكنني أن أثق فيك في هذا الأمر أيضاً. أشكرك يارب لأنك تسمع صلاتي وتعرف ما بداخلي. في اسم المسيح أصلي. آمين."

شعر أمين بسلام عميق يملأ كيانه حيث أنه أدرك أنه لا يجب أن يكون قلقاً بعد أن سلم كل أموره لسيطرة الله، وأصبح قادراً على الاستمرار في عمله اليومي واثقاً أن مستقبله في يدي الله.

استخدم الله أمين كسائق تاكسي في حياة الكثيرين في دمشق. فغالبية من ركبوا معه التاكسي كانوا يفتقدون كلمات الرجاء والتشجيع إذ أن حياتهم مليئة بالخوف والرعب. وكان أمين يعلم أن الله جعله ابناً له لهدف معين لذا كان ينتهز كل فرصة سانحة للمشاركة بإيمانه مع هؤلاء الذين أعدمهم الروح القدس لسماع الرسالة. وعلى الرغم من خطورة هذا العمل على أمين كسائق تاكسي إلا أنه يؤمن تماماً أن الله لن يُجبره على مشاركة أحد ما لم يكن في حاجة لسماع الكلمة. لذا لم يتردد أبداً في إعطاء كلمة رجاء لمن هم بلا رجاء.

قاد أمين أكثر من مرة أحد الأشخاص الذين كانوا معه في التاكسي إلى الإيمان بالمسيح فقد كان يدرك أنها

إرسالية من الله, ولذا كان يأخذ هذه الإرسالية مأخذ الجد مع
بداية كل صباح جديد فهو يصلي قبل أن يدير مفتاح
السيارة طالباً من الله أن يعطيه الحساسية تجاه الناس
المحتاجة التي تتركب معه السيارة. كما كان يطلب قيادة الله
له في معرفة متى يشارك بإيمانه من عدمه. لقد حفظه الله
وباركه في خدمته هذه لعدة سنوات. والله هو الذي أعطي
أمين الحساسية تجاه احتياجات أميرة ولا سيما في وقت
الأزمة التي كانت تمر بها.

الفصل السابع والعشرون

توجه محمود عائداً إلى منزله وكله ثقة في الله بأنه سيسمح له بمشاركة أمه وأخته بإيمانه الجديد في المسيح. وبعد أن بدأ في صعود سلم منزله قابله أخوه الأكبر "علي". وعندئذ جذبه من يده إلى جانب السلم ولما التفت "علي" حوله وتأكد من عدم وجود أي شخص يمكن أن يسمعه ابتداءً يقول لمحمود: "هل شاهدت زوجة أبيينا الجديدة ليلة أمس؟.. هل يمكنك أن تصدق أن أبانا على هذه الدرجة من الوقاحة أن يذهب ليتزوج امرأة أصغر من نصف عمره؟! أنا لا أستطيع تصديق هذا!! فإن عمرها يناسب أن تكون زوجة لي.. وليس لأبي!! فكيف له أن يتجرأ أن يفكر في لذته وسعادته قبل أن يفكر في سعادة أبنائه!! فقد وعدني منذ سنتين بأن يختار لي زوجة!! وأنا لست مندهشاً حيث أنني أتوقع أن أبي اختار هذه الزوجة لي وفجأة غير رأيه واتخذها زوجة له بدلاً مني!! إن تصرف أبي هذا يجعلني في شدة الاستياء منه!!"

وقف محمود مذهولاً وهو يستمع لكلمات الغدر والخيانة من أخيه. وحيث أن "علي" الأخ الأكبر في العائلة لذلك لم يكن يجروء على معارضته وفي ذات الوقت الذي وجد فيه محمود أن "علي" على حق في انتقاده لتصرفات أبيه الخاطئة إلا أنه مخطئ في الكلام على أبيه بهذه الطريقة، فوقف محمود في حيرة من أمره إذ كيف يجاوب علي، فلم يسعفه تفكيره إلا أن يصلي في قلبه: "ساعدني يا

يسوع". عندها بدأ الكلام ينساب من فمه "يا أخي أنا أعلم كم جُرحت بتصرفات أبينا هذه. نعم إنك تستحق زوجة تُسدّد احتياجاتك وتبدأ معها في تكوين عائلة. وفي الأغلب لقد اختار أبوك زوجته وأعتقد أنها لا تناسب ميولك. فلا تغضب منه. وأنا متأكد أنه لم يكن يقصد أن يؤلمك بزواجه بهذه المرأة. والله سوف يرتب لك زوجة رائعة في الوقت المناسب وأنا متأكد من ذلك."

على الرغم من أنه كان من المفترض أن يهدأ "علي" عند سماع كلمات محمود هذه إلا أن الغضب الذي كان يملؤه حجب تأثير هذه الكلمات عليه. فلذا صاح غاضباً: "إن أباك لم يفكر قط إلا في نفسه!!.. كيف لا ترى أنت هذا!!؟ وعلى العموم سوف لا أظهر غضبي هذا أمامه. ولكن توجد طرق أخرى لأنال من كبريائه هذا وأناانيته. فيجب عليه أن يتجرع من الدواء الذي صنعه بنفسه!.. سأريه."!!..

دفع "علي" بمحمود جانباً ونزل السلم مسرعاً في تمرد. وحاول محمود مسرعاً اللحاق به ولكنه وجد أنه لا جدوى من ذلك كما أنه حاول عدم جذب انتباه الجيران لهما. لذا جلس على آخر درجة من السلم وبدأ يصلي: "آه يارب.. كيف يمكنني أن أبدأ في الصلاة من أجل أخي "علي"؟" إنه يشعر بالألم شديد ويكاد ينفجر من شدة الغيظ. فهل لك يارب أن تكسر الحاجز الذي يعوقه عن سماع صوتك والإقتناع بالمنطق والعقل؟.. يارب من فضلك احمه من أن يفعل شيئاً يؤذي به نفسه أو يؤذي به أبي نتيجة

غضبه هذا.. امنحه سلاماً لعقله وقلبه المضطرب. من
فضلك يارب لا تسمح لأن يعلم أبي بغضب "علي"
ومقاصده الشريرة. دع سلامك يسود في منزلنا. في اسم
المسيح. آمين."

بعد مقابلة محمود هذه مع "علي" كان من الصعب
على محمود أن يصعد سلم المنزل ويستجمع قواه مرة
أخرى لمشاركة أمه وأخته حيث أن انتهاك "علي" حرمان
أبيه استنفذ كل طاقة محمود للشهادة عن المسيح.

الفصل الثامن والعشرون

دخل محمود إلى منزله وتوجه مباشرة إلى غرفته. والحمد لله أن أخاه رمزي الذي يشاركه نفس غرفته كان يجلس في ركن آخر من المنزل مما أتاح الفرصة لمحمود أن يستلقي على سريره ويسترجع كل ما حدث معه هذا اليوم. ابتداءً وهو في حيرته يصلي قائلاً: "لماذا يارب سمحت "علي" أن يُفسد رغبتني وحماستي لأن أشارك أميرة وأمي؟ حقاً يارب لقد أضاع لي يومي!!"

وبينما محمود يمعن النظر في هذه الأمور سمع طرقات خفيفة على باب الغرفة فقال محمود للطارق ادخل ففتحت أميرة الباب ودخلت وقالت: "إن طعام العشاء جاهز يا أخي". فأجاب محمود وهو يتنهد: "أشكرك يا أختي". لم تكن أميرة على علم بما حدث بين محمود و"علي" أخيها فلذا قالت: "هل أنت بخير يا محمود؟".

أجاب محمود: "سأكون على ما يرام يا أختي وأشكرك". ثم أضاف قائلاً: "سأخبرك بما حدث عندما يكون الوقت مناسباً فيما بعد". أجابت أميرة: "بالطبع يا أخي. لكن يجب أن نجلس على المائدة الآن حيث أن أبي سيخرج من حجرته بعد قليل ويجدنا في انتظاره."

قام محمود وتبع أميرة وهو مضطر إلى مائدة الطعام حيث كانت أمه تجهز المائدة. لاحظ "أبو علي" غياب

"علي" فقال "أين ابني البكر هذا المساء؟. ألا يرى أنه من اللائق أن يتفضل علينا بوجوده معنا؟!"

أجابت أم علي: "لا بد وأن هناك أمراً مستعجلاً يجب أن يفعله وإلا لما تأخر أبداً عن العشاء مع العائلة." أجاب الأب بلهجة يتضمنها الشك: "أتمنى أن يكون هذا الأمر مستعجلاً فعلاً مما اضطره للغياب."

فور الانتهاء من تناول طعام العشاء أعلن أبو علي أنه سيعود إلى المنزل متأخراً هذا المساء وقام على الفور وخرج تاركاً المنزل. وعندها تنهد جميع أفراد العائلة معاً في ارتياح لخروجه من المنزل. أما زوجته الجديدة فبدأ عليها الإرهاق من قضاء يوم طويل معه فاعتذرت لهم على الفور وذهبت لتنام في حجرتها. وكذلك الأولاد الذين لم يعتادوا على المكوث في المنزل مضوا كل واحد إلى خارج المنزل مودعين أمهم.

أما محمود فهو الوحيد الذي مكث في المنزل مع أمه وأخته. وبينما كانت أميرة تساعد أمها في غسل الأطباق بعد العشاء، دخل محمود إلى المطبخ يعرض في ارتباك: "هل يمكن أن أساعد في شيء يا أمي؟"

قالت أم علي: "إن هذا لطف منك يا ابني." نظرت أميرة لأمها نظرة استغراب بينما كانت تسمع رد أمها على محمود ولكنها استمرت بتنظيف المائدة. فبال تأكيد إن هذه كانت المرة الأولى التي يعرض فيها أحد الأولاد في هذه العائلة أن يساعد في أعمال المطبخ ولم تكن

الأم أو ابنتها تعرفان كيف يمكنهما التعامل مع هذا التطور الجديد هذا؟

بدأ محمود بهدوء يساعد أميرة في تنظيف مائدة الطعام ثم توجه معها إلى المطبخ وجلس على المائدة بينما استمرت أميرة وأمها في غسيل الأطباق ووضعها في مكانها.

سألت أم علي محمود: "هل تريد فنجاناً من الشاي يا ابني؟". أجابها قائلاً: "سيكون هذا رائعاً يا أمي". وبينما كان يشرب الشاي أخذ يراقبهما في عملهما وبدأ الحديث معهما وهو متوتر: "أنا أتخيل أنكما في حيرة من أمري".

أدارت أميرة وأمها وجهيهما وأوماً برأسيهما بالإيجاب لمحمود. واستمر محمود قائلاً: "إن عندي الكثير لأخبركما به ولكن قبل أن أخبركما بشيء أريد أولاً أن أشارككما بما حدث اليوم من "علي". "

أجابت أم علي: "من فضلك قل لنا يا ابني". وبهذا التشجيع من أمه أخبرها محمود بكل ما دار بينه وبين "علي" على السلم. نظرت أميرة إلى أمها بتعجب ثم سألت أم علي محمود: "ماذا تظن في رأيك سوف يفعله "علي" يا ابني؟".

أجاب محمود: "هذا ما لا أستطيع أن أتوقعه يا أمي". عندئذ أجابت أم علي قائلة: "إذاً ليس في إمكاننا إلا أن نصلي إلى الله أن يلمس قلبه ويمنعه من أن يؤذي نفسه أو يؤذي أباه".

اندهش محمود لسماع والدته وهي تطلب أن تصلي
بنفس كلماته التي سبق وأن صلي بها على السلم. وظل
يفكر "ماذا يعني هذا؟! هل يمكن أن يكون الله قد فتح لي
الباب لأشاركهما بهذه السهولة؟!!!" وعندئذ انتهز محمود
الفرصة وقال: "يا أمي.. يجب وأن يكون الله هو الذي قادنا
معاً لأن نصلي نفس الصلاة من أجل ابنك علي. فإن
كلماتك التي قلتها لي الآن هي بعينها الكلمات التي قلتها أنا
في صلاتي إلى الله علي السلم بعد حديثي مع علي."
قالت أم علي لمحمود: "يبدو أن الله يعمل في حياتنا
بنفس الطريقة يا ابني."

أجاب محمود: "بالفعل قد عمل الله أشياء عظيمة في
حياتي يا أمي."

أجابت أم علي: "من فضلك شاركنا بما حدث معك يا
ابني حتى نفرح معك."

وهنا تنفس محمود الصعداء وبدأ في الحديث: "يا أمي
ويا أختي أنتما تعرفان كيف كنت أعيش حياة الابن المطيع
في هذا المنزل لسنين عديدة. وحاولت بكل ما أوتيت من
قوة أن أطيع والدي وأتبع مبادئ الإيمان. فأحياناً كنت أفعل
هذا خوفاً من بطش أبي بل في معظم الأحيان كنت أفعل
هذا خوفاً من بطش الله. وفكرة الحياة في الجحيم بعد الموت
أرعبتني ولم أستطع أن أغمض عيني ليلاً دون معرفة أين
سأقضي أبلديتي. وكنت أتوق إلى معرفة مصيري بعد
الموت كما كنت أريد ضمان وجودي في محضر الله بعد

الموت ودون أدني شك. إلا أنني لم أجد هذا الضمان الأكيد والسلام لمستقبلي بعد الموت في تعاليم ديننا.

نظرت أميرة لأمها وهي غير مصدقة لما تسمعه من محمود بينما استمر محمود قائلاً: "يا أمي.. يجب أن أخبرك أنه يوم أن رأيتهم يأخذونك إلى المستشفى، هذا دفعني إلى القيام بعمل متطرف. فعلى الرغم من أنه كان يجب علي أن أهتم بصحتك لكن يجب أن أعترف لك بأنني كنت أهتم بصحتي أكثر من اهتمامي بصحتك. لكن بينما كانوا يحملونك على النقالة عندئذ أدركت أن هذا يمكن أن يحدث لي أنا أيضاً في أي لحظة. فمثلاً يمكن حدوث حادثة أو أزمة قلبية أو أي أمراض أخرى من شأنها أن تعجل بانتهاء حياتي، مما أصابني بهلع شديد. وفور خروجك من المنزل إلى المستشفى، بدأت أفكر بجدية في البحث عن ما يضمن لي أين سأقضي أبديتي. وعلى الرغم من أنني كنت أؤدي فرائض إيماني على أكمل وجه، إلا أنني كنت أعلم أنها ليست كافية لدخولي السماء (الجنة) فقلبي مازال غير نقي."

سألت أم علي: "فماذا فعلت يا ابني؟"
أجاب محمود: "بعد لحظة قررت أن أترك المنزل لأستريح حيث أنني كنت في حالة اضطراب عقلي شديد. قطعت مسافة طويلة سيراً على قدمي إلى أن طرأت علي فكرة الذهاب إلى الحي المسيحي في المدينة. فلربما يوجد هناك ما يعطيني إجابة شافية لسؤالي. وكما قلت لكما أنني كنت يائساً، وعندها أوقفت تاكسياً وركبت وكنت غارقاً في

أفكاري إلى أن شد انتباهي المقطوعة الموسيقية التي كان
يسمعها سائق التاكسي من خلال جهاز تسجيل السيارة.
ولن أنسي أبداً كلمات هذه الأغنية التي تقول:
قلبي في اشتياق إلى لحظة اللقاء
فمتي ستأتي ويتم الرجاء

هو كل آمالي وأنا في الغربة
يسوع حبيبي كل منيتي

إن طال انتظاري فلا بد أن أراك
هذا شوق قلبي أبقى في سماك

العواصف تهدأ وستسكن الرياح
وأري حبيبي والقلب يرتاح

همست أميرة بصوت منخفض: "هذا جميل."
استمر محمود قائلاً: "لم أكن أصدق أنه يوجد أغنية
تحكي أشواق قلبي بكل هذا الوضوح. وبدون وعي طلبت
من السائق أن يعيد على مسامعي هذه الأغنية مرة أخرى.
فابتسم السائق بهدوء وأعادها مرة أخرى. ولم أتمالك نفسي
أثناء سماعي لهذه الأغنية. وبمجرد أن انتهت الأغنية
سألني سائق التاكسي "ماذا أعجبك في هذه الأغنية؟" أجبته
قائلاً: لا بد وأن الله هو الذي دبر لي أن أركب معه التاكسي
حيث أنني كنت في حاجة لسماع هذه الأغنية.. والآن

سترون أنه من الغريب أن أتحدث لسائق تاكسي بهذه الطريقة لكنني لم أشعر بالحرج أن أتحدث عن هذا الأمر معه. فقد كان يتمتع بشيء عجيب في روحه مما جعلني أسترسل في الحديث معه. فلذا شاركته بحالة الضياع التي كنت أشعر بها وكذلك عن رغبتني في معرفة أين سأذهب بعد الموت.

نظرت أم علي لمحمود بنظرات ذات معنى ومغزى وسألته: "هل أخبرت سائق التاكسي بمثل هذه الأمور؟". هتف محمود قائلاً: "لن تصدقوا ما قاله لي هذا الرجل.. وبعدها لم أكن بحاجة إلى الذهاب إلى الحي المسيحي في المدينة.. فلقد وجدت الإجابة على سؤالي في هذا التاكسي بينما كنت لا أزال قريباً جداً من منزلنا!! فبعدما أخبرته بمشكلتي طلب مني أن نشرب معاً فنجاناً من القهوة. وعلى الفور وافقته وذهبنا سوياً إلى أقرب كافيتريا. وقضينا أربع ساعات معاً.. نعم أربع ساعات!!! نتحدث عن كيف أحصل على السلام. وبالمناسبة هذا السائق الذي كان يدعي "أمين" شارك معي عن كيف وجد هو هذا السلام من خلال عيسى المسيح أو يسوع كما يلقب في الكتاب المقدس."

توقف محمود عن الكلام لحظة حيث رأى علامات الحيرة على وجهيهما، ثم استمر وهو لا يعلم السبب الحقيقي لعلامات الحيرة هذه وقال: "لقد عرفت الكثير عن النبي عيسى وذلك من خلال دراستي للقرآن لكن لم أسمع قط ماذا يقول الكتاب المقدس عن عيسى أو بطريقة أفضل

ماذا قال عيسى عن نفسه. لم يستغرق أمين وقتاً طويلاً
معي في الحديث حيث أنني أدركت سريعاً أن هذا هو
الطريق للسلام الذي كنت أبحث عنه. يقول المسيح في
الكتاب المقدس (أنا هو الطريق والحق والحياة.. ليس أحد
يأتي إلى الآب إلا بي) وعندما قال لي أمين هذه الكلمات
أدركت في قلبي أنها كلمات حقيقية وذات معنى. وفور
قبولي لهذه الكلمات على أنها حقيقة شعرت بسلام لم أشعر
به من قبل. واستمر هذا السلام معي حتى الآن."

وعندها هتف محمود يلتمس منهما قائلاً: "آه يا أمي ويا
أميرة كم أود أن تعرفا هذا السلام أيضاً مثلما عرفته أنا.
فأنتما في عزلة تامة في هذا المنزل. ولكنني أتمنى أن
يكون لديكما الرغبة في معرفة مصيركما الأبدي الذي
يمكن أن يتحدد بقبولكما للمسيح."

وعندما توقف محمود عن الحديث لم يستطع أن يقرأ ما
كان يدور برأسيهما. وكانت تبدو على وجهيهما ذهول تام
لما سمعاه منه. وكانت أم علي تبتهج وهي تسمع إعلان
ابنها الأصغر عن إيمانه بالمسيح. أما أميرة وهي سعيدة
لسماعها هذه الأخبار فقد فقدت القدرة على التركيز بمجرد
سماعها اسم أمين. وفكرت مع نفسها "هل يمكن أن يكون
أمين هذا قد لمس حياتي وحياة محمود بهذا العمق؟!.. كيف
فعل الله مثل هذه المعجزة؟ هل يمكن لمحمود أن يخدعهما
بكلامه هذا عن أمين ويكون هذا شركاً لأميرة حتى ما
تسقط فيه معترفة عن علاقتها بأمين!!؟".." لذا لزمّت أميرة
الصمت التام.

أما أم علي فلم تتردد في الحديث مع محمود حيث أنها تعرف ابنها جيداً لذا لم تشك في كلامه. كما أنها تثق في قدرة الله على عمل أي معجزة يريد لها هو في عائلتها. لقد فعل شيئاً عظيماً في حياتها الخاصة، ولا يستحيل عليه تغيير ابنها. لذا قالت: "عزيزي محمود. أنت لا تعلم مدى فرح قلبي بهذه الأخبار."

أجاب محمود وهو ينظر إليها مندهشاً: "ماذا تقولين يا أمي؟!"

فاعترضته أمه بقولها: "أنا أقول يا ابني إنني أيضاً أتبع المسيح وكذلك أختك."

سأل محمود: "كيف يمكن أن يكون هذا يا أمي ومتى سمعتما عن المسيح؟!"

أجابت أمه: "على الرغم من أن والدك قد سبب لنا ضرراً كبيراً بتصرفاته إلا أن الله قصد لنا خيراً. فعند وجودي بالمستشفى سمعنا أنا وأميرة عن المسيح ووضعنا ثقتنا فيه."

هتف محمود: "هذا عجيب يا أمي.. ولكن كيف سمعتما عن المسيح؟!"

أجابت أم علي: "بنفس الطريقة التي سمعت أنت بها الرسالة يا ابني".. وهنا نظرت أميرة إلى أمها بنظرة حادة خوفاً من أن تستكمل أمها الحديث مع محمود ولكن أم علي تفهمت نظرات أميرة واستمرت قائلة: "يمكننا أن نتحدث أكثر عن هذا في وقت لاحق يا ابني حيث أننا الآن في

خطر من أن نُتهم بالحديث معاً لفترات طويلة. فهل يمكن أن نجد وقتاً مناسباً لهذا الحديث غداً؟!"

أجاب محمود: "سأحاول أن أعود مبكراً للمنزل يا أمي.. آه يا أمي ويا أميرة كم أنا سعيد جداً!! إن الله عظيم جداً!! تصبحون على خير."

أجابته أمه: "نعم إن الله صالح يا ابني.. أتمنى لك نوماً هادئاً."

ذهب محمود إلى غرفته بينما أنهت أميرة وأمها أعمال تنظيف الأطباق ثم ذهبتا إلى غرفتهما ليأويا إلى فراشهما.. لقد كانت مفاجأة مثيرة بالنسبة لهما. ولقد امتلأ كل منهما بعواطف جياشة مصحوبة بدهشة بالغة مما لم يمكنهما من مناقشة ما دار من حديث مع محمود فصلّت أم علي هذه الصلاة القصيرة "أبانا السماوي المحب والمنعم كم أن طرّك عجيبة فبينما نتلمس طريقنا في الظلام لنتحسس الطريقة التي نشارك بها فنجدك تضع الطريق أمام عيوننا. نشكر يا أبانا لأنك أحضرت محمود حبيبنا إلى ملكوتك وأنك سمحت أن نعرف هذا منه شخصياً وأنه هو أيضاً ابنك. امنحنا وقتاً أطول لنقضيه معه ولنشجع بعضنا البعض. احمه يا أبانا من إخوته ومن أبيه. احفظنا جميعاً في اسم المسيح. آمين."

ثم أضافت على التو: "يا أبانا أنت تعلم كم أن أميرة تأثرت لسماعها اسم آمين. فمن فضلك امنحها سلامك وارشدنا يا أبانا كيف نتصرف؟.. شكراً لك. آمين." عندها أطفأت الأنوار وخلدا إلى النوم.

الفصل التاسع والعشرون

بينما كان ثلاثة من أفراد هذه العائلة ينامون في سلام هذه الليلة فقد كان هناك فرد آخر من أفراد هذه العائلة يقضي ليلته في هياج واضطراب وقد تولدت عند "علي" كراهية شديدة تجاه والده.. فلم تكن هذه الكراهية وليدة اليوم لكنها تطورت على مدى سنين عديدة وربما كانت هذه الكراهية تنمو في اللاشعور بداخله, "فعلي" كالابن الأول كان يحمل العبء الأكبر في اتباع خطوات أبيه وكذلك مسؤوليته عن الحفاظ على شرف العائلة.

كان أبوه يعيش حياة متناقضة, فبينما كان أبو علي يعظ في الجامع عن مبادئ دينه ويطلب من عائلته الطاعة الكاملة لهذه المبادئ إلا أنه كان نادراً ما يطبق هذه المبادئ على نفسه داخل المنزل.

إن ما أزعج "علي" كثيراً هو نفاق ورياء والده في سلوكه، كان أبو علي يقوم بكل واجباته مثلما كان يفعل جميع الأئمة ولكن بدون اتجاه روحي مثل غالبية الأئمة. فلم يحاول ولو مرة واحدة أن يطلب من السلطات الحكومية السماح له بالذهاب لأداء فريضة الحج في البعثة الرسمية للدولة كما لم يكن لديه الاستعداد حتى لتوفير نفقات الحج من ماله الخاص. فقد كان يؤدي عمله كوظيفة وصاحب هذه الوظيفة يجب أن يكون مؤيداً للسلطة السياسية. لم يكن يتقاضى راتباً شهرياً مجزياً لذا كان دائم البحث عن مصدر نفوذ له بتقديم خدمات خاصة. وبينما كان "علي" يراقب

والده ويرى أنه يتغاضى مرة بعد الأخرى عن مبادئه لذا كان "علي" يفقد احترامه لوالده شيئاً فشيئاً. "و علي" كسائر أبناء جيله أراد حقاً أن يكون والده قائداً روحياً لحياته إلا أنه كان يتلقي الأوامر لينفذها دون أي تعاليم أخلاقية تساعد على تنفيذ هذه الأوامر. لذا استمر "علي" يلعب دور الابن المطيع ظاهرياً، بينما داخلياً تتولد لديه كراهية شديدة لوالده على وشك أن تنفجر. والزوجة الثانية أتاحت له هذه الفرصة للانفجار.

قضى "علي" الليل خارج المنزل هائماً في شوارع دمشق يسترجع جميع المواقف التي خذله فيها أبوه. ولذا صارت الكراهية عنده بلا ضوابط. فيجب عليه الآن أن ينتقم لنفسه أو يترك هذا المنزل. ولكن كيف!!! كيف يتمكن من استرداد حقوقه ويُحقر من أبيه دون أن يفعل فضيحة يعرف بها الجميع؟ كانت الأفكار تدور بسرعة في ذهنه بينما كان يسير في الشوارع بدون هدف محدد. وعند بزوغ الفجر وجد الحل الذي معه عاد بثقة إلى منزله.

بينما "علي" يصعد سلم البيت قابله أبوه ينزل السلم متوجهاً لأداء صلاة الفجر فقال له: "في أي مكان من هذه الدنيا كنت. وكيف تجرؤ على العودة متأخراً للمنزل في مثل هذه الساعة؟!"

قال علي: "سامحني يا أبي". وتوقف عن الكلام فاستطرد أبوه قائلاً: "ليس لدي وقت لسماع قصتك الآن ولكن تأكد أنني سأسمعها عند عودتي مساءً ومن الأفضل لك أن تكون على العشاء هذا اليوم."

أجاب علي: "نعم يا أبي" واستمر في صعود سلم المنزل متأكداً بأنه على حق في كراهيته لو والده وهو الآن مستعد للتقدم في مخططه. فدخل علي إلى منزله وتناول قطعة من الخبز ثم شرب ماء ودخل حجرته وأغلق الباب خلفه بإحكام. ولم يعلم أحد من أفراد أسرته بوجوده في المنزل.

في الساعة العاشرة صباحاً كان كل الأولاد خارج المنزل كعادتهم أما أميرة وأمها فكانتا في المطبخ لإعداد طعام الغداء. ذهب "علي" إلى الحمام ليأخذ حماماً دافئاً وخرج مرتدياً الروب متوجهاً إلى حجرته وأخذ يعطر جسده بالعطور. ثم خرج من حجرته وتلفت حوله وعندما تأكد أن أمه وأخته لا يرانه.. أسرع وتسلسل بهدوء إلى حجرة والده. عندما دخل الحجرة وجد فاطمة وهي مازالت ترتدي قميص النوم الشفاف. وبينما هو يقترب منها فزعت فاطمة وقالت له "علي.. ماذا تفعل هنا؟!"

نظر علي إليها وقال بصوت منخفض ليهدي من روعها "أنا أتيت لأخذك لنفسي..!!!"

قالت فاطمة وهي مندهشة "ماذا؟!!! فيما تفكر يا علي...؟! هل تعلم ماذا سيفعل بك أبوك؟! سيقهلك يا علي..!!!"

أجاب علي: "يجب أن تكوني لي. فقد أحببتك منذ أول لحظة التي فيها استقرت عيني عليك يا فاطمة. أنا لا يهمني ماذا سيفعل أبي معي. يجب أن نكون معاً. ألا ترين أن هذا هو الصواب؟!"

قالت فاطمة مندهشة: "لا يا علي.. لا نستطيع أن نفعل هذا فكل منا سيقتل إن فعلنا هذا!"!

أجاب علي: "لن نموت يا حبيبتي.. ولن يعرف أحد.. فسأخذك خارج هذا المنزل قبل أن يعرف أحد... أنا أعدك بهذا.. كوني واثقة فيّ."

وهنا ضمها "علي" بين ذراعيه بكل قوته وقبلها. وبدأت فاطمة تقاومه. لكن.. انتهى كل شيء بعد دقائق قليلة. ثم نهض "علي" وقبل فاطمة على جبهتها بلطف هامساً لها: "لا تقلقي يا حبيبتي سأخذك بعيداً من هنا سرّياً."

سألت فاطمة: "ماذا فعلت لي يا علي." قال علي: "أنا لم أفعل لك شيئاً بل أنت التي فعلت معي هذا يا عزيزتي."

وعندئذ تسلل خارج الحجرة وتملاه السعادة لنجاح خطته دون أن يلاحظه أحد، وارتدى "علي" ملابسه وخرج مسرعاً من المنزل وهو يشعر بنشوة المتعة الجنسية. وفي أثناء اليوم بدأ يفكر في المرأة التي غرر بها فكم كانت جميلة وصغيرة وكم كان يجب أن تكون له في المقام الأول بدلاً من أبيه.. وأما الآن فليس هذا بالأمر المهم لكن أهم شيء هو أنه تسبب في إيذاء لوالده.. ومن المحتمل أن يكرر هذا الأمر مع فاطمة مرة أخرى.. ولما لا؟! لم تكن فاطمة في نفس برود "علي" بعد أن اعتدى عليها فقامت على الفور لتستحم محاولة لفترة طويلة أن تمحو آثار العطر الذي كان يتعطر به "علي" من جسمها

لكن دون جدوي فقد ظلت آثار العطر. ثم ارتدت ملابسها وظلت تذرع حجرتها جيئة وذهاباً وهي تضرب بكفيها قلقة لما سينتظرها.. فكيف يمكنها أن تخفي هذا الأمر عن زوجها!! فهي تعلم تماماً أنها لا تستطيع أن توجه "علي" أي اتهام بالاعتداء عليها حيث أن المرأة دائماً غير مُصدقة. كما أنه بالطبع سيقف أبو علي إلى جانب ابنه. فيجب عليها أن تضبط نفسها ولا تتفوه بأية كلمة وإلا سيكون مصيرها الموت.

عند الظهر سمعت فاطمة طرقات خفيفة على باب حجرتها ففزعت واستدارت محاولة أن تتماسك وتبدو هادئة وقالت "من الطارق؟!"

أجابت أم علي: "أنا أم علي.. هل تسمح لي بالدخول؟"

قالت فاطمة وهي تتنفس الصعداء: "بالطبع نعم يا أختي."

ولما فتحت أم علي الباب قالت لفاطمة: "لم أشاهدك هذا الصباح يا أختي.. أتمني أن تكوني بخير."
أجابت فاطمة: "نعم.. نعم.. أنا بخير فقد كنت أقرأ ولم أدر بمرور الوقت."

فقالت أم علي: "ألا تأتي لتأكلي معنا شيئاً؟ قطعاً الغذاء جاهز ويبدو أن كل الرجال خارج المنزل اليوم."
أجابت فاطمة: "نعم.. سأحضر.. سألحق بك بعد دقيقة."

أغلقت أم علي الباب وسقطت فاطمة على السرير وقلبها ينبض نبضات سريعة. كيف يتسنى لها أن تخفي ما حدث معها عن أم عشيقها. فلو بدا عليها الاضطراب أمام أم علي فكم سيكون حالها أمام زوجها؟! لذا يجب عليها أن تبدو هادئة وإلا سيظهر عليها الاضطراب والتوتر.

على أي حال استطاعت فاطمة أن تضبط نفسها وواجهت أم علي وأميرة في هدوء. وبينما هم يتناولن الطعام كانت كل منهن شاردة في عالمها الخاص. وبينما تأهبت فاطمة للعودة إلى حجرتها قالت أم علي: "من فضلك يا أختي لا تقضي كل الوقت وأنت منفردة فأنت تعلمين أننا هنا لنقضي الوقت معك بكل سرور."

أجابت فاطمة: "أشكرك يا أختي.. كنت سأقضي فترة أطول معكما اليوم لكنني أشعر ببعض التعب لذا سأستريح قليلاً وسأجلس معكما في وقت آخر."

أجابت أم علي: "كما تودين."
بمجرد أن ذهبت فاطمة إلى حجرتها التفتت أميرة إلى أمها وهي تسأل: "هل تعتقدين يا أمي أن فاطمة على ما يرام؟!"

أجابت أم علي: "لا بد وأن هذه الفتاة لديها مصاعب كثيرة. لذا يجب علينا أن نصلي لأجلها كل يوم."
أجابت أميرة: "نعم يا أمي."

الفصل الثلاثون

توجه محمود إلى منزل إبراهيم أثناء فترة الراحة بين المحاضرات وعندما فتح إبراهيم الباب قَبِلَ محمود وألقى عليه التحية قائلاً: "السلام لك" وبادله محمود بالقول: "ولك السلام أيضاً.. إن لدي أخباراً رائعة أريد أن أشاركك بها حيث أنه من الصعب عليّ أن أنتظر دون أن أشاركك." عندها قال إبراهيم: "تفضل يا محمود مرحباً" وبينما جلس محمود مع إبراهيم في المطبخ على المائدة لتناول الغذاء بدأ يشارك قصته قائلاً: "إنك سوف لا تصدق ما فعله الله يا أخي! فلقد حدثت أشياء كثيرة ولا أعرف من أين أبدأ. حسناً.. فسأبدأ من النهاية. إن أمي وأختي مؤمنتان فعلاً بالمسيح."

صاح إبراهيم: "ماذا..؟ فعلاً مؤمنتان بالمسيح؟! كيف..؟ أين..؟ يجب أن تحكي لي القصة كاملة." استرسل محمود في مشاركة صديقه عن لقائه مع "علي" وهو في طريقه للمنزل وكيف شعر بالإحباط وأنه غير مهياً لمشاركة أمه وأخته. وكيف أن الله استخدمه حتى في حالة ضعفه هذه لفتح المجال للمشاركة بشهادته مع أقرب الناس إليه. وكم كانت فرحتي عندما وجدتهما قد عرفا الرب فعلاً. وعندما سأله إبراهيم عن كيفية معرفتهما بالمسيح قال محمود: "هذا لم أعرفه بعد.. حيث لم نشعر بالحرية في الحديث لمدة طويلة.. ومن المفترض أنهما سيخبرانني اليوم كما أعتقد أن هذا حدث عندما كانت أمي

في المستشفى لكن لا أعلم من هو الذي شارك الإنجيل معهم."

قال إبراهيم: "دعنا نأخذ لحظة الآن فيها نشكر الرب على استجابته للصلاة."

أجاب محمود: "نعم.. وصلّ لأجلي لكي ما يعطيني الرب الحكمة بينما أتحدث معهما أكثر. فأنا أعلم أنه يستحيل عليهما أن يأتيا إلى اجتماعنا ولكن صلّ لأجلي لكي ما أعرف الطريقة التي بها أشجعهما في الإيمان." عندئذ صلي إبراهيم هذه الصلاة "أبانا السماوي كم أن طرقتك عظيمة! نحن نأتي أمامك في هذا اليوم بقلوب مملوءة بالشكر على الطريقة التي استجبت بها صلاة محمود من جهة أمه وأخته. إنك إله مهوب! يارب على الرغم من أننا لا نعرف تفاصيل قبولهما للمسيح إلا أننا نثق أنهما مخلصتان في هذا ونحن نريد أن نشجعهما في إيمانهما الجديد. يارب من فضلك أعط "محمود" الحكمة التي يحتاجها لكي ما يستمر في مشاركتهم ومساعدتهم على النمو كمؤمنين. احفظ أم وأخت محمود وهما يعيشان في ظروف صعبة لا يُسمح لهما فيها بمقابلة أي مؤمنين آخرين. امنحهما الفرصة لقراءة كلمتك والصلاة معاً ومع محمود إذا أمكن. ابن كنيسة في بيتهم. نحن نحبك ونشكرك لرعايتك واهتمامك بأسرنا. في اسم المسيح نصلي. آمين."

عندما أنهى إبراهيم الصلاة وجد محمود يذرف الدموع وهو يتسائل قائلاً: "هل يُعقل أن دخول أمي المستشفى كان

سبباً في معرفتنا نحن الثلاثة بالمسيح؟!.. وهل تعتقد أن تصرف أبي هذا كان بحسب إرادة الله؟!"!

أجاب إبراهيم: "أنا لا أؤمن أن إرادة الله لأي شخص هي أن يؤدي شخصاً آخر يا محمود. وأنت تعلم كم كان زواج أبيك من امرأة أخرى لهو مؤلم جداً لأمك. فبالطبع لم تكن هذه إرادة الله. لكن ربما استخدم الله هذه الظروف ليفتح الباب أمامكم لوصول الإنجيل إليكم. وهو ما نسماه تحويل الشر إلى الخير. وهذا لا يعني أن تصرف والدك مقبول".

أضاف محمود قائلاً: "نعم إنه من الصعب أن نلتمس لوالدي العذر لما قد فعله مع أمي." قال إبراهيم: "إنه بحاجة إلى صلواتك أكثر من أي شخص آخر."

أجاب محمود: "أنا أعلم هذا.. لكنه كم هو صعب علّ أن أصلي لشخص تسبب في أذيتي بهذا المقدار." قال إبراهيم: "الله سيرشدك كيف تصلي من أجله." قال محمود بينما كان يستعد للخروج من المنزل: "أشكرك يا أخي من أجل هذا الوقت وينبغي أن أعود إلى منزلي الآن. وكم أتمنى أن أقضي بعض الوقت معهم قبل عودة أبي مساءً للمنزل. صلي لهذا الأمر." قال إبراهيم مؤكداً "نعم سأصلي."

الفصل الواحد والثلاثون

عودة مرة أخرى لمنزل أميرة، حيث كانت أميرة وأمها تأخذان قسطاً من الراحة في حجرتهما بعد الغذاء وقيل البدء في تنظيف الأواني والتجهيز لطعام العشاء. وحيث لم يكن لديهما وقت لمناقشة ما حدث بالأمس لذا انتهزتا هذه الفرصة للحديث. وبينما أم علي تسترخي على السرير كانت أميرة تدرع الغرفة جيئة وذهاباً وقالت لأمها: "يا ماما لم تقولي لي شيئاً عما شاركنا به محمود بالأمس!! كما لم أعرف ما يدور في ذهنك."

قالت أمها: "اهدئي يا أميرة... فأنا لم أقل أى شيء بالأمس لسببين أولاً: أننا كنا مشغولتين جداً في التنظيف وإعداد الطعام بدرجة لم نتمكن معها الحديث ولربما يسمعننا أحد في المنزل. وثانياً: لقد كنت أحاول أن أسترجع كلمات محمود وهل بها ما يدل على أى شك في كلامه أم لا."

تشجعت أميرة وسألت أمها: "هل تشكين في كلامه؟" أجابت أمها: "لا.. يا بنتي. أنا أؤمن أن هذا الأمر من الله وهو أن يجعل ابني يعرفه. وأن هذه إشارة من الله أن هناك رجاء لعائلتنا وأملاً لنا لنكون قادرين أن نحيا كمؤمنين بالمسيح دون خوف." صاحت أميرة قائلة: "ماذا تقولين يا أمي؟! أنت تعرفين أن أبي حالاً يقتلنا ولن يسمح لنا أن نكون مسيحيين."

قالت أم علي وهي تحاول أن تهدئ من روع أميرة:
"أنت مندفعة يا أميرة. فأنا أوّمن أن الرب سيفتح لنا طريقاً
لطاعة تعاليمه في سلام. وربما تعتقدان أن تحول محمود
غير مهم. لكنني أوّمن أن هذه فقط بداية لتغيير كبير في
عائلتنا. فبالنسبة لله لا يوجد شيء مستحيل. ويجب أن أوّمن
بهذا وأصلي لأجله كل يوم."
أجابت أميرة: "أعشم هذا يا أمي وأتمني أن يكون لديّ
إيمان قوي مثلك."

أضافت أمها: "يجب علينا أن نناقش موضوعاً آخر
بخصوص محمود."

أجابت أميرة: "نعم يا أمي. فأنا أعلم."
وعلى الرغم من أن أميرة كانت تخشى الحديث عن
هذا الأمر إلا أنها لم تستطع أن تتوقف عن التفكير في أمين
طوال هذا الصباح. فكانت كلمات محمود تدور بذهنها مرة
ومرات طوال هذا الصباح محاولة أن تكتشف هل كلام
محمود حقيقة أم نوعاً من الشراك لها؟ عندها استمرت في
الكلام: "يا أمي إذا كنت تصدقين أن محمود مؤمن حقاً
بالمسيح كما نحن أيضاً.. فهل تصدقين ما قاله عن أمين؟"
أجابت أم علي: "نعم يا أميرة أصدقه.. وأنا أعتقد أن
فرص اكتشاف محمود لما حدث بينك وبين أمين ضعيفة
جداً وإلا لكانت ظهرت بطريقة أو بأخرى في طريقة
كلامه. وأنا لا أعتقد أنه يعرف كيف أن أمين كان له تأثير
على حياتنا وربما أمين نفسه لا يعرف أنه قاد أخاً وأخته
لمعرفة المسيح."

تعجبت أميرة قائلة: "حقاً يا أمي!! هل تعتقدين أن أمين لا يعرف أن محمود أخي؟".

أجابت أمها: "هذا ما حدث بالفعل وإلا لكان أمين أخبرك بنفسه منذ فترة طويلة أن أخاك قبل المسيح أيضاً." أجابت أميرة بعد التفكير في كلام أمها: "لم أفكر في هذا من قبل. والآن ماذا ينبغي علينا أن نفعله يا أمي؟ هل نتكلم مع محمود بصراحة عن أمين؟! هل تعتقدين أن محمود رأى أمين بعد ما قبل المسيح وهل مازال يراه حتى الآن؟! ياه يا أمي ماذا لو أن محمود وأمين مازالا أصدقاء وبذلك يستطيع محمود أن يتحدث مع أمين نيابة عني."!! بادرتها أمها قائلة: "يا أميرة لا تستطيعين أن تأخذي خطوات سريعة في هذا الأمر كما لا يجب أن تعلقي آمالاً كبيرة دون داع فلدينا جسور كثيرة يجب علينا أن نعبرها قبل أن نبدأ في التفكير في هذا الأمر. وليس لدينا أي حرية الآن. فدعيني أتحدث أنا مع محمود اليوم إذا سمح الله لنا بوقت نقضيه معاً. وسأستطيع أن أتحدث معه بحرص شديد أكثر منك وبعيداً عن المشاعر التي تستحوذ عليك كفتاة." أجابت أميرة على الفور: "نعم يا أمي أنا سعيدة لأنك أنت التي ستتكلمين معه نيابة عني فأنا أعرف نفسي جيداً حيث سأصرح بكل ما في داخلي مسببة لنفسني المتاعب."

الفصل الثاني والثلاثون

بينما كانت أميرة وأمها تقومان بأعمال المطبخ سمعا صوت المفتاح في باب المنزل وإذا بمحمود يدخل المنزل وبدأت أم علي تنتظر من الذي دخل إلى صالة المنزل فوجدته ابنها الأصغر فبادرته بالتحية: "أهلاً وسهلاً بك في المنزل يا ابني.. أتمنى أن تكون بخير. هل تناولت طعام الغداء؟".

أجابها محمود: "أهلاً يا أمي.. نعم تناولت طعامي ولكن لا مانع من شرب فنجان شاي".
قالت أمه: "حالا.. سأحضر لك الشاي". وبينما أم علي كانت تحضر الشاي انتهز محمود الفرصة ونظر من حوله في المنزل وتأكد له أنه لا يوجد بالمنزل أي رجل سواه فتنهّد الصعداء ودخل إلى المطبخ وهو يقول: "يبدو أن لدينا حرية لنتحدث مع بعض مرة ثانية اليوم. أهلاً يا أختي.. كيف حالك اليوم؟" وأسرع بتقبيلها على وجنتيها. أجابت أميرة وهي في شدة الخجل: "أهلاً يا أخي أنا بخير."

سألت أم علي ابنها: "هل رأيت أخاك" علي "اليوم يا محمود؟".

أجاب محمود: "لا في الحقيقة لم أره قط هذا اليوم. هل تتوقعين أنه بخير؟"

أجابت أمه: "أنا أصلي أن يكون بخير."

قال محمود: "لا تقلقي يا أمي. فإذا حدث له أى شيء سأخبرك على الفور."

أجابت أمه: "أشكرك يا عزيزي."

عندئذ بادر محمود قائلاً: "لا أعلم كم لدينا من الوقت لنحدث معاً لذا هل يمكنني أن أسأل مباشرة كيف عرفتما المسيح يا أمي؟"

بدأت أمه تتكلم قائلة: "بالطبع يا ابني من حقك أن تعرف وأنا سوف أشاركك بكل شيء. والآن اشرب الشاي قبل أن يبرد." وعندئذ بدأت تحكى له قصتها "إنه من الصعب علينا أن نعرف طرق الله ونفهم لماذا يسمح بحدوث ظروف صعبة في حياتنا. ولكنني رأيت أنه يحول أصعب الظروف لخيرنا. وهذا ما حدث بالفعل في عائلتنا. فعندما أخذوني من هذا المنزل إلى المستشفى فقدت أي معنى للحياة. ولم يكن في داخلي أي رغبة للعودة مرة أخرى للمنزل. وكنت أعلم أن الله هو الذي سيهتم بكم من بعدي. فأنتم الآن أصبحتم في سن يمكنكم الاعتماد على أنفسكم ولستم بحاجة لي مثلما كنتم أطفالاً لكنني كنت متألماً كثيراً على أميرة حيث ليس لديها شقيقات ولم يكن هذا أيضاً بالسبب الكافي حتى يمنع صحتي من أن تتدهور. لكن بينما كنت أرقد بالمستشفى في انتظار الموت لم أعلم أن الله وضع شخصاً في طريق أميرة ليقودنا إليه.

وكما حدث بينك وبين سائق التاكسي حدث شيء مشابه مع أختك. ويبدو أن أتباع المسيح لهم موهبة روحية بها يمكنهم أن يروا أعماق النفوس المجروحة. فبينما كانت أميرة تأتي

لزيارتي بالمستشفى رآها شخص من أتباع المسيح وعلم
باحتياجها لسماع كلمة رجاء، ولم يتردد في أن يشارك
معه. وبدأت أميرة تشاركني بما كانت تسمعه وأنا على
فراش المرض حتى قبل أن تؤمن هي نفسها بالمسيح. وقد
كان هذا الكلام من الكتاب المقدس وقد لمس نفسي بطريقة
لا أستطيع أن أصفها. لقد كنا في حالة يأس شديد. كانت
أميرة تريد أن ترى صحتي في تحسن كما كنت أتوق لأن
أرى شيئاً ما يستحق أن أعيش لأجله. وكلمات هذا الكتاب
زودتنا بما كنا نحتاج إليه ولم يمض وقت طويل حتى
أدركنا أن هذا الكلام حقيقة وقبلناه.

وربما كان بمقدورك أن تشكر الرجل الذي تكلم معك
بكلام الحق أما نحن فلم تكن لدينا الفرصة لنشكره. ونحن
نصلي أن يسمح لنا الرب يوم ما أن نُظهر تقديرنا وعرفاننا
بالجميل لهذا الشخص الشجاع الذي شاركنا بالمسيح."
قال محمود متعجباً: "ياه.. يا أمي أليس إلها عجبياً!!
كم هي بركة لي أن أسمع شهادتك وأعرف أن الله منحكما
السلام في المسيح مثلي. أنا سعيد جداً بأن أعرف أن لديكما
ضمان الحياة الأبدية."

أجابت أم علي: "فعلاً يا ولدي إن الله كان صالحاً معنا
جداً في هذا الأمر ولذا نحن مدينون له بالشكر للأبد."
استطرد محمود قائلاً: "يا أميرة لم أسمع منك ولا كلمة
هل يوجد أى شيء تريدين أن تضيفيه لشهادة أمك؟".
أجابت أميرة وهي مترددة: "لا يا أخي لكنني سعيدة
جداً أن أعرف أنك تتبع المسيح. هل لديك كتاب مقدس؟".

أجاب محمود: "نعم لدي!!.. وهل لديك؟".
أجابته وقد انتابها الخوف فجأة: "نعم.. أنا لدي".
لكن محمود هدا روع أميرة بسرعة بتعليقه قائلاً: "هذا
عظيم. وربما يمكننا أن ندرس الكتاب المقدس معاً نحن
الثلاثة. وهل لديك كتاب مقدس يا أمي؟".
أجابت أم علي: "لا يا ابني فأنا أشارك أميرة في
كتابها".

رد محمود بلهفة: "سوف أحضر لك نسخة من الكتاب
المقدس، حيث أنه من السهل جداً شراؤه من المكتبة. وأدار
وجهه ثانية ليسأل أميرة: "ما رأيك في أن ندرس الكتاب
المقدس سوياً!" ردت أميرة: "أنا أعتقد أنه من الممكن.. ما
رأيك يا أمي؟".

قالت أمها: "أنا أعتقد أنه يجب أن نكون حريصين وفي
ذات الوقت ننتهز كل فرصة تتاح أمامنا".

أضاف محمود قائلاً: "أنا أعلم أنه من المستحيل أن
تخرجنا خارج المنزل لكنني سأكون مسروراً أن أشارك
معكما كل ما نناقشه أسبوعياً". قالت أميرة "مع من...؟!".
قال محمود: "آه لقد نسيت أن أخبركما عن هذا، فلسنا
نحن المؤمنين الوحيديين في هذه المدينة بل هناك الكثير من
المؤمنين وأنا أجتمع مع بعض منهم كل أسبوع للصلاة
ودرس الكتاب المقدس والعبادة معاً. وفي الحقيقة لم أذهب
سوى مرتين فقط ولكنه اجتماع رائع فأنا أشعر بأنني
أعرفهم منذ زمن طويل. وأنا أتعلم منهم الكثير". قالت أم
علي "كن حريصاً يا ولدي".

طمأنها محمود قائلاً: "أنا حريص يا أمي". وقفز الجميع فجأة عند سماعهم لصوت أحد أبواب الحجرات يُفتح وأسرعت أم علي لتعرف مصدر الصوت فرأت فاطمة تخرج من حجرتها إلى الصالة وقد كان الوقت مناسباً لافتراقهم فأسرع محمود وقبّل أمه وأخته قائلاً لهما إنه سيأخذ قسطاً من الراحة إلى أن يحين موعد تناول العشاء. وفور مغادرة محمود المطبخ أخذت أميرة تعانق أمها بشدة وتشكرها على عدم ذكرها اسم "أمين". وذهبت أميرة لترتيب الصالون، وتجهيز غرفة الطعام قبل عودة باقي أفراد العائلة.

وإذ كانت أم علي بمفردها في المطبخ أحنت رأسها بالقرب من الإناء الذي يحتوي على الكوسة المحشوة وأخذت تصلي قائلة: "أبي السماوي. إنك فعلاً أب محب وعجيب. لا أعرف كيف أشكرك على ما فعلته في حياتي وفي حياة أميرة ومحمود وكم أنا سعيدة وأنا أرى محمود سعيداً وفرحاً وروحك يملأه. وأشكرك لأجل الفرصة المفرحة التي فيها استطعت أن أجلس معهم وأشارك بهذه الأفكار الجميلة. من فضلك يارب احفظ محمود فأنت تعلم مدى المخاطر التي يمكن أن تواجهه عند مقابلته للمجموعة، واجعل أميرة تتكل عليك لتستريح. فأنا أعلم أنك سوف تسدّد احتياجاتها في الوقت المناسب. أحمّدك يا أبي. في اسم المسيح. أمين."

الفصل الثالث والثلاثون

رتب "علي" كل ظروفه بحيث يتواجد في المنزل على العشاء هذا المساء. فلم يرد أن تفوته الفرصة لمشاهدة فاطمة وهي تجلس في خجل وارتباك بجوار والده على مائدة الطعام.. فقد كان يأسف لها فلم تكن تستحق استغلاله لها ولكنه كان يطرد هذه الأفكار خلف ظهره ويريد أن يركز اهتمامه في أن يضبط نفسه أثناء جلوسه على مائدة الطعام. لذا قام وأخذ حماماً دافئاً وارتدى ملابسه وتعطر بنفس العطر الذي تعطر به أثناء جماعه مع فاطمة. ثم ذهب إلى الصالون وجلس يشاهد التلفزيون منتظراً عودة أبيه إلى المنزل لتناول العشاء معاً.

وصل أبو علي المنزل قبل العشاء مباشرة وقفز "علي" عند دخول أبيه وحياه قائلاً: "مرحباً بك في المنزل يا أبي. إن شاء الله قضيت يوماً جميلاً وبصحبة جيدة." رد أبو علي وهو يحترس من تحية ابنه الدافئة هذه وقال: "أهلاً يا بني.. الحمد لله وأنا بخير."

هذا كل ما قاله أبو علي لابنه وتوجه إلى حجرته وعندها توقف وقال لعلي: "آه.. نعم.. أنا أعتقد أن لديك شيئاً يجب أن تخبرني به يا علي عند عودتي فأنا أريد أن أعرف سبب بقاءك خارج المنزل طوال ليلة أمس ولا تعتقد أنك سوف تنسيني هذا الأمر بهذه المقابلة اللطيفة فمن الأفضل أن تجهز نفسك لتخبرني عندما أخرج إليك مرة أخرى من الحجرة."

قفزت فاطمة من الكرسي فور سماع صوت زوجها خارج باب الغرفة لتقف وهي تحاول أن لا ترتجف أمامه حتى أنهى وابل السباب الذي كان يتحدث به مع علي وهنا دخل أبو علي غرفته وأغلق الباب خلفه بشدة فقالت له وهي مرتعبة: "مرحباً بك في المنزل يا زوجي."
قال أبو علي وهو يتهم كل أفراد أسرته: "ماذا يحدث في منزلي هذا اليوم؟! فجأة.. الكل يرحب بي بكل هذا الترحيب."

أجابت فاطمة وهي تحاول أن تغير مزاجه: "تأكد أنك سوف تجدني دائماً أرحب بك يا أبو علي."
أجابها قائلاً: "يا امرأة أنا لا أرحب فيك هذا المساء.. فقط عليك أن تجهزي لي ملابس لأرتديها بعد استحمامي."
وعند خروجه من الحجرة جلست فاطمة على الكرسي ثانية وكل ما استطاعت أن تقوله لنفسها: "اهدئي.. اهدئي.. اهدئي."

كان "علي" مستعداً ليقص قصته على أبيه عند عودته للصالون بعد ارتداء ملابسه. وقبل أن يبدأ أبو علي بالسؤال بادر "علي" بصوت منخفض: "أبي العزيز لا بد وأن تسامحني على قضائي ليلة أمس خارج المنزل فلم أكن أنوى أن لا أتناول طعام العشاء معكم أو أتأخر في العودة إلى المنزل لكنه كان أمراً خارجاً عن إرادتي ولم يكن في إمكاني تفاديه. هل تعرف صديقي محمد ابن الإمام الذي في حمص؟ لقد درسنا سوياً في الجامعة وهو يطبق الفرائض والشرائع بحذافيرها وأغلب الظن أنه سيكون الإمام خلفاً

لوالده. وأخبر أبو محمد ابنه أنه سيحضر لزيارته في دمشق وعليه أن يكون في انتظاره على محطة الاتوبيس ظهراً. وقد طلب منى محمد أن أكون معه بينما ينتظر أباه على المحطة. وبالطبع لم أستطع أن أرفض طلباً مثل هذا لمحمد حيث أنني أتوق لرؤية والده الذي سمعت عنه الكثير.

ذهبنا معاً إلى المحطة ولكن لم يكن أبوه في الأتوبيس. ولم يعرف محمد كيف يتصرف وانتابته حالة من الاضطراب والذهول. فاقترحت عليه أن يتصل بمنزله ليطمئن على والده. وعندما اتصلنا اكتشفنا أن والده أصابه مرض فجائي وتوسلت أم محمد إليه أن يحضر فوراً للمنزل. وكما قلت لك أن محمداً كان مضطرباً وقد زاد قلقه وانزعاجه عندما علم بمرض والده المفاجئ. وبالفعل فقد جذبني محمد بيده نحو شباك التذاكر وحجز تذكرتين لي وله للذهاب فوراً إلى حمص للاطمئنان على والده ولم أستطع أن أعارضة ولم يكن لدي متسع من الوقت لأخبرك حيث أن الأتوبيس كان سيتحرك فوراً. وبالفعل سافرت معه والحمد لله فقد وجدنا عند وصولنا أن والده بدأ يتحسن. بعدئذ ركبنا الأتوبيس للعودة في منتصف الليل. ولهذا السبب فإنك قابلتني عندما كنت في طريقك لأداء صلاة الفجر. فمن فضلك سامحني يا أبي."

صدق أبو علي القصة كاملة فقد كانت القصة مقنعة للغاية حيث كان علي يقصها بصوت يحتوى على نبرة من الصدق والأمانة. قال أبو علي: "سامحتك يا ابني. وأنا فقط

سعيد لأنكم وجدتم الرجل بصحة جيدة. ويجب على أن
أطمئن على صحته تليفونياً غداً."

وإذ علم "علي" أن أمره سيفتضح لذا قال لوالده
مترجياً إياه: "آه.. لا يا أبي من فضلك لا تتصل به حيث أن
مرضه يخجل منه أي رجل وأنا أخبرتك فقط لكي تعرف
السبب الذي من أجله تأخرت خارج المنزل طوال ليلة
أمس. فلو اتصلت بالإمام سوف تسبب له الحرج. فمن
فضلك تفهم موقعي."

أجاب أبو علي: "حسناً وأتمنى أن يكون قادراً على
المجيء إلى العاصمة مرة أخرى لأطمئن على صحته
بنفسي."

قال علي بعد أن تنفس الصعداء: "نعم.. نتمنى أن يأتي
قريباً."

على عكس ما توقع علي قال له أبوه: "إنك ابن صالح.
وأنا أعلم أنك قريباً سوف تتمكن من اتباع خطواتي في
الإيمان."

أجاب علي بدهاء شديد: "لا أحد يستطيع أن يتبعك
ويصير مثلك يا أبي."

وبنهاية هذا الحديث بدأت أم علي وأميرة في وضع
أطباق الطعام على المائدة للعشاء. وبدأ الأولاد يحضرون
إلى غرفة الطعام عندما اشتموا رائحة الطعام التي إنتشرت
في المنزل. وطلب ابو علي من أميرة أن تنادي زوجته.
وبمجرد أن خرجت فاطمة من الحجرة مرتدية الحجاب
كعادتها وقعت عيون "علي" على عينيها ففي الحال تعثرت

قدمها واصطدمت بالكرسى وكادت تسقط على الارض.
وأسرع ابو على بتوبيخها قائلاً: "يا امرأة الا تعرفي ان
تدخلى إلى الحجرة دون أن تسقطى على الأرض؟! تعلمي
ان تدخلى الحجرة دون عمل أى مسرحية والا فلن تدخلى
هذه الحجرة مرة أخرى، هل تسمعين؟" أجابت بسداجة
"نعم. يا زوجى.. سامحنى." أوماً "على" بعينيه إلى أسفل
وبدا يشعر بالغضب من أبيه مرة أخرى وكل ما أمكن أن
يفعله هو أن يضبط نفسه حتى لا يتهور ويضرب أبيه.
ساد الصمت أثناء تناول طعام العشاء. والشيء الوحيد
المضئ كان وجه محمود الذي يملأه السلام. لم يستطع أن
يكتم الفرح داخل قلبه الذى ملأ كل كيانه. ولاحظ أبوه
أخيراً وعلق قائلاً: "يا محمود ماذا بك اليوم؟ مالك تبدو
غير طبيعي. هل يمكن أن تسمح ابتسامتك هذه العريضة
البلهاء من على وجهك؟"
أجاب محمود: "أنا متأسف يا أبى.. لم أشعر بأنني
أضايقك بابتسامتي هذه."
قال أبوه موضحاً: "إن ابتسامتك لا تضايقتني يا ولد بل
أنا لا أرى سبباً واضحاً لابتسامتك.. هل ترى شخصاً آخر
على هذه المائدة يبتسم؟.. هل يوجد أى شيء لديك يسعدك
تريد أن تشاركنا به؟"
قال محمود: "حيث أنك سألتني .. نعم.. فأنا سعيد جداً
بهذه الوجبة الشهية يا أبى.. أليست هي لذيدة؟"

أجاب أبو علي موبخاً محمود: "إنه من المفترض أن يكون الطعام جيداً فلا داعي إذاً لأن تفقد السيطرة على نفسك بهذه الطريقة."

أجاب محمود وهو يحاول: "آسف يا أبي." وأثناء هذا الحديث انتهز علي الفرصة لجذب عيون فاطمة نحوه. وكانت تحاول أن لا تنظر إليه ولكن عندما نظرت إليه توصلت بعينيها أن يتوقف عن النظر إليها. إلا أن "علي" تمادى في النظر إليها بل ابتسم لها ابتسامة خفيفة. وهنا لاحظ أبوه هذه الابتسامة وقال "علي": "وماذا بك أنت يا "علي" هل يوجد شيء يجعلك سعيداً أيضاً؟ ماذا حدث لهذه العائلة اليوم؟!"

أجاب علي: "أنا متأسف يا أبي. فقد كنت أفكر في شخص عزيز عليّ ولم أكن أقصد أن أظهر الابتسامة على وجهي."

انتهره أبوه قائلاً: "يجب عليك أن تتعلم منذ الآن فصاعداً كيف تتحكم في تعبيرات وجهك يا ولد. وأما عن هذا الشخص العزيز فهل سوف تخبرني عنه؟" قال علي: "ربما ليس هذا هو الوقت المناسب يا أبي." قال أبوه: "ولما لا؟ فربما يكون هناك شيء مثير للاهتمام نسمعه في هذا المنزل هذا المساء.. تكلم يا ولدي.. أخبرنا عنه.."

وهنا بدأ علي يقول: "كيف أصف هذه الفتاة؟ في البداية أريد أن أخبرك أنها لا تعرف عني شيئاً. فقط رأيته من بعيد وحلمت بها. فأنا لا أعلم أي شيء عن عائلتها وربما

سأعرف يوماً ما وعندها ستذهب أنت لتسأل عن هذه العائلة من أجلي. وعلى أى حال فهي جميلة مثل الصبح وشعرها أسود كالأبنوس وعيناها عسلية اللون. رشيقة ولطيفة كالحمامة وروحها هادئة فأنا أشعر بكل ما فيها من صفات حتى من على بعد. وهذا كل ما أعرفه يا أبى إلا أن رغبتى لها تزداد أكثر مع كل صباح جديد. فهل تسامحني على ذلك؟"

أجاب أبو علي قائلاً: "آه.. إن هذه رغبة طبيعية يا ابني.. فعلى الأقل أنت تبتسم لسبب ما أهم بكثير من الطعام."

وبوصف "علي" هذا صار العرق يتصبب من فاطمة بغزارة. وارتعشت يداها بشدة بينما تحاول تناول الطعام. والوحيدة التى لاحظت حالة فاطمة هي أم علي. ورفعت فاطمة عينيها فوجدت أم علي تنظر إليها نظرات ثاقبة، مما زاد عليها كربها وضيقها الذي معه فقدت سيطرتها على نفسها فسقطت الشوكة من يدها. وعندها انتهرها أبو علي مرة ثانية قائلاً: "يا امرأة إن هذا كثير مرة تسقطين وهذه المرة تصنعين إزعاجاً على مائدة الطعام. اذهبي عن وجهي!! آه ماذا لو كنتى أنتِ هذه المرأة التي وصفها علي.. اذهبي الآن!!"

أسرعت فاطمة وخرجت من غرفة الطعام ودخلت غرفتها وارتمت على سريرها غارقة في بحر من الدموع والتأوهات. وإذ كانت أم علي لا تزال جالسة على المائدة قالت لأبو علي بصوت هادئ على قدر المستطاع "يا

زوجي.. إنها مازالت طفلة لماذا لا تسمح أن أذهب لأرى ما بها؟ فبكل تأكيد أنك لا تريد أن تراها مضطربة حتى تدخل لنتام معها في الفراش ليلاً. أليس كذلك؟ فمن فضلك اسمح لي أن أرى ما بها."

قال أبو علي: "حسناً يا امرأة إذا كان ولا بد فاذهبي ولكن احذري من أن تلقينها أفكارك."

أجابت أم علي: "لا.. بالطبع لا.. يا زوجي. فقط سوف أحاول تهدئة أعصابها."

قامت أميرة بعد العشاء لتنظيف المائدة والأطباق ولتقدم الشاي لوالدها وإخوتها وهي تسترجع أحداث هذا المساء وكانت تتساءل مع نفسها في تعجب "هل يمكن أن يستمر الحال كما هو عليه مع وجود سلام في هذا المنزل؟!"

لقد أدركت أنه يجب على محمود أن يكون أكثر حرصاً خاصة في وجوده بالقرب من أبيه وإلا سيكتشف التغيير الجديد الذي حدث في حياته، وأنه يجب عليها أن تلفت انتباهه لهذه المعلومة المهمة وذلك في أول فرصة يكون فيها محمود معها على انفراد. وهل قصة "علي" هذه حقيقية؟! إنه فعلاً كذاب ماهر!! فإذا كان فعلاً كذاباً كما تتوقع أميرة فأين كان يقضي "علي" ليلته أمس؟! وماذا لو اكتشف والدها حقيقة كذب "علي"؟! وماذا عن فاطمة المسكينة؟!.. ماذا بها هذا اليوم؟!... وهناك الكثير من الأسئلة التي تدور في رأس أميرة ولا تجد لها إجابات.

الفصل الرابع والثلاثون

مرت الأسابيع ولم يحدث تغيير يُذكر في بيت أبو علي.
كان محمود ينتهز أي فرصة ليقضيها مع أميرة وأمه.
واشترى محمود كتاباً مقدساً مغلفاً بغلاف من الجلد لأمه.
وأصبح هذا الكتاب الكنز العظيم بالنسبة لها حيث أنها تقرأه
يوماً. وبدأ محمود يشارك مع أمه وأخته آيات الكتاب
المقدس التي كانوا يدرسونها في مجموعته وكذلك علمهم
بعض الترانيم التي كان يتعلمها من مجموعته وبالطبع لم
يتمكنوا من رفع أصواتهم أثناء الترانيم خوفاً من أن
يسمعه أحد إخوتهم أو فاطمة ولكن أميرة وأم علي تعلمتا
الترانيم وبدأتا ترديدان النغمات أثناء أعمال النظافة اليومية.
كانوا يستمتعون بهذه الفرص معاً كما كانت تنمو علاقتهم
مع بعضهم البعض كلما كانوا يشاركون معاً كلمة الله.
وبالنسبة لأميرة وأمها فقد كانت الأوقات التي يقضونها مع
محمود جعلتهم يعيشون فوق مستوى الأحداث على الرغم
من استمرار وجودهم في نفس المنزل ونفس الأحداث.
تأثرت أم علي أثناء مشاركتهم وخاصة بما جاء في
كورنثوس الأولى الأصحاح السابع حيث قال الرسول
بولس: "الدعوة التي دُعي فيها كل واحد فليلبث فيها. دعيت
وأنت عبد فلا يهملك. بل وإن استطعت أن تصير حراً
فاستعملها بالحرى. لأن من دُعي في الرب وهو عبد فهو
عتيق الرب. كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح. قد

أشترىتم بثمان فلا تصيروا عبيداً للناس. ما دُعي كل واحد فيه أيها الإخوة فليلبث في ذلك مع الله."

ألم تكن أم علي تشعر بأنها عبدة في بيتها؟! لكن علي الرغم من ذلك فهي منذ أن عرفت المسيح أدركت أن مشيئة الرب لها هي أن تستمر مع زوجها. وكم كانت تعيش في ظروف عصيبة لكنها وثقت من كل قلبها في أن الله سوف يمنحها نعمة خاصة بها يمكنها الاستمرار في هذه الظروف إلى أن يسمح الله لها بشيء خلاف ذلك. وشاركت أم علي محمود وأميرة بكل ما كانت تشعر به داخلها وذلك بعد قراءة الآيات السابقة. فقام محمود علي الفور واحتضن أمه والدموع تملأ عينيه وقال: "أمي الحبيبة إنك أعظم امرأة عرفتها. حقاً لقد أعطاك الله القدرة على احتمال المصاعب التي تواجهك في هذه الحياة. فلو أعرف طريقة بها أخرجك فبال تأكيد كنت سأفعل ذلك. لكن شجاعتك أظهرت لي أن الله لديه خطة أفضل."

أجابت أم علي: "أنا أعلم أن لديه خططاً أفضل يا ابني. فلننتظر الرب أما في وقتنا الحالي دعونا نستمتع باللحظات القليلة التي نقضيها مع كلمته. أنتما تعرفان كم أنا أحبكما."

إن محبة الأم لأبنائها موجودة دائماً ولكن قلة من الأمهات تكون قادرة على أن تعبر عن محبتها لأبنائها بطريقة بناءة ومفيدة لحياتهم. ولكن أم علي تعلمت من قراءتها لكلمة الله لوقت طويل ما معنى أن تُظهر محبتها لعائلتها، فبينما تُظهر محبة خاصة وأميرة ومحمود لإتحادهما معاً في المسيح كانت تطلب من الله الحكمة

لتُظهر المحبة لباقي أولادها أيضاً الذين كان يصعب عليها أحياناً أن تحبهم. وأدركت أنها لو بدأت بسؤال أبنائها عن دروسهم وأعمالهم وحياتهم ربما هذا يزيل الحواجز التي تمنعهم من الشعور بمحبة الله لهم.

بدأت أم علي تجرب هذا الأمر مع ابنها رمزي الذي كان الأقرب سناً لمحمود. فكان رمزي يدرس في السنة النهائية بالكلية وكان تحت ضغوط اجتياز الامتحانات في السنة النهائية والخوف من المستقبل. وفي يوم من الأيام وجدت أم علي ابنها رمزي يستذكر دروسه في غرفته بينما كانت تقوم بأعمال النظافة. فرفعت صلاة سريعة ثم قالت: "صباح الخير يا ابني.. كيف حالك اليوم؟".

أجاب وقال: "بخير يا أمي"، فنظر إلى أمه بينما استمرت تقول: "أنا أعلم أن هذه سنة صعبة في الجامعة يا رمزي ولكن أردت أن أعرفك أنني أصلي لأجلك حتى تؤدي الامتحانات بسهولة وأنا أثق أنك سوف تكون مستريحاً وهادئ البال من جهة الامتحانات فأنت ولد ذكي وإن بذلت مجهوداً جيداً فسوف تؤدي الامتحانات بدون أن ترهق نفسك".

أجاب رمزي وهو متحير: "إن هذا لطف منك يا أمي.. أشكرك". وبينما كان يفكر في كلام أمه كانت أمه تتأهب للخروج من الحجرة فسمعتة من وراء ظهرها يقول: "ماما.. أنا خائف..".

عادت أمه على الفور مسرعة إليه وقالت له: "يا عزيزي رمزي.. من ماذا أنت خائف؟".

أجاب متسائلاً: "حتى إذا نجحت في الامتحان بمعجزة.
فماذا عن مستقبلي في هذا المكان بعد ذلك؟".

كانت أم علي تدرك مدى الخطورة لكنها قررت أن
تشارك معه بعض ما تعلمته ولمس حياتها فقالت: "إن
أمامك مستقبلاً عظيماً يا ابني وأنا متأكدة من هذا. اسمع
هذه الكلمات واحفظها في قلبك (لأنني عرفت الأفكار التي
أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيك
آخرة "مستقبلاً" ورجاءً) هذه الكلمات من الرب الإله وهي
لك يا رمزي."

قال رمزي: "هل حقاً تعتقد أن الله لديه خطة لي يا
أمي؟".

أجابته قائلة: "أنا متأكدة من هذا يا ابني". وعندها
انحنى وقبلته على جبهته وقالت له: "أنا أحبك يا رمزي".
أجابها رمزي كطفل صغير: "أشكرك يا أمي."

غادرت أم علي حجرة ابنها رمزي وكأنها تطير في
الهواء. فبالتأكيد سيسمح الله لها بأن تعبر عن حبها لكل
أبنائها... لقد كانت متأكدة من هذا. وهمست بصلاة من أجل
رمزي في الحال، وبدأت تجهز قائمة بكل احتياجات ابنائها
حتى تذكرها وهي تقضي كل يوم وقتاً في الصلاة.

وبعد مضي أيام قليلة وجدت نفسها مع "علي" على
انفراد. فهل سيسمح الله لها أن تعبر عن محبتها أيضاً لأكثر
أبنائها؟! على الرغم من أنها كانت قلقة من هذا الأمر إلا
أنها قررت على الأقل أن تحاول معه. بينما كان "علي"
يلاحظ التليفزيون في الصالون طلب من أمه أن تعد له

كوباً من الشاي. وعندما أحضرت إليه كوب الشاي قالت له: "يا ابني "علي" إنني أصلي إلى الله لكي ما يرتب لك زوجة."

فاجأها علي قائلاً: "لقد رتب يا أمي ولكن زوجك أخذها لنفسه."

أجابت أم علي وقد فقدت صوابها من جراء إجابة علي وقالت: "كيف تقول مثل هذا الكلام يا علي؟.. أنت تعرف أن أبوك لن يتزوج قط امرأة تناسبك يجب أن لا تقول مثل هذا."

استمر علي قائلاً: "آه يا أمي.. كيف تكونين كالخرساء ولا تتكلمين!! أنت تعلمين أنه كان من المفترض أن أبي يبحث لي عن زوجة. وهذه المرأة كان يجب أن تكون لي وليست له!! يجب أن تتوقفي عن صلاتك هذه!!" أجابت أم علي قائلة: "لا يمكن أن أفعل ذلك يا علي ويجب عليك أن تتحكم في نفسك. إن الله سوف يعطيك زوجة في الوقت المناسب."

أجاب علي قائلاً: "لقد أعطاني... لقد أعطاني يا أمي." تركت أم علي ابنها علي في الصالون وذهبت إلى حجرتها وكانت رأسها تدور بسرعة من تأثير الكلمات التي سمعتها من ابنها. فكيف يجرؤ على أن يقول مثل هذا الكلام على أبيه؟.. ماذا يعني بما قال؟!! إنه كلام محبط. لذا ركعت أم علي بجوار سريرها قائلة: "آه.. يا أبي.. ما الذي يحدث؟ أنا على قدر سعادتي بابني رمزي على قدر تعاستي من كلام ابني علي... يارب ليس لدي أي فكرة

لماذا يقول علي هذا الكلام ولا ماذا يقصد بهذا الكلام؟
يارب هدي من روعه واشف جرحه واسمح بأن يرى
محبته له ويعرف خلاصك. من فضلك احفظه من ذاته
وإعطني الحكمة لأعرف كيف أتصرف معه.. في اسم
المسيح. آمين."

الفصل الخامس والثلاثون

لم تكن أم علي تدرك نوايا "علي" الشريرة من وراء كلماته هذه. فبعد أول مرة اضطجع فيها "علي" مع فاطمة أصبح يراوغ ويحتال في خداعه لها ولذا قرر أن يخاطر ويلاقبها في غرفتها مرة أخرى على انفراد. وبعد أيام قليلة من اغتصابها تسلل إلى حجرتها مرة أخرى وعندها حاولت فاطمة مقاومته لكنه أسرع واضطجع فوقها وغمرها بالعاطفة والهيام ما لم تستطع معه أن تقرأ الغدر في عينيه. وهكذا استمر في خداعه لها بكلماته المعسولة حتى أصبحت أسيرة لحبه المزيف بل صدقت كل كلماته وبدأت تشتاق إليه كما أصبح هو في اشتياق إليها أيضاً، فلقد كانت فاطمة تعيش وراء النقاب منذ أن كانت في الثامنة من عمرها، وكانت فتاة صغيرة وجميلة ولكن لم يمتدح أحد جمالها حتى الفتيات اللاتي كن يرونها بدون النقاب فكن يحقدن عليها لجمالها أو يحقرن منها لإغاظتها. فنشأت فاطمة وهي تفتقر لسماع كلمات تمتدح جمالها. وقد وجدت هذه الكلمات عند علي.

بينما كان "علي" ينظر لفاطمة وكأنها إحدى قطع لعبة الشطرنج التي يستخدمها في الانتقام من أبيه إلا أنه بدأت تتولد بداخله مشاعر تجاه زوجة أبيه. لكن يصعب علينا أن نقول هل كانت هذه مشاعر حب حقيقي أم مجرد شهوة وهكذا اختلطت الأمور في عقل علي في هذه الفترة من حياته. فلم يسبق لعلي وأن رأى الحب الحقيقي في منزله

لكن كل ما كان يسيطر على عقله هو الغريزة الحيوانية لإشباع رغبته الجنسية من أى امرأة. كما لم يدر بذهنه أن المرأة يمكنها إشباع نواحي أخرى عند الرجل بخلاف الناحية الجنسية. إن رغبة علي الجنسية لفاطمة سلبته عقله وتفكيره فكان يتحين الفرص التي فيها يمكنه أن يختلي بها مرة ومرات. وفي ذات الوقت بدأت فاطمة تتعلم كيف تحب رجلاً وتعطيه نفسها.

قد كانت تحب "علي" أثناء ممارستهما لنزواتهما الشبابة معاً في الصباح أما في المساء فبدأت تُجيد لعبة الزوجية مع زوجها. وهكذا كانت تزداد في خداعها للدرجة التي معها انخدع جميع من في المنزل أنها أصبحت الآن الزوجة المطيعة. ولم يمنعها النقاب الذي كانت ترتديه كلما خرجت من غرفتها من شهوتها المتأججة من ناحية علي. في ذات يوم من الأيام حدث ما لا يمكن تصديقه. استيقظت أم علي في الصباح الباكر كعادتها متوجهة إلى المطبخ فسمعت صوت فاطمة وهي تنقياً بشدة في الحمام. فأسرعت وطرقت الباب وسألتها: "هل أنت بخير يا أختي؟".

أجابتها فاطمة من الداخل بصوت ضعيف: "نعم.. نعم أنا بخير."

قالت أم علي لفاطمة: "سوف أحضر لك كوباً من الشاي."

فأجابتها فاطمة قائلة: "أشكرك."

وبينما أم علي تصب الشاي في الفنجان في المطبخ، دخلت فاطمة إليها وهي تبدو شاحبة الوجه، فبادرتها أم علي على الفور: "يبدو أنك مريضة يا أختي."
أجابتها فاطمة: "لا... لست مريضة لكن يبدو أن عندي اضطراباً في معدتي."

قالت أم علي: "ربما يريح هذا الشاي معدتك. هل أقوم بعمل شيء آخر لك؟"

أجابت فاطمة: "لا... ستتحسن معدتي.. وإن كان لا يضايقك أن آخذ هذا الشاي إلى غرفتي لأحتسيه ثم أرقد على السرير."

قالت أم علي: "بالطبع يا عزيزتي... يمكنك أن تستريحي الآن وسأطمئن عليك بعد قليل."
وعندما ذهبت أم علي لتطمئن بالفعل على فاطمة وجدتتها في تحسن ملموس فلم تقلق بشأنها. حتى سمعتها في صباح اليوم التالي في الحمام مرة أخرى وهي تتقيأ. عندئذ قالت أم علي لفاطمة عندما رأتها تخرج من الحمام وهي تقبض بيديها على معدتها...

"آه... يا عزيزتي.. الآن أنا أعلم ما هي مشكلتك.. إنك حامل."

أجابت فاطمة: "ماذا؟!.. هل حقاً تعتقدين هذا؟!..."
قالت أم علي: "بالطبع.. فمتى كانت آخر دورة شهرية عليك؟"

أجابت فاطمة: "منذ أكثر من شهرين.. هل تساعدني حتى أذهب إلى حجرتي من فضلك؟"

وبينما كانت تسير فاطمة إلى حجرة زوجها، صرخت
أم علي في وجهها: "آه.. يا إلهي.. آه.. يا فاطمة. يجب أن
تخرجي من هذا المنزل فوراً."
قالت فاطمة: "ماذا..؟! ... لماذا؟!"
أجابتها أم علي: "إن زوجي ليس هو أب هذا الطفل."

الفصل السادس والثلاثون

أسرعت أميرة عند سماعها لصوت أمها وهي تتحدث مع فاطمة وقد جاءت في اللحظة المناسبة التي فيها ارتمت فاطمة على الأرض مغشياً عليها فطلبت أم علي من أميرة قائلة: أسرع وساعديني لحملها إلى السرير. الحمد لله أن أباك ليس في المنزل الآن!!

وبينما كانت أميرة وأمها يضعان فاطمة على السرير سألت أميرة أمها قائلة: "أمي.. ماذا كنت تقولين لفاطمة؟!.. وماذا عن الطفل؟"

قالت أم علي: "يا أميرة.. يبدو أن زوجة أبيك الجديدة حامل."

سألت أميرة: "أليست هذه أخباراً سارة يا أمي؟!"
قالت أم علي: "كانت هذه الأخبار ستكون سارة لو أن أباك له قدرة على الإنجاب."

سألت أميرة وهي مرتعبة: "ماذا تقولين يا أمي؟!"
أجابت أم علي: "ما أقوله يا بنتي... إن هذه المرأة غير أمينة لزوجها فليس لها طريقة بها يمكنها أن تحمل منه. وسوف يدرك أبوك هذا الأمر على الفور، يجب أن نفعل شيئاً.. وما أخشاه أكثر هو أن يكون من أفكر فيه هو أبوه الحقيقي."

بدأت أميرة تسأل وهي توخر أمها بيدها: "من يا أمي؟! من هو؟!"

كانت كل إجابة الأم: "علي...!!!!!!..."

كانت أميرة تفضل أن يغشي عليها بجوار فاطمة بعد سماع هذه الأخبار إلا أنها أدركت أنه يجب عليها أن تتلقى هذه الأخبار وهي تقف على قدميها حتى تستطيع أن تتصرف هي وأما بأقصى سرعة تفادياً لحدوث أمر مريع جراء ما حدث. كانت أم علي تضع فوطة مبللة على رأس فاطمة في محاولة منها لإفادتها. وعندما فاقت فاطمة أخذت تتوسل لأم علي قائلة: "آه.. من فضلك لا تخبري أبو علي.. من فضلك... فيجب أن أحتفظ بهذا الجنين.. ألا يسعده نبأ طفل جديد في العائلة؟!.. هل يجب أن يعرف الحقيقة؟! أنا الآن تحت رحمتك!"

أجابت أم علي: "كم أتمنى لو أمكن أن يكون الموضوع سرّاً يا طفلي!! لكن لسوء الحظ فأنت سمحتي لنفسك أن تتصرفي بدون تفكير وهكذا وقعت في المصيدة.. فإن زوجي هذا الذي تزوجتيه عقيم منذ عدة سنوات، وقد ثبت هذا طيباً."

صرخت فاطمة: "آه... يا إلهي...!! قل لي أن هذا غير حقيقي...!! ماذا أفعل أنا..؟!.. ماذا سيحدث لي...؟!!"

أجابت أم علي: "لا أعلم.. يا طفلي.. أعطني فرصة للتفكير.. استريحي الآن.. صلّ وأنا أيضاً سأصلي."

غادرت أم علي وأميرة الغرفة حيث أنهما لم يعرفا كيف يتصرفان مع فاطمة في هذا الأمر وذهبتا على الفور إلى مكان راحتهما في المطبخ وعندها أمسكت أم علي بإيدي أميرة وابتدأت تصلي قائلة: "آه.. يا أبي السماوي إننا في موقف سيء. وتوقفت عقولنا ونحن في قلق شديد لما

يمكن أن يحدث لهذه الفتاة المسكينة وطفلها. فمن فضلك
ارشدنا كيف يمكننا أن نساعدنا لو كان هناك فرصة
للمساعدة. امنحنا سلامك وساعدنا لنظهره.. في اسم المسيح
آمين."

وفور انتهائهما من الصلاة سمعنا باب المنزل يُفتح،
فنظرت أميرة من باب المطبخ فرأت محمود. فأسرعت
وأشارت إليه بيدها ليأتي إلى المطبخ حتى ما يستطيع أن
يتحدث معهما. وبعد سماعه للقصة صاح قائلاً: "إنه علي..
أليس كذلك؟!.. إن كراهيته قادتته إلى أن ينجس مضطجع
والده!!.. كان يجب أن ندرك أن هذا ما كان سيحدث.. كيف
فعل ذلك دون أن يراه أحد منا؟!.. يا أمي يجب أن تتكلمي
معه فوراً قبل أن يعرف أبي بهذا الأمر."

أجابت أم علي: "نعم إنك علي حق يا ابني.. وأنا أشعر
أنه يجب عليّ أن أكلمه. وهذا إن حضر إلى المنزل مبكراً
هذا المساء. وقد لاحظت في الأيام الأخيرة السابقة أنه
يحضر إلى المنزل في نفس الموعد الذي يحضر فيه
والدك.. صلّ حتى ما يحضر مبكراً اليوم."

عاد علي إلى المنزل مساء هذا اليوم قبل والده ولم
تضيّع أم علي الوقت بل أسرعت ودخلت خلف "علي" إلى
غرفته وأغلقت خلفها الباب. وعندئذ صاح علي: "ماذا
تفعلين يا أمي..؟!"

بادرته أمه بالقول: "لقد فعلت ما لا يتخيله عقل يا
ابني."

تكلم "علي" مع أمه بصيغة الأمر: "عن ماذا تتحدثين يا امرأة؟".

سألته أم علي: "لقد جعلت امرأة أبيك حاملاً يا علي.. كيف فعلت هذا؟!!"

أجاب علي بغضب: "إنها غبية هذه الثرثارة.. لماذا قالت لك عن هذا الأمر؟!"

أجابت أم علي: "إنها لم تخبرني يا ابني.. لكنك أنت الغبي.. ألسنت تعلم أن أباك عقيم؟!"

قال علي بصوت خافت: "عقيم؟!.. منذ متى...؟!"
أجابت أم علي: "منذ أكثر من عشر سنوات يا ابني وهذا مثبت بتقرير طبي.."

أجاب علي: "إذاً هذا يزيد الأمر تعقيداً..!"
صاحت أمه: "تعقيداً...!! هل هذا كل ما استطعت أن تقول..؟!.. ألا تعلم أن هذا معناه موت محقق لفاطمة؟!"
سأل علي: "موت..؟! ماذا تقصدين بكلمة موت..؟!"
أجابت أمه: "يا علي إن زوجة أبيك ارتكبت زنى المحارم.. وبمجرد أن يعرف أبوك أنها حامل سيكون له الحق في قتلها، فأنت تعرف الشريعة الإسلامية."
قال علي: "يا أمي هل حقاً سيفعل ذلك؟!"

أجابت وقالت: "بالطبع يا علي، فإنه لن يسمح بإهانة نفسه بأن تنجب زوجته طفلاً من ابنه."

لو كان هذا الأمر حدث منذ شهرين مضت ما كان قد اكثرث علي، أما الآن فهو في قلق على مصير فاطمة نتيجة ما فعله معها وما قد يترتب عليه من إيذاء لفاطمة.

ولم يكن قلق "علي" علي فاطمة نتيجة حبه لها فقط بل أيضاً بموتها لا يكون قد سبب أي إيذاء لو والده كما أراد بل ستسير الأمور مع والده كما هي عليه الآن. لم يستطع "علي" أن يفكر بعقله بسبب المشاعر المتضاربة داخله. وفي أول رد فعل له تجاه هذا الأمر هو أنه أراد أن يرى حبيبته في حجرتها. فصاح قائلاً: "سأذهب لأراها". استوقفته أمه قائلة: "لا يا علي.. بالتأكيد لا يمكنك أن تفعل هذا.. دعني أسألك سؤالاً.. هل لديك أي نقود؟". أجاب علي: "نقود؟! لا.. فقط حوالي ألفين من الجنيهات..". فسألته أمه: "هل أنت مستعد لأن تعتني بهذه الفتاة يا علي؟".

أجاب علي: "لم أتوقع يوماً ما أن أعتني بها، أتركيني لأفكر.. دعيني أذهب وسأفكر فيما يمكن أن أفعله. وسأخبرك غداً في الصباح.. اعتذري نيابة عني لأبي بأنني مضغوط في العمل هذا المساء. سأراك غداً في الصباح." وعندها خرج مسرعاً من الغرفة ومن المنزل.. ولو أدركت أم علي أنها لن تراه ثانية لكانت قبلته مودعة إياه.

الفصل السابع والثلاثون

عاد أبو علي للمنزل بعد مضي ساعة متعباً ومهيئاً لتناول العشاء. ونتيجة للتوتر الحادث بالمنزل لم تتمكن أم علي مع أميرة في إعداد المائدة بسرعة كعادتهما. فلذا صاح أبو علي بصوت عالٍ في الردهة المؤدية إلى المطبخ قائلاً: "أين العشاء؟.. أين أولادي؟.. أين زوجاتي؟.. دعونا نأكل."!

أسرعت أم علي وخرجت من المطبخ وهي تحمل صينية الطعام قائلة: "مساء الخير يا أبو علي. معذرة على تأخيري في إعداد الطعام. من فضلك اجلس وسنتناول الطعام."

سمع الجميع صوت أبو علي فأسرعوا إلى مائدة الطعام بينما كانت أم علي تضع أطباق الطعام على المائدة. وأسرعت أم علي بتقديم الاعتذار نيابة عن علي قبل أن يعلق هو على عدم وجوده فقالت: "ابنك علي أخبرني بأن اعتذر لك عن عدم حضوره هذا المساء نظراً لأنه مشغول جداً في عمله."

قال أبو علي متذمراً: "أتمنى أن لا تصبح هذه عادته." وبينما كان أبو علي يتناول الطعام نظر إلى زوجته الثانية وقال: "ماذا حدث...؟ لماذا لا تحيين زوجك كالمعتاد؟ ماذا بك هذا المساء؟ يبدو وكأنك مريضة."

أجابت فاطمة في وهن: "سامحنى يا زوجي فإنني أشعر ببعض الإرهاق فقط. وأتمنى أن تكون أنت بصحة جيدة."

استطرد أبو علي: "صحتي جيدة.. الحمد لله. تبدين شاحبة جداً يا بنت. تناولى طعاماً أكثر لكي يعطيك طاقة أكثر."

أجابت فاطمة: "نعم.. ربما" ولكن عندما نظرت إلى الطعام الذي أمامها واسترجعت أحداث هذا اليوم زاد شعورها بالغثيان الذي كانت تشعر به من قبل فأدركت أنها سوف تتقيأ، لذا أسرعت تاركة مائدة الطعام وتوجهت إلى الحمام على الفور."

نظر أبو علي إلى زوجته الأولى متسائلاً: "ماذا بها..؟!"

قالت أم علي وهي تحاول أن تبدو طبيعية: "آه.. لا بد أنها التقطت فيروس أو ميكروب. أتريدني أن أسألها بنفسى لأعرف حالتها؟!"

فقال لها: "لا.. اتركيها.. سأسألها أنا بعد العشاء لأعرف ما بها". وأطال النظر لأم علي عسى أن يقرأ من ملامح وجهها أي شيء تخفيه عليه. وأما أم علي فحاولت جاهدة أن لا تظهر على وجهها أى علامات تثير الشك لذا استمرت تأكل وهي مطأطئة رأسها. وكذلك أميرة ومحمود لم يجرؤا رفع نظرهما من أطباقهما بل كانا يصليان حتى لا يكتشف والدهما السبب الحقيقي للغثيان الذى تشعر به فاطمة. وهكذا انتهت وجبة العشاء في صمت.

بعد أن فرغ أبو علي من احتساء الشاي بعد العشاء ذهب لينام في غرفته. بينما ظل محمود وأميرة وأمهما في الصالون ينصتون باهتمام وبترقب لأى أصوات تصدر من حجرة نوم أبو علي. ساد الهدوء لوهلة.. ثم سمعوا صوت أبو علي يصيح في غضب: "ماذا..؟! ماذا تقولين يا امرأة..؟! كيف تجرؤين على هذا..؟! وتوالى في إثرها أصوات اللطمات والصفعات الموجهة من أبو علي لفاطمة على وجهها والارتطام لجسد فاطمة على الأرض. حاول محمود أن يسرع لدفع باب الحجرة إلا أن أمه أمسكته ومنعته من ذلك وجذبه للدخول إلى المطبخ وقالت له: " لا يا ابني.. لا يمكننا أن نفعل شيئاً.. إنها ستكون بحاجة لمساعدتنا بعد قليل.. إنني أتخيل ماذا قالت." وما لم يتوقعوه هو أن فاطمة قد أفشت جزءاً من حقيقة أمرها لأبو علي دون تفكير حيث أنها لم تكن تعلم بحديث أم علي مع عشيقها لذا اعتبرت غيابه عن العشاء هو هروب من المنزل تاركاً إياها لتتلقى عذابها على يد أبو علي. فقررت أن تُخبر زوجها بأن ابنه الأكبر قد اغتصبها وهى الآن حامل.

وبهذا أرادت فاطمة أن تثبت لأبو علي أنه لم يكن هناك أى علاقة حب بينها وبين "علي" لكي ما يُشفق عليها ويردها لأهلها بفضيحتها.

لسوء الحظ كان أبو علي يثق في ابنه أكثر مما يثق في زوجته الجديدة ولذا لم يصدق روايتها. فكانت النتيجة الطبيعية هي أنه قام بضربها وأطاح بها حتى ارتطم

جسدها بدولاب الملابس مما أفقدها الوعي. وتركها زوجها وهي ملقاة على الأرض وخرج من الغرفة. وحمداً لله أنه لم يكن أحد ألامه وإلا كان نال نصيبه نتيجة ثورته. وقال وهو في طريقه للخروج من المنزل: "أنا ذاهب لعلّي في مكان عمله وسأعود متأخراً."

وخرج من في المطبخ مسرعين إلى غرفة نوم أبو علي ليجدوا فاطمة ملقاة على الأرض. فقالت أم علي: "ساعدوني يا أبنائي.. يجب أن نعمل على إفاقتها حتى نعرف ماذا قالت لأبو علي إذ ليس لدينا وقت كافٍ." وبمجرد أن تنبّهت فاطمة وأصبحت قادرة على الحديث أخبرتهم بكل ما قالته لأبو علي طبقاً لظنها الخاطئ. وعندما أخبرتها أم علي بأن السبب الحقيقي لغياب "علي" هو أنه يحاول إيجاد طريقة بها يأخذها بعيداً عن المنزل. فأخذت تقول وهي تبكي: "آه.. ما الذي فعلته؟ فإذا وجد علي سوف يقتله.. ماذا أفعل الآن؟"

قالت أم علي: "حيث أنك قد بدأت بالكذب يجب أن تثبتي على موقفك هذا. فلو ساعدناك على الهروب هذه الليلة فسيكتشف أنك كنت تخدعينه. أما إذا مكنتي هنا فربما يقتنع أبو علي بأن ما حدث هو خطأ "علي" ويرحمك. ويجب أن نأمل أن لا يجد أبو علي "علي" في مكان عمله وأن لا يأتي "علي" إلى المنزل غداً.

قال محمود: "يا أمي أعتقد أنه بإمكانني أن أخبر "علي" حتى لا يحضر إلى المنزل غداً إلى أن نعرف ماذا سيحدث مستقبلاً."

قالت أمه: "نعم يا ابني.. إن هذا حل جيد اذهب
بسرعة."

الفصل الثامن والثلاثون

أسرع محمود وخرج من المنزل في محاولة منه للبحث عن أخيه في الأماكن المحتمل وجوده فيها. فاستقل تاكسيًا وقرر الذهاب إلى منزل عبد الرحمن صديق "علي" فإذا لم يجده هناك فربما يساعده عبد الرحمن في البحث عنه. وعندما ركب التاكسي صلى في صمت قائلاً: "أبي السماوي. إن ما حدث في منزلنا هذا المساء لا يمكن تصديقه. كما أنني أعلم أنك مُستاء من خطية أخي التي اقترفها. وأنا أيضاً مُستاء، لكنني أحاول أن أتذكر أن "علي" شخص مجروح جرحاً عميقاً بسبب تصرفات أبي كما أنه لا يزال لا يعلم معنى المحبة الحقيقية التي أحببتنا بها. يارب ساعدني لأتذكر هذا دائماً بينما أتحدث معه هذا المساء. وساعدني أن أجد "علي" أولاً لأنه لا بد أن أجده يارب.. ثم حين أجده ساعدني لأعرف ماذا أقول له. لا يوجد شيء أقوله الآن له لكنني أكل عليك لتعطيني الكلام في حينه. في اسم المسيح. آمين."

عندما وصل محمود لمنزل عبد الرحمن اكتشف أن "علي" كان فعلاً هناك لكنه ترك المنزل. وشكر الله أن صديقه كان يعلم أين ذهب "علي" واصطحبه إلى هناك إذ لم يكن يعلم مدى المشاكل التي يمر بها "علي". فقد دعاه "علي" للذهاب معه إلى الجانب المسيحي من المدينة حيث هناك كل النوادي الليلية لكن عبد الرحمن رفض الذهاب معه متعللاً بأن والده سوف يقتله إذا عرف أنه ذهب إلى

هناك. ولكن "علي" قال إن أباه أصبح غير مكثرث بأمره الآن. فلذا ذهب "علي" بمفرده على أن يراه فيما بعد. وعندما وصلا إلى النادي الليلي ودع عبد الرحمن محمود قائلاً مرة أخرى أنه لا يريد أن يتسبب في مشاكل مع والده متمنياً لمحمود أن يجد "علي" بخير.

سار محمود متردداً نحو باب النادي وعندما دخل وجد الظلام يلف جميع أرجاء النادي وبعد أن اعتادت عيناه على الضوء الخافت بدأ محمود يبحث عن أخيه. ولشدة دهشته وجد المكان مكتظاً بالرجال المتسكعين حاملين الكؤوس المملوءة بالويسكي وزجاجات البيرة. وللأسف الشديد كان أغلب هؤلاء الرجال من المسلمين وليسوا المسيحيين كما كان يُفترض دائماً. وهكذا ثبت لمحمود مرة أخرى أن شرائع الدين الصارمة تجعل الكثيرين يعيشون حياة الإزدواجية حيث يبحثون عن الأماكن المظلمة لإشباع شهواتهم ورغباتهم الشريرة.

وبينما كان محمود يفكر في هذا لمح "علي" في ركن بعيد يجلس مع رجلين ويحتسي الخمر فذهب إليه وقال له: "علي.. إنني في حاجة لأن أتحدث معك."

نظر علي إليه بعينين جامدتين وقال له: "من أنت؟" أجاب محمود بصوت مرتفع: "أنا أخوك محمود يا

علي!"

قال علي: "أنا ليس لدى أى إخوة."

صاح محمود: "ماذا؟!... إن لديك أربعة إخوة! إنك

سكران!"

أجاب علي: "بالطبع أنا سكران.. حيث أنني كنت
أحتسي الخمر!" وعندها انسحب الرجلان من المائدة قبل
أن يكونا طرفاً في مشاجرة عائلية فجلس محمود على
المائدة مكانهما.

حاول محمود مرة أخرى قائلاً: "يا علي يجب أن
تسمعني. إن امرأة أبيك قالت له إنك اغتصبته ولكنه لم
يصدقها وهو الآن يبحث عنك. فلو وجدك وعرف منك
الحقيقة فبال تأكيد سوف يقتلها ومن المحتمل أن يقتلك أيضاً.
هل تسمعني يا علي؟"

أجاب علي وقد بدأ يتنبه قليلاً: "نعم.. نعم أنا أسمعك يا
أخي.. ثم ماذا؟"

ثم قال محمود: "يا علي يجب عليك أن تمكث بعيداً عن
المنزل لبضعة أيام حتى نرى كيف سيواجه أبوك هذا
الأمر. ونحن نأمل أن يصدق ما قالته فاطمة ويعيدها
بفضيحتها إلى منزل والدها ولا يقتلها. فلو فعل هذا فربما
نجد طريقة لك بها تعيش بمفردك أو تسافر خارج البلاد."
أجاب علي هامساً: "حسناً.. ما شأنك أنت؟ أما عن
فاطمة فكيف يمكنني أن أعيش بدونها الآن؟"

قال محمود وهو يقبض بكلتا يديه على ذراع علي: "يا
علي! إنه لا يمكنك التفكير في فاطمة مرة أخرى.. هل
تسمعني؟! فإن أباك سوف يكتشف أمرك إذا ما حاولت
رؤيتها في منزل والدها. تذكر أن بلدتنا صغيرة."
أجاب علي مستهتراً: "حسناً.. حسناً."

ساعد محمود "علي" على التفكير في مكان آمن ليختفي فيه لعدة أيام مقبلة. لذا قرر محمود أن يمكث علي عند صديقه الذي يسكن في جديدة أرطوس، حيث أنها تبعد عن بلدتهم وبالتالي لا يستطيع أحد من أصدقاء والده أن يراه. أراد محمود أن يذهب مع علي ليتأكد بنفسه لكن علي رفض هذه الفكرة قائلاً: "إنني أستطيع تدبير أمري بنفسى".

لم يشعر محمود بالارتياح لتصرف علي هذا لكنه في ذات الوقت لم يكن يستطيع أن يعارض "علي" حيث أنه أخوه الأكبر. وهنا وصل محمود إلى طريق مسدود مع علي في المناقشة لذا تركه وحال سبيله قائلاً: له "سأحضر بعد يومين لرؤيتك" وكرر عليه القول بأن يذهب مباشرة لمنزل صديقه دون أن يتوقف في أى من شوارع المدينة. وفور خروج محمود من النادى الليلي تلفت حوله بطريقة لا إرادية ليتأكد من أن ليس أحد يراه. وبدأ محمود يرتعش بمجرد أن دارت بذهنه فكرة أن أحداً يمكن أن يراه وهو خارج من هذا المكان.. وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخراً في الليل إلا أن السماء كانت تبدو مضيئة مقارنة بالظلام الدامس داخل النادى.

وبينما كان محمود يسير متوجهاً إلى منزله أخذ يصلي هامساً طالباً الحماية لأخيه. فقد أدرك مدى صعوبة موقف أخيه وأنه لا يوجد سوى الله هو الذى يستطيع مساعدته.

الفصل التاسع والثلاثون

عاد محمود إلى منزله ليجد أن والده مازال خارج المنزل. فأسرع إلى حجرة والدته وطرق الباب بخفة، فأجابته أميرة وأدخلته الحجرة فسألته والدته: "هل وجدت علي..؟".

أجاب محمود: "نعم يا أمي.. لقد وجدته".
قالت أمه: "حسناً يا ابني.. أين وجدته؟.. وماذا قال لك...؟".

أجاب محمود: "يا أمي.. إن قلت لك سوف ينكسر قلبك".

قالت أمه: "إن قلبي مكسور بالفعل.. يا محمود.. فأنا أعلم أن علي قد سلم نفسه لعمل الشيطان فلن يكون الحال أسوأ مما هو عليه الآن".

استطرد محمود: "حسناً.. يا أمي. لقد وجدته في نادى ليلي في الجانب الشرقي من المدينة. وجدته مخموراً ولم يتخذ أى قرار بشأن الاهتمام بزوجة أبيه. فقلت له أن يمكنه لعدة أيام بعيداً عن المنزل حتى نرى ما سيحدث. فلو تركها أبي لتعيش وتظل على قيد الحياة ربما نستطيع أن نساعد على الهرب".

سألته والدته: "وهل وافقك على هذا؟".
أجاب محمود: "لقد وافق.. ولكنني قلق لابدائه الرغبة في الاستمرار في العيش مع فاطمة".
صاحت أميرة: "يا إلهي.. يا أمي ماذا لو أنه حاول رؤيتها مرة أخرى؟".

قال محمود: "لقد أخبرته أن لا يحاول رؤيتها مرة أخرى وإلا سوف يُقتل حتماً معاً. ولكنني غير متأكد من إقتناعه فهو أعمى بسبب حبه لها."
قالت أميرة: "يجب أن نصلي حتى لا يحاول الاتصال بها مرة أخرى."
أضافت أمها: "يجب أيضاً أن نصلي حتى لا يقتلها أبوك."

لم ينم علي وأبو علي في المنزل هذه الليلة، فلقد استمر علي في النادي حتى بزوغ الفجر وعندئذ خرج مترنحاً ولا يعلم إلى أين يذهب. فأصبح حديث محمود معه لا قيمة له وذلك بعد قضاء ليل طويل في احتساء الخمر. وظل يسير في الشوارع هائماً إلى أن طلع النهار حيث أنه لا يستطيع العودة إلى المنزل. وفي الساعة الثامنة صباحاً رآه أحد أصدقائه بينما كان يجلس في المقهى فدعاه لمنزله حتى يساعده على أن يفيق مرة أخرى من تأثير الخمر. ولسوء الحظ كان والد صديقه من أعز أصدقاء أبو علي ولشدة اهتمام والد صديقه بصحة علي أسرع على الفور إلى الجامع ليرى أبو علي فوجده بالفعل هناك حيث كان يقضي ليلته في الجامع وذلك عندما خرج من منزله ليبحث عن علي في مكان عمله وإذ لم يجده هناك فضل قضاء ليلته في الجامع على أن يعود لينام مع زوجته الخائنة.

وهنا قام بإجراء عدة اتصالات بالعديد من أصدقاء علي لكن دون جدوى. ولشدة الإرهاق النفسي والذهني والجسدي نام منهاراً أبو علي في غرفة خلفية ملحقة

بالجامع حتى صلاة الفجر. ثم دخل مكتبه كالمعتاد بعد صلاة الفجر وبعد ساعات قليلة وصل صديقه الذي أخبره أن ابنه وجد "علي" ملقي في الشارع في الصباح الباكر فحمله إلى منزلي. فلذا فضلت أن أخبرك حتى ما تأتي لتطمئن بنفسك على صحته وحالته. فشكر أبو علي صديقه على اهتمامه ووافق على الذهاب معه على الفور. عندما دخل أبو علي إلى منزل صديقه وجد "علي"

يحتسى فنجانه الثاني من القهوة الساخنة، ولما التقت أعينهما لم تكن في نظراتهما الغضب بل الخوف المتبادل كل منهما من الآخر. لقد كان علي يخشي بطش والده. أما أبو علي فخاف أن يسمع الحقيقة من ابنه الأكبر.

ولما كان أبو علي يدرك أنهما ليسا في منزلهما ولم يكن يريد افتضاح الأمر في منزل صديقه لذا بدأ يتكلم مع علي بدبلوماسية قائلاً: "إنني كنت في شدة القلق عليك يا ابني.. هل أنت بخير؟"

أجاب علي بخجل: "نعم سأكون بخير.. أشكرك يا أبي."

حاول أبو علي قائلاً: "إذاً دعنا نذهب إلى المنزل يا ابني."

علم علي أن ذهابه إلى المنزل معناه الموت. لذا كان عليه أن يتدبر أمره بسرعة. فقرر أن يلعب لعبة أخرى لخداع والده. فقال: "حسناً يا أبي". وذهب على الفور إلى الحمام متظاهراً بالمرض. أسرع صديقه خلفه إلى الحمام بينما وقف والده ينتظره. وعندما دخل صديقه إلى الحمام

أمسك علي بيديه قائلاً له: "أنظر... لن أذهب مع أبي إلى المنزل.. هل تفهمني؟ سأظل هنا في الحمام وأتظاهر بأنني أتقيأ ثم تذهب وتقول لأبي إنك سوف تصحبني إلى منزلي بعد فترة وجيزة. أتوافق على هذا؟!"

أجابه صديقه على مضض: "أوافق يا علي.. أوافق." وعندما عاد صديقه لأبو علي بهذه القصة قام "علي" بعمل أصوات تكفي لإقناع الجميع أنه مريض حقاً.. لم يقتنع أبو علي بهذه التمثيلية وعندما لم يستطع أن يتمالك هدوء أعصابه أمام صديقه وافق على اقتراح صديقه في أن يحضر ابنه إلى المنزل لاحقاً. لكنه أراد فقط أن يقول لابنه مع السلامة قبل أن ينصرف. عندئذ اندفع بجرأة إلى الحمام حيث كان الهدوء يسوده الآن وطرق الباب قائلاً بلطف: "ابني علي.. هل أنت بخير؟"

لم يسمع أي إجابة فكرر المحاولة قائلاً: "علي... علي اسمح لي بالدخول". عندها حاول فتح باب الحمام فوجده مغلقاً من الداخل فنظر إلى صديقه الذي كان ما يزال في الصلاة وقال له: "ربما يكون مغمي عليه. هل تسمح لي بكسر باب الحمام؟".

أجابه صديقه: "نعم.. بكل تأكيد." فدفع أبو علي الباب بعنف فكسر التراباس فلم يجد سوى شباك الحمام مفتوحاً على مصراعيه.

الفصل الأربعون

قرر "علي" الهروب من شباك الحمام تفادياً لإهانة والده أكثر من اللازم ومنعاً لقتل أبيه له.

ونتيجة لخوفه الشديد من أبيه أفرز جسمه مادة الادريالين التي جعلت ذهنه في حالة يقظة تامة. فتذكر وهو يجرى بأن عليه أن يذهب لمنزل صديقه في "جديدة أرطوس". فعلى الفور استوقف تاكسياً وتوجه إلى هناك. وحمداً لله أن صديقه رحب به ليملكث معه قدر ما يشاء. فتنفس "علي" الصعداء.

على الجانب الآخر كان أبو علي مملوئاً غضباً من تصرف ابنه هذا. لم يستطع أبو علي أن يقول لصديقه سوى بعض الحجج الواهية على أن علي يعاني من اضطرابات عقلية في الآونة الأخيرة يصعب معها التحكم فيه.

خرج أبو علي من منزل صديقه واستقل تاكسياً متوجهاً لمنزل صديقه أبو رياض حيث أنه صديقه الأوحده الذي يثق فيه. فقد كان أبو رياض صديقاً لأبو علي منذ أكثر من أربعين سنة. لقد درسا سوياً في مدرسة تحفيظ القرآن، وظلا صديقين حميمين طوال هذه السنين. كان أبو رياض رجل دين مخلصاً لدينه في جميع النواحي، وزوجته تعيش في عزلة تامة، ولديهما ثلاثة أبناء، تزوج اثنان منهما ويعيشان مستقلين. أما ابنتهما الأخيرة معوقة ومازالت تعيش معهما في المنزل مختفية تماماً عن كل الأنظار. ولم

يعلم بوجودها أحد سوى أقرب الأقرباء والأصدقاء المقربين لهم.

دق أبو علي جرس منزل أبو رياض وبداخله ثورة من الغضب الشديد والقلق. فتح أبو رياض الباب ولما رأى صديقه الحميم رحب به وأدخله قائلاً: "مرحباً.. مرحباً يا صديقي.. كم أنا سعيد برؤياك تفضل..".
أجاب أبو علي وقد بدا عليه الإرهاق الشديد: "أشكر يا صديقي.. إنك حقاً أخ لي."

شعر أبو رياض بينما يقود صديقه إلى الصالون أن هناك شيئاً غريباً فساءله: "ماذا بك يا محمد؟!.. هل أنت بخير؟!"

أجاب أبو علي وهو مضطرب جداً لكنه صارح صديقه بالقول: "لا.. أنا لست بخير.. إن العالم يتهاوى من حولي وأنا بحاجة لمساعدتك يا صديقي."
أجاب أبو رياض: "بكل سرور يا أخي.. ما هي مشكلتك؟!"

بعدها بدأ أبو علي يشاركه بكل الأحداث التي حدثت في الشهور القليلة الماضية. واستمع أبو رياض لأبو علي باهتمام دون أن يقاطعه حتى انتهى من حديثه. واستطرد أبو علي قائلاً: "ماذا يمكنني أن أفعل؟ لقد خانتني زوجتي وابني أيضاً خائني. أحدهما مختفي عني والأخرى تكذب عليّ. فهل توجد طريقة بها أنقذ شرفي؟!"

كان أبو رياض يعلم أهمية الشرف بالنسبة لمركز صديقه في المجتمع. وأهمية حفظ ماء وجهه وتجذب

الفضيحة. ولم يخطر على بال أى منهما ولا لحظة واحدة قيمة حياة الفردين المشتركين في مثلث هذه المشكلة وكما لم يُذكر شيء عن حياة الطفل الذى لم يولد بعد.

فلذا بدأ أبو رياض حديثه: "يبدو أنه يجب عليك أن تتمسك بما قلته عن "علي" وحالة قواه العقلية. حيث أنك إذا غيرت أقوالك ستثير الشك لدى الناس. وعلى أى حال فإن الناس ستتكلم عن هذا الأمر إلا أن الأمور الخاصة بالحالة النفسية والعقلية تجعل الناس يتفهمون الموقف ويتجنبون النميمة. وأعتقد أنك محق في توقعك بأنك لن تراه مرة أخرى. ومن الواضح أنه يريد الهروب من بطشك وأن لا يسبب لك فضيحة أكثر."

اتفق معه أبو علي وقال: "نعم فأنا أرى أن كلامك منطقي. تفضل واستمر في الحديث."

استطرد أبو رياض حديثه: "حسناً.. أما عن المرأة فكونها تقول الحقيقة أم تكذب فأنت لن تسمح لها أن تحمل في أحشائها طفلاً من ابنك فهذا حرام. فإنها سوف تستغل هذا الأمر على المدى البعيد وتسبب لك إهانة باستمرار." أجاب أبو علي: "حسناً إن هذا صحيح.. ماذا تقترح عليّ أن أفعل؟"

تنفّس أبو رياض بعمق وقال: "إن الأمر واضح إنها يجب أن تموت.."

سأله أبو علي: "تموت...؟!"

فقال أبو رياض: "ليس لديك أى اختيار آخر. وبهذا فأنت تثبت براءتك وأما عن ابنك فلن يجد عشيقته ليعود

إليها مرة أخرى إن أراد ذلك. إن هذا هو الحل الوحيد المنطقي."

قال أبو علي: "لكن ماذا عن القانون؟ ألا يضعني هذا تحت طائلة القانون؟"

استمر أبو رياض قائلاً: "لا.. لا فأنت تعلم أننا كرجال دين لنا قانوننا الذي هو أعلى من أي قوانين أخرى. فأنت لك كل الحق في أن تقتلها."

صمت أبو علي للحظات وراح يفكر بعمق فيما سمعه من أبو رياض فقد أدرك أن أهم شيء بالنسبة له هو كرامته وهيبته أمام الناس التي يجب عليه أن يحتفظ بهما مهما كانت التكلفة. فنظر بتحدٍ قائلاً: "نعم.. يجب أن نفعل ذلك.. وأنا بحاجة لتعصيدك يا صديقي. فهل تقف بجانبني؟"

أجاب أبو رياض: "بالطبع يا محمد. فأنا أعلم أنك ستقف بجانبني في أي وقت أحتاجك فيه. وأنا لن أتخلي عنك."

وهنا نهضا وتعانقا وقبلا بعضهما. ربت أبو رياض على كتف أبو علي قائلاً: "نحن نحتاج الآن لمجموعة صغيرة من رجال الدين معنا وسنذهب جميعنا معك للمنزل لنأخذ المرأة. هيا بنا نذهب فإنه من الأفضل لك أن ننهي هذا الأمر في أسرع وقت ممكن."

عندئذ اصطحب أبو رياض أبو علي إلى سيارته.

الفصل الحادي والأربعون

لم يكن لدى أم علي أو أميرة أو محمود وحتى فاطمة أي فكرة عما حدث طوال ساعات صباح هذا اليوم. فكل منهم أراد أن يحتفظ بهدوئه على قدر المستطاع متأهباً لعودة أبو علي إلى المنزل حينما أراد.

كانت فاطمة مازالت تشعر بالغثيان والآلام المبرحة نتيجة ارتطام جسدها بالأرض. لذا قضت هذا الصباح في حجرتها لتستريح على فراشها.

قامت أم علي مع أميرة ومحمود بإيقاظ الأولاد الثلاثة الآخرين وإلزامهم بالخروج لقضاء اليوم خارج المنزل. حيث أنهم لم يريدوا لهم التواجد بالمنزل عند عودة أبيهم. بعدها دخلت أم علي مع أميرة ومحمود إلى المطبخ حيث لجأوا إلى الكتاب الوحيد الذي يجدون فيه راحتهم وسلامهم. فقرأ لهم محمود فقرة من مزمور 73 "عندما تمرمر قلبي ووخزني ضميري. أدركت أنني كنت غيباً لا أعرف شيئاً. إذ كنت كبهيمة أمامك. غير أنني معك دائماً، وأنت قد أمسكت بيدي اليمنى. تهديني بمشورتك، وبعد ذلك تأخذني إلى المجد. من لي في السماء غيرك؟ ولست أبغي في الأرض أحداً معك. إن جسدي وقلبي يفنيان، أما الله فهو صخرة قلبي ونصيبني إلى الدهر. هوذا البعداء عنك يهلكون وأنت تدمر كل من يخونك. أما أنا فخير لي أن أقترب إلى الله، لأنني على السيد توكلت، لأحدث بجميع عجائبك."

قالت أم علي بعد أن أنهى محمود القراءة: "يا للعجب..
إن كلام الله يتحدث إلى قلبي مباشرة. فكم أشعر بالحزن
لهذه الأوضاع والخطية الحادثة في منزلنا."

استطرد محمود قائلاً: "نعم يا أمي.. ليس لدينا الآن أى
شخص نلجأ له سوى الله. إنه هو ملجأنا، كما أن هذا
المطبخ أصبح ملاذنا، مكان عبادتنا."

سألت أميرة بحزن: "ماذا سيحدث لهم؟".
أجابت أمها: "الله وحده يعلم."

في حوالي الساعة الثانية ظهرًا سمعوا صوت
ضوضاء عظيمة من بئر السلم وتتجه نحو الشقة. أسرعت
أم علي وجمعت أميرة ومحمود من حولها في المطبخ
وقالت لهما: "يجب أن تمكثا هنا ولا تنطقا بكلمة ولا
تخرجا حتى أخبركما بذلك."

أوما محمود وأميرة برأسيهما: "نعم.. يا أمي."
وعندها خرجت أم علي من المطبخ ووقفت في
الصالون انتظاراً لفتح الباب. وعندما فُتح الباب دخل
زوجها وتبعه ثمانية رجال ذوى لحى طويلة. فقالت أم علي
وهي تحييه: "مرحباً بك يا أبو علي."

قال أبو علي وهو يسير مندفعاً إلى حجرة نومه أمراً
إياها: "اغربي عن وجهي يا امرأة واخرجي من هذه
الغرفة. تراجعتي أم علي للوراء لكنها لم تغادر الحجرة
حيث لم يعرّها أحد منهم اهتمامه. وبدأ الرعب يملأ قلبها
وهي تشاهد زوجها يدخل حجرته ويجذب فاطمة من
شعرها، وأحضرها أمام مجموعة الرجال الثائرين.

صاح أبو علي: "هذه هي المرأة الزانية."
ثم سألها: "هل تتكرين أنك حامل وحملك ليس مني؟"
أومأت فاطمة برأسها بالإيجاب بينما كانت تبكي
بحرقة. أجاب أبو علي بصوت مرتفع: "ألا ترون أنها
اعترفت."

عندئذ أدلى أحد الشيوخ الطاعنين في السن ذو لحية
بيضاء كثيفة برأيه مجاهرة وقال: "طبقاً لشريعة القرآن
الكريم فإن هذه المرأة يجب أن تُرجم."
فصرخت المجموعة قائلة: "أخرجوها من هنا!!"
بدأت فاطمة تصرخ مسترحمة إياهم: "لا.. لا تأخذوني
إنني أغتصبت! لم تكن غلطتي أنا لست مخطئة!!"
صاح زوجها قائلاً: "اخرسي يا كلبة". ثم صفعها
صفعة أفقدتها وعيها وعندها تقدم الرجال ليحملوها ثم
أنزلوها على السلم وأدخلوها السيارة التي كانت تنتظرهم.
سمعت أميرة ومحمود صوت ارتطام على الأرض في
نفس اللحظة التي أغلق فيها باب الشقة بشدة. فأسرعا
خارج المطبخ ليجدا أمهما مطروحة ترقد على الأرض
وفاقدة الوعي. فحملها إلى حجرتها وبدأ على الفور في
وضع بعض الأقمشة المبللة على رأسها لإفاقتها. وعندما
تنبّهت أخيراً بدأت تصرخ قائلة: "آه.. يا إلهي!! ماذا
أفعل؟! آه يا فاطمة!! إنها غلطتي فأنا التي أخبرتها أن
تمكث هنا. آه.. يا إلهي!! لقد قدت هذه الطفلة إلى الموت!
آه.. يا إلهي!!"

حاول محمود وأميرة أن يهدئا من روع أمهما، ولكن من شدة اضطرابها غابت عن وعيها سريعاً. فقرر محمود أن يستدعى صديقه الطبيب الذي وافق أن يحضر على الفور. وعندما حضر الطبيب وجد أم علي ترقد على فراشها وعينيها مفتوحتين وثابتتين ولا تستجيب لأى مؤثرات خارجية. فقال الطبيب: "إنها في غيبوبة وتحتاج لأن تُنقل إلى المستشفى."

قال محمود: "لا نستطيع يا دكتور.. لا سيما بعد ما حدث هذا اليوم.. يجب أن تحاول مساعدتها هنا. فأبى لن يسمح لها بالعودة مرة أخرى إلى المستشفى."

أجاب الطبيب: "إذا سأفعل كل ما يمكننى فعله."

ظل محمود وأميرة بجانب أمهما حتى العصر. وعندما غادرهم الطبيب لم يؤكد لهما بتعافي أمهما لكنهما عرفا من قراءتهما للمزمور في هذا الصباح أن الله سيشفي أمهما إذا أراد ذلك، وأخبرت أميرة محمود قائلة: "عندما كانت ماما بالمستشفى كنت أقضي الوقت كله في قراءة فصول من الكتاب المقدس والصلاة بالقرب منها. وبعدها بفترة وجيزة بدأت تسترد وعيها. فهل يمكننا أن نفعل ذلك مرة أخرى؟".

أجاب محمود آملاً: "نعم.. هيا بنا نفعل ذلك. فإن الله يعلم جيداً أن ليس لدينا سواه لمعونتنا". فابتدأ يقرآن لأُمهما بالتبادل من المزامير ويصليان لها صلوات قصيرة من أجل الصحة والشفاء. لقد تحدثا إلى أمهما بكلمات مُعزية مذكرين إياها أنها فعلت أفضل ما يمكن عمله... إذ لم يكن

بإمكانها التنبؤ بما سوف يفعله والدهم. كما أن الله لا يُحملها
مسئولية موت فاطمة. بل أن الله يحبها.

لم تكن هناك طريقة بها يتأكد محمود وأميرة من
وصول كلماتهم هذه إلى ذهن أمهما لذا مرت الساعات
وهما لا يزالان في الحديث لأمهات لعلاجها. وفجأة في
حوالي الساعة السابعة مساءً بدأت أمهما تصرخ ثانية:
"آه.. يارب. أنا لست أفهم طرقك. لماذا تسمح بموت هذه
الفتاة الصغيرة وكذلك الجنين الذي في بطنها.. أنا لا
أستطيع أن أفهم.. لكن بالنسبة لي فخير لي أن أقترب إلى
الله، لأنني على السيد توكلت". وهكذا كانت تكرر كلمات
المزمور الذي قرأوه معاً هذا الصباح. فإن الله هو مصدر
تعزيتها الوحيد، لذا كانت تلتفت إليه لتجد راحتها فيه.
تنفس محمود وأميرة الصعداء بمجرد رؤية أمهما
تسترد وعيها. فأسرعا وقاما لها شراباً لتشرب وتسترد
عافيتها. ثم عانقاها بحرارة وقالوا لها إنهما يحبونها. ثم
انخرطوا جميعاً في البكاء من قلوبهم وهم يتساءلون عن
ماذا تخبئ لهم الأيام القادمة.

الفصل الثاني والأربعون

بعد رجم زوجته الثانية كان أبو علي منهاراً تماماً من كل ناحية حيث أنه حكم عليها بالتعذيب لذا لجأ لمنزل صديقه أبو رياض ليقضي ليلته هناك، لأنه لم يتمكن من العودة لمنزله ومواجهة أم علي وابنائها. وقد شعر أبو علي وكأنه كبير ثلاثين عاماً عن عمره الحقيقي هذا اليوم لذا أراد أن يتمالك قواه قبل مواجهته لحقيقة ما فعله.

لم يعرض أبو رياض على أبو علي مكاناً للمبيت فقط بل قضى معه بعض الوقت صباح اليوم التالي وهو يراجع معه كيف يبرر موقفه أمام عائلته وأمام المجتمع. كما سبق لأبو رياض واجتمع مع الرجال الذين نفذوا حكم الرجم لإعطائهم التعليمات لتوحيد كلمتهم في تبرير موقفهم إزاء فعلتهم هذه. فلذا أراد أبو رياض التأكد من أن أبو علي قد حفظ القصة المختلفة التي سيواجه بها المجتمع فابتدأ يشارك أبو علي بما اتفقوا عليه وهو يقوم على أساس أن ابن أبو علي الأكبر "علي" كان يعاني في الستة أشهر الأخيرة من اضطراب عقلي مما جعله تحت الملاحظة الطبية. والزوجة الثانية كانت تشعر بالأسى لحالته، لذا بدأت تتقرب إليه وتغريه بشهواتها الشيطانية، مما أدى لسقوط "علي" في فخاخها فاضطجع معها فحملت منه جنين. ولما اكتشف "علي" ما فعلته معه فر هارباً في نوبة من الاختلال العقلي. ولقد رُجمت لارتكابها زنى المحارم. لذا يجب أن ندعو الله جميعنا لأجل نفس "علي".

وبمجرد أن استوعب أبو علي هذه القصة في عقله بكل وضوح، قام على الفور وشكر صديقه العزيز أبو رياض ثم عاد إلى منزله واثقاً من نفسه.

وصل أبو علي إلى المنزل ليجد زوجته الأولى وابنته فقط في المنزل. كانت أم علي تشعر بحزن عميق لوفاة فاطمة كما احتقرت زوجها على جريمته الشنعاء التي ارتكبها. لكن لم يكن أمامها سوى أن تتجرع حزنها وترتدي قناع الشجاعة لتحیی به أبو علي. وهي تعلم أنها ستعيش مع هذا الألم الذي سيتجدد في كل مرة تنظر فيها وجه أبو علي. فحيته عند دخوله قائلة: "حمد لله على عودتك سالماً إلى المنزل."

أجابها بهدوء: "صباح الخير يا زوجتي." قالت له أم علي بحرص وهي تعلم أنه من الأهمية أن لا تثير غضبه: "أنا أرى أنك متعب يا زوجي. فهل يروق لك أن أحضر لك كوباً من الشاي بينما تأخذ أنت قسطاً من الراحة في غرفتك؟"

على الرغم من أن هدوء وضبط النفس الذي كانت تتحلى به أم علي قد أثار غضب أبو علي إلا أنه أجاب فقط بقوله: "نعم.. أشكرك."

بينما لجأ أبو علي لغرفة نومه ذهبت أم علي إلى المطبخ لتعد له الشاي. كانت أميرة في انتظار بشغف لسماع الأخبار. فقالت أم علي: "إن أفضل ما فعلنا هذا الصبح يا ابنتي هو أننا أخرجنا ملابس فاطمة من حجرة

نومه.. وأنا أعتقد لو تركناها سنجعله أكثر ضيقاً.. كم يبدو متعباً ومتقدماً في السن.. إنه ينوء تحت حمل فعلته الثقيلة. سألت أميرة: "هل فعلاً تشعرين بالأسى لأجله يا أمي؟".

أجابت أمها وقالت: "لن أصفح له أبداً عما فعل فكلما نظرت إليه أتألم إذ أتذكر ما فعله ولكنه هو ما يزال زوجي يا أميرة الذي يجب أن أعيش معه. أما هو فمن الواضح الآن أنه يحصد ثمر ما زرع. إن الظلمة ابتلعتة.. يا ليتني أعرف إذا ما كان يشعر ببعض الندم على ما فعل فأنا سأصلي لكي ما يلمس الله قلبه الملطخ بالخطية." أجابت أميرة: "إنني أحتاج أن أصلي إلى الله ليلمس قلبي ويعطيني العطف مثلك."

قالت أم علي: "يا أميرة.. إذا لم يكن لديّ سلام الله في حياتي فلا أستطيع أن أشعر إلا بالكراهية من نحو أبيك. ولو كنت مثل كل السيدات اللواتي في نفس حالتي فكنت سأعيش في الجحيم وأنا على الأرض حيث أنني أعيش مع رجل أكرهه. كما لا يمكنني أن أقع في مصيدة المقوله الشهيرة: "إن هذا قدرى".. لا فينبغي أنه مع كل هذه الحماسة التي أرتكبت في حق فاطمة، أن أومن أن الله سوف لا يدع الأمر ينتهي هكذا.. وسوف لا يدع حياتنا تنتهي عند هذا الحد بأن نحيا مع رجل قتل زوجته. لكنني أومن أنه من أجل المسيح سيحول الله هذا الأمر لشيء صالح. أما الآن فأنا أمر بوقت صعب إذ لا أستطيع أن أرى أي شيء صالح، فقط ينبغي عليّ أن أومن."

قامت أميرة على الفور تعانق أمها بشدة إذ تأثرت
بكلام أمها وملأت الدموع عينيها وعانقت أمها.
صبت أم علي الشاي في الفنجان بعد أن تماكنت نفسها
مرة أخرى وطلبت من أميرة قائلة: "هل تريدين أن أقدمي
له الشاي؟".

أجابت أميرة على الفور: "لا.. يا أمي.. لا أستطيع أن
أرى أبي الآن.. من فضلك اعطني بعض الوقت حتى
أتمكن من رؤياه."

قالت أم علي: "أنا أفهم ما تقصدين."
ثم استطردت تقول: "لكن يجب عليك أن تصلي لأجلي
حتى يعطيني الله الكلمات لأقولها عندما ينبغي أن أتكلم
معه.. إنه وقت حرج لجميعنا فلذا ينبغي أن نكون
حريصين."

أجابت أميرة: "سأصلي لأجلك يا أمي."
عندئذ أخذت أم علي الشاي لزوجها حيث كان في
غرفته يجلس على سريره واضعاً رأسه بين يديه فقالت له
بهدهوء: "تفضل الشاي يا زوجي.."
أجابها قائلاً: "شكراً.."

ثم سألتها قائلة: "أتريد أن أحضر لك شيئاً آخر؟"
أجابها بالحاح: "لا.. أريد فقط أن أستريح الآن..
اتركيني وحدي."

أجابت: "بالطبع.. ومضت.
عند الظهيرة في ذلك اليوم رن جرس التليفون الذي
التقطه أبو علي. وكان المتحدث في الطرف الآخر أحد

أصدقاء أبو علي الذي يعمل في وزارة الداخلية. فقط أراد أن يتحقق حقيقة ما سمعه.

استطاعت أميرة وأمها أن يسمعا أبو علي وهو يحكي قصته عبر التليفون.

عندئذ قالت أميرة بصوت منخفض وهي مندهشة:
"ماذا..؟ ماذا يقول يا أمي؟؟.. إنه يقول إن علي مختل العقل وأن فاطمة هي التي أغوته.. كيف يستطيع أن يقول هذا؟!"
قالت أمها محذرة: "اصمتي يا أميرة... سوف يسمعك أبوك."

واستطرد أبو علي حديثه على الهاتف قائلاً: "من فضلك أخبر والدها بأنني لا أنوي اتخاذ أي إجراء قانوني ضد الأسرة مقابل جريمة ابنته هذه... نعم سأعيد حاجاتها الشخصية مع أي شخص لأسرتها.. شكراً لمساعدتك."
انتظرت أميرة مع أمها في المطبخ حتى أنهى أبو علي مكالمته التليفونية. بعدها ظلاً يتهامسان معاً. فقالت أميرة ثانية: "يا أمي.. كيف يستطيع أن يختلق مثل هذه القصة؟!"
وانت تعلمين أنها ليست الحقيقة."

فأجابتها أم علي: "يا أميرة.. إن أبالك رجل لا يحيا بحسب نور الله. فلما تتعجبين لاختلاقه أكذوبة ليحفظ بها ماء وجهه أمام أصدقائه.. فلم يحدث شيء غريب ليصدمك هكذا."

وعند هذا الوقت سمعا صوت الباب يُفتح فنظرا ورأيا محمود يدخل المنزل، وكان أبوه لا يزال يجلس قريباً من

التليفون في الصالون فتقدم ببطء وحيا والده قائلاً: "أهلاً بك يا أبي.. كيف حالك؟"

أجابه أبو علي: "أنا بخير يا ابني.."

عندئذ راودته فكرة شريرة فاستطرد يكلم محمود: "يا ابني محمود أنا في حاجة لمساعدتك في عمل شيء مهم جداً."

سأل محمود وهو متوتر: "نعم... ما هو يا أبي؟"
فقال أبو علي: "يا ابني إنه من المهم جداً أن تبحث عن أخيك الأكبر حتى تجده وسأعطيك شيئاً أريد أن توصله له لأنه لا توجد طريقة بها يمكنني أن أراه بنفسي."
سأل محمود قائلاً: "بكل تأكيد.. ولكن ما هذا يا أبي؟"
انتهره أبو علي قائلاً: "إن هذا ليس من شأنك.. مهمتك فقط هي أن تأخذ المظروف وتعطيه إياه."

أجاب محمود: "نعم.. أنا متأسف يا أبي."
استطرد أبو علي يقول لمحمود: "اذهب وتناول شيئاً من الطعام بينما أجهز لك المظروف". عندها تنفس محمود الصعداء وذهب مسرعاً إلى المطبخ.

تعثر محمود في أمه وأخته عندما دفع باب المطبخ حيث كانت أمه وأخته تقفان خلف الباب ليتنصتا ويسمعا حديث أبو علي مع محمود فاختل توازنه وانطرح أرضاً وصاح قائلاً لهما: "لقد أفر عثماني لدرجة الموت."
قالت أمه باهتمام وصوت منخفض: "محمود يا ابني.. كم أنا سعيدة لعودتك."

فسأل محمود قائلاً: "أخبراني ماذا حدث هذا اليوم؟..
لقد كنت قلقاً جداً لأجلكما. قالتا له في صوت واحد: "إننا
بخير". واستطردت أميرة تقول: "لكن هناك تطورات
جديدة."

سأل أخوها: "ماذا؟"..
..

عندئذ ابتدأتا تقصان عليه القصة التي يروجهما أبو علي
للمجتمع عن أحداث هذه الواقعة. أصابت محمود دهشة
بالغة مما سمعه. وبمجرد أن فرغا من حديثهما قال محمود:
"أنا لا أستطيع أن أصدق أنه يفعل مثل هذا الأمر لمجرد
حفظ ماء وجهه."

واستطرد محمود يسأل أمه: "ماذا تظنين أن يعطيني
أبي لتوصيله لعلي."

فأجابت أمه: "حسناً.. يبدو لي جلياً لا يريد عودة علي
إلى المنزل مرة أخرى وإلا سيثبت للناس عدم مصداقية
قصته هذه.. فهل تعتقد أنه ربما يخبره بشيء يضمن به
عدم ظهور علي مرة أخرى؟."

أجاب محمود: "من المحتمل هذا.. ولكن عندما أرى
علي كيف أتصرف معه..؟."

قالت أم علي: "يجب أن تخبره بالحقيقة كاملة يا ابني..
يجب أن يعرف الحقيقة مهما كانت مؤلمة."

وبينما هم يتشاورون وقبل أن يصلوا إلى قرار واضح
نتيجة تحليلهم هذا نادى أبو علي محمود قائلاً: "تعال هنا يا
ولد.. يجب عليك أن تذهب مسرعاً."

عندها عائق محمود أمه وأخته وقبلهما هامساً: "صليا لأجلي.." واندفع مسرعاً للصالون حيث كان والده وقال: "نعم.. هأنذا يا أبي."

فسلمه والده مضطرباً سميحاً ممتلئاً وأخبره قائلاً: "اسمع يا محمود يجب عليك أن تبحث عن أخيك حتى تجده مهما كلفك هذا من وقت وجهد لكن لا أريد أبداً أن أراك مرة أخرى قبل أن تجد أخاك وتعطيه هذا المضطرب.. أتفهم هذا بوضوح؟."

أجاب محمود: "نعم... يا أبي لقد فهمت." قال أبوه وهو يربت على ظهره: "حسناً.. اذهب الآن."

الفصل الثالث والأربعون

على الرغم من أن والده لم يكن يعرف هذا إلا أن محمود كان يعرف تماماً أين يوجد علي، لذا توجه مباشرة إلى منزل صديقه خارج المدينة. وهناك وجد أخاه يلعب لعبة الطاولة مع صديقه بكل حماس. وعندما دخل محمود الحجرة طلب قائلاً: "هل يمكنني أن أتحدث مع أخي على انفراد؟".

أجاب علي وهو لا يبالى: "محمود.. يمكنك أن تقول لي ما تريد أن تقوله أمام صديقي..".
قال محمود بمنتهى الحزم: "لا.. يا أخي لا أستطيع أن أتحدث معك في هذا الأمر إلا على انفراد". عندئذ انسحب صديقه وتركهما بمفردهما.
جلس محمود مقابل أخيه ووضع رأسه بين يديه هامساً بصلاة قصيرة ثم رفع رأسه ثانية وقال: "علي أنا مُرسل هنا من قبل أبي".

صاح علي: "أبي.. هل يعرف أين أوجد؟".
طمأنه محمود قائلاً: "لا.. لا.. لكنه فقط أرسلني لأبحث عنك حتى أجذك. وهو لا يعرف أنني أعرف أين توجد.
على أي حال اسمع، لقد أعطاني أبي هذا المظروف لتوصيله لك، لكن قبل أن تأخذ هذا المظروف هناك شيء يجب أن تعرفه".

اضطرب محمود وقال له: "يجب أن تصمت وتسمع أن أباك قد قتل فاطمة بالرجم".

صاح علي: "رجمها! لا... كيف يكون هذا؟.. هل يستطيع أن يفعل هذا؟ ليس من المفروض أن يحدث هذا!"... كانت نظرات علي محمقة زائغة تدل على عدم تصديقه لما يقوله أخوه.. أراد محمود أن يقول ما يلطف به من وقع هذا الكلام على علي لكن لم يجد ما يقوله لذا قال: "يا علي.. كان يجب عليك أن تدرك مدى المخاطرة التي أخذتها عندما أقدمت على هذا الأمر معها. فأنت تعلم أن أباك لا يفكر إلا في نفسه فقط فإن قتله للمرأة وطفلها وفقد ابنه أفضل بكثير من فقدته لمكانته في المجتمع."

أجاب علي بليونته أكثر: "لقد كنت أريد إذلاله فقط.. هل قتلها حقاً؟"..

أجاب محمود: "نعم يا أخي.. لقد أحضر عصر الأمس مجموعة من الرجال إلى المنزل وأخذوها معهم، ولكن هناك موضوع آخر... يا علي."

سأله أخوه: "ما هو الموضوع؟".. أجاب محمود: "أن أباك يقول للناس أنك تعاني من مرض عقلي منذ بضعة أشهر وأن فاطمة أحست بالأسى لحالتك وقامت بإغرائك وهي المخطئة في الأمر بالكامل.. وعندما علمت أنها حامل تركت المنزل هائماً في نوبة من الجنون.. كما طلب من الناس أن تدعو إلى الله من أجل نفسك."

صاح علي للمرة الثانية وهو يهدد قائلاً: "ماذا....؟ يكفي أنه قتلها كما قتل ابني لكن لن أسمح له بأن يدعي أنني مختل عقلياً وسأريه أنه هو المختل عقلياً!!"

قال محمود بحزم: "لا يا علي، لا يجب أن تفعل أي شيء فإن فكرت في العودة للمنزل مرة أخرى فسوف يدبر لك طريقة بها يقتلك.. لقد حان الوقت لتفتح المظروف لترى ما بداخله."

كانت الأفكار تدور بذهن علي بعدما سمع كل هذه الأخبار من محمود لكنه نظر إلى المظروف في يد أخيه وأخذه وفضّه سريعاً. فسقط خطاب من المظروف وبه خمسون ألف جنيه.. نظر كل منهما للآخر بذهول بينما تناثرت النقود على المائدة.

التقط علي بسرعة الخطاب ولكنه أعطاه لمحمود قائلاً: "اقرأ أنت لي هذا الخطاب.. فأنا لا أحتمل حتى رؤية خطه."

أخذ محمود وهو خائف الخطاب وبدأ يقرأ كلمات أبيه لعلي "بسم الله الرحمن الرحيم. إنك بلا شك ستجد ما بداخل هذا المظروف مغرياً لدرجة معها تجعلك شغوفاً لقراءة ما سأقوله لك.. في الحقيقة أنا لا أريد أن أعترف بوجودك في هذا العالم حيث أن ما فعلته لا يُغتفر ولهذا لن أسامحك قط كما أريد أن أقطع كل صلاتي بك في هذه الدنيا. فلو كنت أمامي الآن لكنت فصلت رقبتك عن جسدك بيدي وأزهقت روحك. فإنك أنت الوريث من بعدى وكان ينبغي عليك أن تحمل لقب العائلة وتحافظ على شرفها لكنك لوثت سمعتها وفقدت كل ما يمكنه أن يربطك بهذه العائلة.

ومما لاشك فيه أنك تعرف أن خطتك باءت بالفشل وأنت تحاول الهروب الآن. وعلى الرغم من أن هذا منافٍ

لما أريده أنا حيث أنك لا تستحق سوى الموت لكنني سوف أمدك بالوسيلة التي بها تستمر على قيد الحياة كما أضمن عدم رؤيتك مرة أخرى. فمن الأفضل لك أن تقبل هذه النصيحة حيث أنك تعرف ما هو البديل.

وعند وصولك إلى الحدود سيقابلك أحد أصدقائي ليساعدك على الهجرة إلى بيروت ومعه الأوراق الخاصة بك. وإنني على يقين أن هذا المبلغ كافٍ لأن يساعدك في الوقوف على قدميك في بداية حياتك الجديدة في البلد الجديد إذا لم تتكاسل. لا تحاول العودة مرة أخرى للمنزل حيث سأنفذ خطتي الأولى.. ودعوتي لك أن الله يحرمك من أن تسعد برؤيتك أبناء لك كما يحرمك أيضاً من أن تستمتع في حياتك مع أي امرأة فإن شهواتك ورغباتك الدنيئة هي التي جلبت لك الدمار وخيبة الأمل. وسوف تجد اسمك الجديد مدوناً بالورق الذي ستجده على الحدود ومن هذا الوقت فأنت لست ابني."

انهى محمود قراءة الخطاب بينما كانت يداه ترتعشان أما علي فقد أطبق يديه من شدة الغيظ بينما عيناه تحمقان في النقود التي كانت فوق المائدة. وفجأة وقف يطلق صيحة: "أخ خ.. إنني أكره هذا الرجل! كيف يتسنى له أن يفعل ذلك معي؟ فماذا فعلت له.. إنني كنت مطيعاً له طوال حياتي وأتبعه إلى الجامع يوماً بعد الآخر؟ وكيف يتبرأ مني ويتهمني بالجنون؟ إنه هو الوحيد المجنون! وعن فاطمة...! سأقتله كما قتلها..! وكيف يتجرأ ويرشيني بالمال!"

نظر محمود لأخيه محملاً فيه وأدرك على الفور أنه يجب عليه أن يتحدث مع أخيه بتعقل حتى ما ينتبه عن ارتكاب حماقه أخرى وإلا سوف تحدث جريمة قتل أخرى في العائلة. فراح يقبض على كتفي أخيه قائلاً: "اسمع يا علي.. اسمع لي..! لا تقل مثل هذا الكلام.. ألم تسمع ما قاله في خطابه؟ سوف يقتلك.. لا يمكنك العودة إلى المنزل مرة أخرى.. فلا تعود!.. فسوف تموت أمك عندما يقتلك أبوك. فعلى الأقل سوف تعرف أنك حي الآن وتعيش حياة جديدة في بيروت. وهكذا يمكننا أن نتلاقى مرة أخرى في المستقبل، فالآن يجب أن تنسى أباك وتنسى ما حدث لتبدأ حياتك الجديدة في بيروت. وهذه فرصتك لأن تخرج من قبضة يد أبيك، ألا ترى هذا؟"

جلس علي في مكانه وعيناه مازالت محمّلتين. أما محمود فلم يستطع أن يعرف هل بدأ يفكر في ما قد سمعه بتعقل أم أنه جلس من هول الصدمة لسماعه مثل هذا الخطاب؟ وأخيراً.. تكلم علي: "حسناً.. لقد فهمت ما قلته يا أخي الصغير وليس لدي شيء آخر يمكنني أن أفعله لأنه سيكون هو دائماً المنتصر. والآن قد أدركت سبب زواجه من فاطمة. فهو لا يريد لي مطلقاً السعادة أو النجاح في حياتي. ولا ينبغي أن أتعجب من تصرفه هذا حيث أن فاطمة لا تعني مطلقاً أي شيء بالنسبة له."

رفع علي عينيه فجأة وركز نظره على محمود وكأنه يراه لأول مرة وقال: "أمي.. ربما لا أراها مرة أخرى.."

سوف أفقد العيش بالمنزل مع إخوتي وحتى أنت". ثم ابتسم.

قال محمود: "إننا سنفتقدك كثيراً يا علي". ثم استطرد محمود يقول متردداً: "يا علي كما قلت لك إن لديك فرصة لتبدأ حياتك من جديد. فلتبدأها بطريقة تُرضي بها الله. ولتطلب الله وأنت في لبنان يا علي وأنا أعتقد أنك ستجده." كرر علي قائلاً: "الله..! من يستطيع أن يعرف الله؟ أنا أعرف أنه بالتأكيد هو لا يريد معرفتي." أجاب محمود: "هذا غير حقيقي. فإن الله يحبك يا علي."

قال علي: "هذا مستحيل يا أخي الصغير.. ماذا حدث لك؟ أتريد أن تُظهر تدينك عليّ." أجاب محمود: "لا فأنا لست متديناً يا أخي الكبير، لكنني أعرف أن هناك الكثير عن الله أكثر مما كنا نعتقد أننا نعرفه. فلقد قرأت بعض الأشياء العجيبة عن الله في الإنجيل. فلذا يجب أن تحاول أن تحصل على نسخة من الإنجيل في بيروت. وأعتقد أنه سينال إعجابك." أجاب علي بإندهاش: "حسناً.. ربما أفعل هذا." قال محمود: "سوف أفقدك يا أخي..". أجاب علي محاولاً إخفاء مشاعره: "نعم.. والآن من المفضل لك أن تعود للمنزل قبل أن يتصيد لك أبوك أي خطأ!" وبينما همَّ محمود للخروج قال له علي: "أشكرك يا محمود..."

أجاب محمود: "أنت أخي يا علي" ثم عانقه وخرج.

الفصل الرابع والأربعون

لم يعد محمود إلى منزله مباشرة حيث كان يخشى أن يشك أبوه في أنه كان يعرف أين يوجد علي. لذا توجه إلى منزل صديقه إبراهيم، حيث لم يكن لديه متسع من الوقت ليزوره منذ عدة أيام وكان مشتاقاً لرؤية بعض أصدقائه .

رحب إبراهيم به بحرارة وعندما رآه أدرك على الفور أن هناك شيئاً ما حدث معه. جلس محمود على الأريكة وتناول القهوة ثم بدء في سرد القصة. وبينما كان يسرد القصة على مسامع إبراهيم وزوجته دق جرس الباب ودخل صديق آخر لهم.. إنه "أمين". عانق محمود أمين بشوق مرحباً به واستطرد في سرد الأحداث التي حدثت في الأيام الماضية الأخيرة. جلس الجميع في ذهول وهم يستمعون عن موت فاطمة وهجرة علي من البلاد.

وأخيراً تكلم إبراهيم قائلاً: "يا أخي محمود كيف استطعت أن تتحمل عذاب هذه الأحداث الأليمة؟". أجاب محمود: "إنها فقط نعمة من الله" ثم أضاف:

"وبفضل مساندة صلوات أمي وأختي."

قال إبراهيم: "حقاً هذا صحيح.. ولكن بالمناسبة لم تكن لدينا الفرصة لمعرفة كيفية حصولهم على الإيمان.. فهل عرفت قصة قبولهم للإيمان؟".

قال محمود: "لقد نسيت أن أحدثك عن هذا الأمر حيث لم يكن لدينا المتسع من الوقت". واستطرد محمود قائلاً: "لقد حدث بينما كانت أمي في المستشفى أن شخصاً ما

شارك مع أختي برسالة الإنجيل وأعطاهما الكتاب المقدس
وحينئذ بدأت أختي تقرأ لأمي من الكتاب المقدس إلى أن
تماثلت للشفاء وقبلت المسيح."

جلس أمين في صمت وهو يستمع لهذه الكلمات. وفجأة
نظر إليه محمود وقال: "حقاً.. لقد قالت لي أمي أنه من
المدهش أن كلاً منا قد أتى للإيمان بطريقة مماثلة. فبالنسبة
لي فكما شارك معي سائق تاكسي يوم دخول أمي
المستشفى فمن الواضح أن هذا حدث تماماً مع أختي
أميرة."

قال أمين بتلقائية: "أميرة؟"

أجاب محمود: "نعم.. أختي أميرة."

سأل أمين ثانية: "وهل هي مؤمنة الآن؟"

أجاب محمود: "إنها مؤمنة ناضجة في إيمانها.. وربما
ما لم تعرفوه أنتم هو أننا كنا نتشارك معاً بكل ما ندرسه
هنا وذلك على مائدة الطعام في المطبخ.. فلقد كان لدينا
كنيسة صغيرة هناك."

بدأ أمين يسترجع أحداث القصة التي سمعها من

محمود وتساءل مع نفسه هل يمكن حقاً أن تكون أخت

محمود هذه هي نفس الفتاة التي اصطحبها في التاكسي

للمستشفى منذ فترة؟!.. فلقد سمع حالاً من محمود... أب...

زوجة ثانية... علاقة علي مع فاطمة.. الرجم.. الابن الأكبر

علي...!! لقد كان أمين غير مصدق!! فهل سمح الله له بعد

كل هذه الشهور الطويلة أن يكتشف أن أحد أعضاء كنيسته

هو شقيق أميرة.

ومن شدة الفرح لم يستطع التحكم في نفسه فقفز فجأة مما أثار انتباه المجموعة فنظروا إليه باستغراب. فقال في حرج: "آه.. لقد تذكرت الآن شيئاً ما يجب عليّ أن أفعله. أنا متأسف فهل تسمحوا لي أن أستأذن؟ سوف أراكم يوم السبت. وتأكد يا محمود أنني أصلي من أجلك ومن أجل عائلتك."

أجاب محمود متردداً: "نعم أشكرك يا أمين." تركهم أمين وهم في حيرة من أمره لكنه لم يبال بهذا. وقفز في سيارته وقادها مسرعاً إلى حديقة تشرين. وعندها أوقف سيارته في مكان انتظار السيارات وأسرع إلى منطقة خضراء في الحديقة وصار يلعب بحركات بهلوانية في الهواء. وعندئذ هتف بفرح وبدأ يصلي: "آه.. يا أبي السماوي الغالي إن ما حدث لا يمكن تصديقه، ما هذه الأخبار العجيبة التي تسمح لي أن أسمعها اليوم. أميرة...!! لقد سمعت اسمها...!! ومن أخوها...!! أنت تعلم يا الله أن حقاً لديك روح فرح. فلم تسمح لي فقط أن أقود أميرة إلى الرب لكن أيضاً أصرح بأخاها في نفس اليوم وأشارك معه رسالة الله. يارب إنك منعم وأمين. أشكرك لأنك علمتني أن أثق فيك وفيك وحدك. فأنت تعلم متى يكون الوقت مناسباً لأن أسمع عنها مرة ثانية.. كم أنا سعيد!"

أخذ أمين يمشي ببطء إلى أن جلس على مقعد قريب واستمر في صلاته: "لكن يارب أنا الآن في حاجة إلى حكمة منك وأنت تقول إنك تعطي بسخاء لمن يطلب لذا فأنا أسألك. ماذا يجب أن أفعل الآن؟ أنا أعرف أن محمود

يعرف أنها مؤمنة وهذا أمر عظيم، لكن الأمر غير العظيم أن محمود لا يعرف شيئاً عني، فماذا يعني هذا؟ ما هذا يارب؟ هل أنتظر أكثر؟ إنني منتظر أنك أليس كذلك؟ والآن أنا أعرف أخاها، فهل أنتظر أكثر؟ هل أنتظر توقيتك؟ حسناً سأفعل.. أشكرك يارب لأنك أعطيتني الأمل فلذا أنا سعيد.. يارب الآن أنا أقترض أنك تريدني أن أعرف هذه الأخبار، كما تريد أن تقول لي إنها ما زالت تفكر في.. حسناً أنا أحبك يارب. ساعدني لأكون إنساناً صابراً. في اسم المسيح أصلي. آمين..

بعدما أبدى كل من محمود وإبراهيم وزوجته عدم اكتراث من تصرف أمين الغريب هذا قضوا وقتاً في الصلاة معاً من أجل عائلة محمود وبالأخص رفعوا صلواتهم من أجل أم علي كي ما يمنحها الرب نعمة خاصة وحكمة حيث أنها أصبحت الآن مرة أخرى الزوجة الوحيدة وعليها أن تواجه زوجها بطريقة جديدة.

صلى محمود طالباً أن يعم السلام في بيته وأن يطلب "علي" الرب حينما يستقر في بيروت. ثم رفعوا صلاة خاصة إلى الله من أجل عائلة فاطمة حتى ما يعزيهم حيث لا يوجد سواه يستطيع ذلك.. صلى محمود أيضاً لكي ما يفتح الرب له مستقبلاً الباب ويذهب لعائلة فاطمة ليقدم لهم التعازي.

تشجع محمود جداً بعد ما قضى الوقت في الصلاة مع اصدقائه، فقرر العودة لمنزله لمواجهة أبيه.. شكر محمود إبراهيم على حسن استضافته وذهب إلى منزله.

شعر محمود بأن حمله الثقيل من الأحداث التي مرت
به في الأيام القليلة الماضية لم تعد تثقل كاهله حيث شارك
بها مع أصدقائه وأصبحوا يحملونها معه.

الفصل الخامس والأربعون

عاد محمود إلى منزله متأخراً هذا المساء وإذ كان يفتح باب المنزل كانت أمه تضع الأطباق على المائدة لتناول طعام العشاء كما أن أباه كان يستعد للجلوس على مائدة الطعام، فلما رأى ابنه الأصغر يهيم بالدخول بادره بالسؤال: "حسناً.. هل وجدته؟"

أجاب محمود: "نعم يا أبي لقد وجدته."
فاستطرد أبوه يقول: "وماذا كان رد فعله؟"
أجاب محمود: "أعتقد أنه قبل العمل بنصيحتك يا سيدي."

قال أبو علي: "حسناً" ثم استطرد يقول وعلى مسامح جميع أفراد العائلة: "إن "علي" قد أصابته نوبة من الجنون وفر هارباً من المنزل ولا يتوقع أحد منكم أن يراه ثانية كما لا يحاول أحد منكم البحث عنه. كما إنني سوف لا أتطرق للحديث عنه أو ذكر اسمه إلى الأبد في هذا المنزل. فإن سألكم أحد عنه فعليكم فقط أن تجاوبوا بما قد سمعتموه مني الآن كما تقولوا إننا مازلنا ندعو الله من أجل نفسه.. هل هذا مفهوم؟!"

حدث هرج ومرج بين جميع الأولاد وعندئذ أجاب جميع أفراد العائلة بما فيهم أميرة وأم علي قائلين: "نعم".
ثم ساد الصمت بين الجميع وقد كانت هذه اللحظة هي أسوأ لحظة في حياتهم. فإنهم لم يعاصروا رجم فاطمة فقط بل أيضاً فقدوا الابن الأكبر في العائلة. لقد شعر الجميع بجرح

عميق جراء هذه الأحداث فلذا فقدوا شهيتهم للأكل. ولحسن الحظ لم يمكث أبو علي طويلاً على مائدة الطعام حيث أنه كان يريد أن يتحاشى مواجهة أفراد عائلته طويلاً، لذا أخبر أم علي بأنه سوف يذهب للنوم مبكراً كما أنه لا يريد أن يزعجه أحد .

وبمجرد أن أغلق أبو علي باب حجرتة بدأ الجميع على الفور في إظهار مشاعرهم المكتومة فنظر الابن الذي يلي علي ويدعى حليم إلى أمه متسائلاً: "يا أمي أخبريني ما الأمر؟.. أين علي؟.. كيف يتجرأ أبي ويتبرأ من ابنه بجرة قلم؟"!!!

أجابت أم علي: "اخفض صوتك يا ابني.. إنه من الأهمية أن لا يسمع أبوك أصواتنا هذه الليلة. وأنا أعلم تماماً أنك متضايق يا حليم كما نحن أيضاً جميعاً ولكن يجب علينا أن نشكر الله فعلى الأقل علي مازال على قيد الحياة وبمقدوره أن يبدأ حياة جديدة."

أجاب حليم في هلع: "ماذا يعود على من إجابتك هذه؟ فإنني الآن يجب أن أخدم أبي كعبد مسلوب الإرادة.. إنه من الأفضل أن أهرب أنا أيضاً من هذا المنزل على أن أخدم كعبد."

قالت أم علي وهي تهدئ من روعه: "لا تضطرب يا ابني من هذا الأمر فلديّ الإحساس بأن أباك لن يطلب منك هذا مثلما كان يطلب من أخيك."

أجاب حليم: "نتمنى ذلك.. فلن أغير شيئاً من نمط حياتي لأجله."

أسرع حليم مندفعاً إلى خارج المنزل بينما تبادلت أميرة ومحمود النظرات بينهما. وعندئذ قال محمود بصوت خفيض: "حسناً لقد كنتما تتوقعان أن يكون أكثر اهتماماً لضياح أخيه بدلاً من اهتمامه بنفسه."

نهرته والدته قائلة: "لا تكونا قساة عليه بهذه الدرجة فأنا متأكدة أن حليم سوف يشعر بالوحشة الشديدة لفقدانه علي وسيكون هذا في القريب العاجل. أما الآن فهو مازال تحت تأثير الصدمة ولم يفق منها."

استأذن الأخوان الأصغران تاركين أم علي وأميرة ومحمود بمفردهم. فقاموا بتنظيف مائدة الطعام وتوجهوا إلى المطبخ حيث شارك معهم محمود ما حدث مع علي في لقائه الأخير به. عندها بدأت تنهمر الدموع من عيني والدته. أما محمود فحاول أن يطمئنهما بقوله لها أن ما حدث مع علي هو الأفضل بالنسبة له كما أن عليهم أن يعترفوا بالجميل الذي صنعه والدهم مع علي حيث أنه أعطاه ما يكفيه من النقود ليقنات بها فترة من الزمن، وإنه على يقين أن علي لو تصرف بحكمة لأمكنه أن يجد وظيفة مناسبة يستطيع أن يعيش من دخله منها في لبنان. ثم قال لهم عن آخر كلماته مع علي وهي أن يبحث عن الله.

أضاء وجه والدته قليلاً عند سماعها لهذه الكلمات وقالت: "شكراً لك يا ابني لأنك انتهرت الفرصة لتمنحه أملاً في الحياة ويجب علينا أن نصلي لأجله حتى ما يضع الرب إلهاً في طريقه مؤمنين بالمسيح ويفتح قلبه لقبول الله."

قالت أميرة وهي تعانق أمها: "نحن نستودعه في يدي الله يا أمي."

كررت أم علي قائلة: "نعم هو في يدي الله ولكني أصلي إلى الله حتى يعترف في قلبه بالجريمة التي اقترفها في حق فاطمة. فإنها هي المأساة الحقيقية في كل هذا." تساءلت أميرة قائلة: "كيف حال عائلتها الآن؟" أجابت أمها: "لا بد وأنهم محطمون وأنا أصلي أن لا يكون فقط موت فاطمة دون تأثير بل أن يستخدمه الله لتغيير حياة الكثيرين قبل أن تفوتهم فرصة خلاصهم." استطرد محمود محاولاً تغيير الحديث فقال: "هل علمت يا أمي أنني ذهبت في طريق عودتي من عند علي إلى صديقي، وقد كانت زيارة مشجعة وجميلة للغاية. فقد قضينا بعض الوقت في الصلاة لأجل عائلتنا ولأجل علي، كما صلينا من أجل والد ووالدة فاطمة. وأنا أعتقد أن هذه الصلاة هي التي تدعمنا نحن الثلاثة في هذه الأيام الصعبة التي نمر بها."

سألت أميرة: "هل حقاً هم يصلون لأجلنا؟" أجاب محمود: "نعم يا أميرة وبالمناسبة كانت لي فرصة اليوم لأشارك مع أمين الرجل الذي قادني للمسيح أنكِ وأمي قد اخترتتما مثلي الحياة الجديدة. لقد أخبرته أننا الآن نحن الثلاثة ندرس كلمة الله ونصلي معاً فبدا مسروراً جداً. كم إنه لشعور خاص وجميل أن يشعر المرء أنه جزء من جسد المؤمنين فيفرح الجميع لفرح أي عضو، كما

يحزن الجميع لحزن أي عضو. وتعرف أنهم معك دائماً في كل ما تمر به في حياتك.. إنه أمر رائع."

شعرت أميرة بأنها مشلولة الحركة لحظة سماعها اسم أمين.. هل حقاً تحدث محمود بخصوصها مع أمين؟.. ماذا يعني هذا؟.. وهل ربط أمين الأحداث ببعضها؟ لقد قال محمود إنه كان سعيداً. فتحت أميرة فمها وقالت: "هل سأل عن أي شيء آخر بخصوصنا؟".

سأل محمود: "من؟".

أجابت أميرة وهي تتقطع في الكلام: "أقصد صديقك أمين."

قال محمود: "لا.. في الحقيقة قفز أمين فجأة وترك المنزل في عجلة وذلك بعد أن أخبرته عنك وعن أمي. لم ندر ماذا طرأ عليه، فقط قال لنا بأنه نسي أن يفعل شيئاً ولقد كنا في غاية الدهشة من تصرفه الغريب هذا ولكننا لم نهتم بذلك كثيراً."

جلست أميرة ومازال فمها مفتوحاً وكانت أم علي تلاحظ أن ابنتها لن تستطيع إخفاء الأمر طويلاً فلذا قالت بسرعة: "أعتقد أن ما سمعته وما اجتزت فيه في يوم واحد يفوق طاقة احتمالي فلذا يجب عليّ الآن أن أذهب إلى فراشي للنوم.. فهل تسمحوا لي؟".

عندها أفاقت أميرة من غفلتها وقالت: "نعم بالطبع يا أمي.. ففي الحقيقة أنا أيضاً منهكة القوة فلذا سأذهب معكِ إلى الفراش."

وهنا تركا محمود داعيتين له بأن يصبح على خير،
وذهبتا لغرفتهما. وبمجرد دخولهما الغرفة بادرت أميرة
أُمها بالحديث قائلة وهي متعجلة: "أمي.. هل سمعت هذا
الكلام؟ هل سمعت ما قاله محمود؟"
أجابتها أمها وهي متذمرة: "بالطبع.. لقد سمعت يا
بنتي، واهدئي الآن..."

قالت أميرة: "لكن يا أمي يجب أن يعرف الآن! يجب
أن يعرف أمين أن محمود هو أخي.. وماذا تعتقدين عن
السبب الذي جعل أمين يتركهم بهذه السرعة بعد أن أخبره
محمود عنا؟"

أجابت أم علي في سخرية: "أنا أعتقد أنه تصرف هكذا
بسذاجه مثلما فعلت أنت تماماً هذا المساء، ولم يستطع أن
يضبط مشاعره!"
قالت أميرة: "لا يا أمي، إن أمين لا يفعل شيئاً بتهور
هكذا."

قالت أم علي موبخة إياها: "اخلدي للنوم يا طفلتي
وكُفي عن التفكير في حبك هذا وصلِّ من أجل أخيك علي
ولأجل عائلة فاطمة."

أجابت أميرة قائلة: "أنتِ على صواب يا أمي، فيبدو
أنني أنانية مثل حلیم تماماً، فمن يعرف ما الذي يمر فيه
علي هذه الليلة.. وليت الله يكون معه. تصبحين على خير يا
أمي."

قالت أم علي وهي تهمس: "وأنتِ من أهل الخير يا
أميرتي."

الفصل السادس والأربعون

استيقظت أم علي صباح اليوم التالي كعادتها لتجهز فنجان القهوة لزوجها قبل ذهابه إلى الجامع لأداء صلاة الفجر. وعندما لم يحضر كعادته إلى مائدة الطعام ذهبت وقرعت بخفة على باب غرفته. وعندما لم تتلق أي رد فتحت الباب لتجد زوجها مازال على فراشه يغط في نوم عميق. ركعت أم علي بحوار سرير زوجها وقالت له بهدوء: "يا أبو علي زوجي، إنه الوقت لتستيقظ وتذهب إلى الجامع."

استيقظ أبو علي ونظر لزوجته وعيناه مملوءتان بالإحمرار من شدة الإرهاق وقال لها: "لا أستطيع يا امرأة، ليس لدي القوة في جسدي التي بها أتمكن من القيام من فراشي هذا."

فقالت أم علي متسائلة: "لكن يا زوجي لم يحدث من قبل أن يفوتك يوم لم تذهب فيه إلى الجامع طوال سنين خدمتك."

قال لها: "لقد قلت لك يا امرأة لا أستطيع الذهاب اليوم، لذا يجب أن تتصلي تليفونياً وتخبريهم بأنني مريض اليوم. وسيقومون بتدبير شخص يقوم بهذا العمل بدلاً مني. اذهبي الآن واتصلي حتى لا تتأخر الصلاة."

أجابت وقالت: "نعم بالطبع سأذهب يا زوجي." رفعت أم علي صلاة سريعة بعد الانتهاء من المكالمات التليفونية ثم رجعت لتخبر زوجها قائلة: "لقد تفهموا الأمر

يا زوجي وسوف يهتمون بأمر الصلوات اليوم. أنا متأكدة
أن أحدهم سيحضر للسؤال عن صحتك."

أجابها قائلاً: "أنا لا أريد أن أرى أحداً اليوم."
سألته زوجته: "ماذا تريد أن أفعل لك؟.. هل تريد
القهوة مع طعام الإفطار؟"

قال لها: "قهوة فقط."

ظل أبو علي مستلقياً على سريره طوال هذا النهار.
ولما اقتربت ساعة تناول الغذاء حاولت أم علي تترجاه
ليخرج من غرفته إلا أن كل محاولاتها باءت بالفشل
والرفض من جانبه. كما رفض التحدث مع أحد من
أصدقائه الذين اتصلوا به ليسألوه عن صحته بحجة أنه غير
قادر على التحدث مع أي شخص.

بدأ القلق ينتاب أم علي بشأن زوجها لذا دخلت إلى
غرفته وسألته: "يا زوجي إنني قلقة عليك. هل استدعي لك
الطبيب؟"

أجابها: "لا.. أنا لست بحاجة للطبيب. فقط أنا متعب
ليس إلا. اتركيني بمفردي ودعيني أستريح. لا تزعجيني
حتى الصباح.. أسمعيني؟"

أجابته في خجل مشوب بالجبين: "نعم.. أنا متأسفة يا
زوجي.. استرح الآن وربما تشعر بتحسن في الغد.. تصبح
على خير.."

أخذ كل من محمود وأميرة يسألان أهمهم طوال ذلك
اليوم عن حالة والدهما فأخبرتهما أم علي أنه كان من
الواضح لها أن حمل الخطية الثقيل أخذ يدمر عقله وجسده

وروحه، فلذا قضوا بعض الوقت معاً في المطبخ للصلاة
لأجله وهنا بدأت أميرة في الصلاة قائلة: "يا الله الحبيب
أنت تعرف كم هو صعب عليّ جداً أن أصلي من أجل
أبي.. إن عقلي الباطن يريد أن ينكر حتى معرفته بل أكثر
من ذلك.. لا أريد أن أعترف بكونه أبي حقاً. ولكنك تمكّني
اليوم لكي أراه بنظرة جديدة وهي أنه في منتهى الضعف
والعجز التام. وأنت تذكرني بأنه بشر مثل باقي البشر الذين
تتغلب عليهم الخطية، فلقد ظل يعيش طويلاً مع الخطية
حتى أصبحنا غير مدرّكين لمدى سيطرتها عليه، ولكن
حين سلم نفسه بالكامل وسمح لنفسه بارتكاب هذه الجرائم
الفظيعة في حق فاطمة وعلي ويبدو أن الشيطان انتصر في
حياته.. يارب هل عندك مخرج له؟ فلقد اختبرت أن الحرية
من الخطية هي في المسيح وأصلي من كل قلبي أن تجعل
أبي يتعرف عليك ليتحرر من الخطية التي أوصلته إلى هذه
الحالة السيئة. يارب أشكرك لأنك تعلمني كيف أحب حتى
الشخص الذي سبب لنا جميعاً ألماً كثيراً. ساعدني لأظهر
له هذه المحبة في طريقة تعاملي معه وأثناء كلامي له.
اجعله يقترب إليك بواسطة يسوع. في اسم المسيح أصلي.
آمين."

عانقت أم علي أميرة بشدة بعد أن انتهت من صلاتها
وقالت لها: "ما أجمل هذه الصلاة يا أميرة فأنا أعلم أن الله
كان مسروراً بهذه الصلاة وسوف يستجيبها. فإنه هو
رجاؤنا."

ذهبت أم علي في صباح اليوم التالي لتدعو زوجها لتناول طعام الإفطار فوجدته جالساً إلى جانب السرير. فقام وتبعها دون أن يتقوه بكلمة واحدة إلى خارج غرفته ليتناول الطعام، ثم ارتدى ملابسه وخرج إلى الجامع دون أن يتقوه بكلمة واحدة. وعلى الرغم من عادته أن يظل في الجامع حتى العشاء إلا أنها فوجئت به يعود إلى المنزل في العاشرة صباحاً. وإذ كانت تقوم بنظافة الصالون نظرت إليه باستغراب قائلة: "مرحباً بك في المنزل يا زوجي.. هل أنت بخير؟ لقد عدت مبكراً اليوم."

أجاب أبو علي بنبرة حادة: "إنه بإمكانني أن أعود إلى المنزل متى شئت."

أجابته: "نعم بالطبع يا أبو علي.. فهل أحضر لك شيئاً لتشرب أو تأكل؟"

أجاب: "لا.. سوف أجلس في الشرفه لفترة وجيزة واطرکيني بمفردي."

قالت أم علي: "حسناً.. كيفما تشاء."
لم تكن أم علي تدرك أن زوجها عاد إلى المنزل في وقت مبكر وذلك ليتقادی الحديث مع زملائه وأصدقائه الفضولين عن معاناته فإن الحديث يسبب له إهانة بالغة لذا فضل عدم التحدث عن هذا الأمر أكثر من اللازم.
ومع مرور الأيام ابتداءً أبو علي يغير من عاداته بالكامل فأصبح يذهب إلى الجامع ساعة الصلاة فقط أو لحضور اجتماعات خاصة ثم يعود إلى المنزل لقضاء ساعات فراغه. لاحظ أصدقاؤه هذا التغيير الذي طرأ عليه

لكنهم اعتقدوا أنه حزين لغياب علي. أما بعضهم فأدرجوه تحت قائمة نعيمتهم اليومية ولكن لم يوجد شخص يدلهم على معلومات أكيدة عن هذا الأمر.

بدأت أم علي تزداد أكثر فأكثر قلقاً عليه، وأن تواجهه بالمنزل لفترات طويلة جعل الضغوط تزداد في الحياة اليومية بالمنزل، إذ لم يكن بإمكانها هي وأميرة ومحمود أن يقضوا فترات العبادة بحرية كما سبق، لذا حاولوا إيجاد لحظات تجمعهم معاً بدلاً من الساعات الطويلة.

وكما كانت أم علي تنمو في إيمانها بالمسيح وتقرأ أكثر وأكثر من الكتاب المقدس، زاد تصميمها أكثر على أن تظل أمينة بجوار زوجها. فمن الفقرات التي قرأتها وتلامست مع قلبها وعقلها وقد كان لها أكبر الأثر على تفكيرها وأيضاً تتفق مع ظروفها ما قرأته في رسالة بطرس الرسول الأولى والتي تقول: "كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة. ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف. ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادي الذي هو قدام الله كثير الثمن."

حفظت أم علي كلمات هذه الفقرة عن ظهر قلب وبدأت تحاول إيجاد طرق تُظهر بها من خلال سلوكها أن الله هو المتحكم في دفة حياتها. وذات ليلة بينما كانت تصلي شعرت بإحساس من الله أن من واجبها أن تتحدث مع

زوجها بخصوص ما يحدث في حياته. وكانت تدرك تماماً مدى خطورة هذا الأمر، حيث لم يسبق لها طوال سنين زواجهما أن واجهت زوجها بخصوص أي موضوع، ولكن في هذه المرة كانت تريد مواجهته لإسعاده وليس للاختلاف معه.

في اليوم التالي بعد عودة أبو علي من صلاة الفجر، ذهبت إليه حيث كان يجلس في الصالون وبدأت حديثها معه قائلة: "زوجي.. هل يمكنني أن أتحدث معك؟". أجابها ببرود قائلاً: "إذا كان الأمر يستدعي ذلك". قالت: "أنا أعرف مدى صعوبة الأسابيع الأخيرة على نفسك. إن أصدقاءك يسألون باستمرار في الفترة الأخيرة عن صحتك وحالتك العامة. وكم أكون سعيدة عند ردي على الهاتف لأخبرهم أنك بخير وتقوم بواجباتك في الجامع كما كنت تفعل دائماً. وبالرغم من أنه يوجد أشخاص يفتقدونك بشدة ويفتقدون صحبتك الممتعة لهم أثناء فترات النهار، فأنا أجد صعوبة في الرد على هؤلاء الأشخاص، فهل من كلمات تريدني أن أقولها لهم تكون أكثر تعبيراً عن مشاعرك تجاههم؟".

ساد الصمت بينهما وكأنه دهر من الزمن ثم نظر إليها فجأة وقال: "هل حقاً تعتقد أن أصدقائي يفتقدونني؟". صُدمت أم علي لمثل هذا السؤال وحاولت أن تستعيد ثقته في نفسها لتجابه قائلة: "بالطبع يا زوجي.. أنا أعلم أن هناك الكثيرين يقدرون حكمتك ويستمتعون بقصصك،

فإنك رجل ذو مواهب كثيرة وتتمتع بسرعة البديهة ودائماً
لك صحبة من الرجال الذين لهم نفس صفاتك الحميدة ."
جاوبت أم علي بهذا الرد المخلص حيث أنها تذكرت
كيف كان زوجها يجذب انتباه جميع الرجال الذين كانوا
يزورونهم في بيتهما في السنين الأولى من زواجهما. فهو
إنسان حكيم في أمور الدين ويستطيع الرد على أي سؤال
يوجه له. كما أنه كان روائياً رائعاً في سرد القصص، كما
أنها كانت غالباً ما تضع أذنيها خلف باب المطبخ لتسترق
السمع لرواياته الجديدة. ومع قدوم الأطفال وبمرور السنين
أصبح أبو علي يقضي فترات أقل بالمنزل وزاد خروجه
من المنزل حتى وجدت نفسها في اشتياق لسماع صوته.
لقد نسيت هذا الوقت حيث أنه مر عليه زمن طويل.
وقبل أن يتمكن أبو علي من الرد عليها وجدت أم علي
نفسها تستمر في الحديث قائلة: "هل تذكر يا زوجي القصة
التي كنت دائماً تقصها علينا عن الصعيدي وحماره؟ كم
أضحك كثيراً عندما أتذكرها" ثم ابتسمت أم علي ابتسامة
عريضة لم تبتسمها من قبل.
نظر إليها زوجها بنظرة جديدة لم تعهدها أم علي من
قبل وقال: "نعم، فأنا لم أفكر في هذا من سنين.. هل مازلت
حقاً تذكرينها؟".
قالت بملاطفة متجددة: "نعم.. بالطبع فأنا أتذكر جميع
قصصك فلا يوجد أحد يستطيع أن يسرد القصص مثلك."
قال بنبرة حزينة: "يبدو وكأنه دهر مضى.. لقد تغيرت
أشياء كثيرة..".

قالت أم علي: "ولكن القصص دائماً تجلب الضحك حتى في الأوقات الصعبة يا زوجي.."..
أجاب وقال: "نعم كم كانت الأوقات صعبة جداً وقتها إن كنت تتذكرين.. فلقد كنا فقراء جداً، وعندما تزوجتك كنا معدمين.."...

أضافت قائلة: "ولكننا دبرنا أمرنا.."..
قال وهو ينظر إلى عينيها: "لقد كنت دائماً الزوجة الصالحة يا إيمان، إن اسم إيمان يعني الثقة.."..
وكانت هذه هي المرة الأولى منذ ثلاثين عاماً التي سمعت فيها اسم إيمان، فلقد لُقيت بأم علي بعد ولادة علي مباشرة ولم يعاملها زوجها أبداً برومانسية أو بعاطفة، ولذا كان نادراً ما يدعوها باسمها..
إن هذا التغيير المفاجئ جعلها مذهولة تماماً، حاولت أم علي أن تستعيد كينونتها وأجابت: "أنا أحاول أن أفعل واجبي.."...

سألها بكل جدية: "هل الأمر بالنسبة لك واجب فقط؟"..
سألته بكل جراءة: "هل تريدني أن أقول لك الصراحة؟"..
قال: "نعم.. من فضلك قللي.."...

فبدأت تقول: "عندما تزوجنا كان من الصعب عليّ أن أعرفك، لكن أُمّي علمتني كل ما هو ضروري لخدمتك كزوجة، فلقد كنت غالباً ما أطيعك وأسدد احتياجاتك كواجب أؤديه من ناحيتك ولم أكن أعرف معنى الحب. ومع مرور السنين أصبحت أدرك وأقدر الصفات الحسنة

التي رأيتها فيك وبالأخص القصص التي كنت تقصها، فقد جعلتك أكثر جاذبية بالنسبة لي وكم جعلتني أضحك كثيراً.. وكم أنا نادمة على أي حال حيث أنه مع قدوم الأطفال في حياتنا انشغلت معظم وقتي في تربيتهما وأصبحت أنت تقضي أوقاتاً طويلة خارج المنزل، لقد افتقدتك كثيراً. لم تسدد الأطفال كل احتياجاتي كامراً. لا أدري إذا كان هذا يعني أنني أحبك.. فإذا أنا فعلاً أحبك..".

ثم توقفت عن الحديث وسألته قائلة: "هل أستمري في الحديث؟"

قال لها ببساطة: "نعم.. استمري."

انتهزت الفرصة وقالت: "يا محمد لقد كسرت قلبي يوم اتخذت لك زوجة ثانية. ربما كان هذا أكبر دليل على حبي لك. لم أدرك ما الذي فعلته لأستحق منك كل هذا. هل بعد كل هذه السنين التي عشناها سوياً، أصبحت بالنسبة لك مجرد خادمة في المنزل؟"

قال فجأة: "كفى."

رجعت أم علي إلى الخلف قليلاً خوفاً من أن يلطمها أثناء ثورته هذه. لكنه بدلاً من أن يفعل هذا وضع رأسه بين يديه وبكى. فوجئت أم علي به يبكي فأسرعت وركعت على الأرض ووضعت يديها على ركبتيه. فقال لها وهو يبكي: "سامحيني يا إيمان.. لا.. إنك لا تستحقين أبداً كل ما فعلته معك. ولا أدري كيف تحملتيني كل هذه الشهور الأخيرة؟!!"

أدركت أم علي أن هذه كانت مخاطرة، ولكنها أيقنت أن الله قد فتح الباب ولذلك لم ترد أن تتراجع الآن. أجابت زوجها وهي تحاول أن تهدئ من روعه قائلة: "إن الله وحده هو الذي أعطاني القوة يا زوجي، لقد كان معيني ورجائي."

قال وهو يجهد بالبكاء: "إني رجل تعيس يا إيمان.. لقد قتلت وجرحت وكرهت حتى لم يبقَ فيَّ أي شيء، ولهذا لم أستطع مواجهة أصدقائي منذ موتها." قالت له: "يمكنك أن تبدأ من جديد يا محمد. سوف يمنحك الله فرصة ثانية. فلن يتخلى الله عنك. ولا أنا أيضاً." قال متسائلاً: "هل تعتقدين هذا؟"

أجابت: "أنا أعلم هذا.." ثم اتكأت برأسها على رجليه بينما هو يتحسس شعرها الأسود الناعم بيديه. وهنا شعرت أم علي وكأنها في حلم جميل حتى سمعت فجأة صوت باب المنزل يُفتح فرفعت رأسها بسرعة لتتظر، وقفز زوجها بسرعة وذهب إلى الحمام، ثم بدأت أم علي تقوم ببطء وهي تلاحظ نظرات الفزع في عيني ابنها محمود.

الفصل السابع والأربعون

أسرع إليها محمود وهو يحدق النظر فيها متسائلاً: "أمي.. ماذا يحدث؟.. هل أبي بخير؟.. هل أنت بخير؟"

قالت ضاحكة: "نعم يا ابني إن الله يتعامل مع أبيك!"

أجاب وهو لا يصدق ما سمعه: "حقاً.. يا أمي..!!!"

قالت والدموع تملأ عينيها: "نعم.. حقاً."

ثم استطردت تحته قائلة: "اذهب الآن، اختف في

غرفتك قليلاً حتى يستعيد أبيك هدوءه الذهني قبل مواجهة أي من أبنائه."

قال وهو متردد: "حسناً يا أمي، ولكن أريد أن أسمع

منك ما حدث ولكن فيما بعد."

قالت: "سوف أخبرك يا ابني،.. اذهب الآن!"

عاد أبو علي من الحمام وقد بدا عليه الانتعاش وهدوء

الأعصاب، نظر إلى زوجته نظرة تساؤل ودون أن يتفوه

بكلمة أدركت أنه يسأل عن رد فعل محمود. غمرت بعينيها

وبابتسامة خفيفة وكأنها تقول: "لا تقلق فهو لم يلحظ أي

شيء."

ثم قال بصوت عالٍ: "أنا ذاهب الآن لفترة وجيزة فلا

تنتظروني على الغذاء لكن أريد عشاء دسماً" ثم غمز

بعينيها لها بابتسامة وترك المنزل.

شعرت أم علي وكأنها في غيبوبة فجلست في مكانها

ولما أطلت أميرة برأسها من المطبخ صاحت: "أمي.. ماذا

حدث في الدنيا أنا لا أستطيع أن أصدق ما حدث لأبي!"

استعادت أم علي وعيها وأجابت: "لكن يجب عليك أن تصدقي يا ابنتي لأن الله صنع اليوم معجزة في بيتنا." سمع محمود صوتهما من داخل غرفته فأسرع مهرولاً وقال: "أمي.. أمي.. أخبريني ماذا حدث اليوم؟". قالت أم علي ضاحكة: "حسناً.. أنتما هنا لذا دعونا نجلس في المطبخ لأحكي لكما كم هو صالح الله." وبينما هم يحتسون الشاي ويأكلون بعض المخبوزات بالعجوة شاركتهما أم علي بالحديث الذي دار بينهما وبين أبيهما لكن لم تسرد كل التفاصيل إذ رأت أنه من المخل لها أن تسرد هذه التفاصيل، ولكنها قالت لهم أهم ما دار في الحديث بينما كان صوتها يعبر عن الفرح والابتهاج. جلست أميرة ومحمود يسمعان أمهما وهما في ذهول، ليس فقط مما كانت تقوله بل من التغيير الذي طرأ فجأة على أمهما. فهي تبدو الآن وكأنها فتاة في المدرسة تمر بدور المراهقة تحكي لهما أول قصة حب لها. وهم لم يروا أمهم في هذه الحالة من قبل. كما أنها هي نفسها لم تختبر هذا الإحساس من قبل ولكنها الآن تشعر بسعادة غامرة مما حدث.

طلبت أم علي من أبنائها أن يستمروا في الصلاة من أجل والدهم، فعلى الرغم من أن ما حدث يعتبر طفرة في حياة والدهم ويدعو إلى الفرح والابتهاج إلا أنه مازال بعيداً عن المسيح ولم يعرف بعد عن إيمانهم الجديد. وإن الطريق طويل أمامهم حيث أن هذه هي نقطة البداية.

ودّع محمود الامراتين وفي سعادة غامرة ترك المنزل
مسرعاً لحضور اجتماعه الأسبوعي في بيت إبراهيم.
وبينما كان يهيم للخروج قالت له أميرة: "من فضلك يا أخي
أخبر صديقك أمين بأننا مدينون له بالشكر على ما فعله في
حياتك وأطلب منه أن يصلي لأجلنا."

أجابها: "حسناً يا أميرة.. سوف أفعل ذلك."
وبعد أن أغلق محمود باب المنزل نظرت أميرة إلى
أمها التي كانت تقف مبتسمة فقالت أمها لها: "إنك مخادعة
يا بنتي."

أجابت أميرة: "كفى يا أمي."
فاستطردت أمها تقول: "يمكنك مساعدتي اليوم لتجهيز
عشاء فاخر". تنهدت أميرة: "إنه أمر عظيم يا أمي."
لم يستطع محمود أن يتمالك نفسه وهو يدخل منزل
إبراهيم حيث كانت المجموعة جالسة متأهبة لبداية فترة
العبادة فقال: "إبراهيم.. يجب أن تعطيني اليوم فرصة
لأشارك المجموعة باختبار لي.. فقد حدث معي شيء
رائع."

قال إبراهيم: "بالطبع يا أخي محمود يجب أن تشاركنا
بعد أن نقضي وقتاً وجيزاً في الصلاة."
جلسوا في الصالون واشتركوا جميعاً في الترنيمة التي
تقول :

"أنت عظيم.. عظيم.. عظيم يا الله
عظيم في محبتك
عظيم في أمانتك

عظيم في تحريرك عظيم أيضاً في شفائك"

أخذ محمود يرسم من أعماق قلبه وهو يقر بعظمة الله في حياته وأنه يسمح له بأن يشهد عنها وعما يحدث من أشياء رائعة في حياة أسرته.

عندما دُعي محمود للمشاركة مع المجموعة بدا على وجهه ابتسامة عريضة وبدأ يقول: "لا أعرف كيف أبدأ مشاركتي لكم عما حدث معي في الشهور الأخيرة الماضية. لقد أنعم الله عليّ بأشياء كثيرة فأول شيء أنني عرفت سلام المسيح في حياتي لأول مرة وليس هذا فقط بل أيضاً عرفت أن أمي وأختي أصبحتا مؤمنتين بالمسيح، وبدأنا نحن الثلاثة نقضي معاً خلال الشهرين الماضيين أوقاتاً في قراءة الكلمة والمشاركة معاً في الصلاة، وهذا أكثر جداً مما كنت أتوقع أو أحلم أن يحدث معي. وبالرغم من هذا ظل الظلام يملأ أرجاء منزلنا حيث ظل الشيطان ممسكاً بقبضة معظم أفراد عائلتنا. ونتيجة لهذا فقد اجتزنا ظروفًا قاسية منها موت زوجة أبي الثانية ثم نفي أخي الأكبر خارج البلاد. ولم يعد أحد يعلم كيف يتسنى لنا أن نعيش في ظل هذه السحابة السوداء التي كانت تخيم على منزلنا.

لكن وسط هذا الظلام الدامس رأينا نوراً عظيماً فاليوم فقط، أبي - وهو مصدر معظم المتاعب لنا- بدأ ينفث على أمي بطريقة لم نعهدها من قبل. فبدأ أمامها رجلاً حزينا، منكسراً، متعباً ولا يعرف إلى أي اتجاه يذهب. إنها صلاتنا

من أجله حتى بعد ما وصل إلى قاع المستنقع يبدأ في التحول ليبحث عن الله.

وعلى الرغم من أن ما حدث يعتبر نقلة كبيرة في حياة أبي إلأ أننا مازلنا في حاجة لصلواتكم أكثر بكثير من أي وقت مضى. صلوا بالأكثر من أجل أمي ليعطيها الله الحكمة التي بها توصّل رسالة المسيح لأبي. صلوا لأجل أختي أميرة ولأجلي حتى ما نستطيع أن نحيا حياة النور أمامه. صلوا حتى ما يلمس الله قلب أبي ويقبل المسيح... أشركم كثيراً لأنكم أصبحتم أهلي وسندي طوال هذه الأيام العصبية."

وقف إبراهيم بعد أن انتهى محمود من شهادته ليتكلم فقال: "أخي أمين.. من فضلك ارفع صلاة من أجل محمود وعائلته. إن ما ذكره محمود لأمر مهم جداً، ولا نريد أن نأخذ هذا الموضوع ببساطة، فمن الواضح جداً أن الله يتعامل مع هذه الأسرة وهم بحاجة إلى مساندتنا." أحنى أمين رأسه ورفع صلاة من أعماق قلبه: "أبانا السماوي الغالي أنت القدير والجبار لقد اخترت أن تظهر لنا محبتك بطرق عجيبة. نشكرك يارب على ما فعلت في حياة أختينا محمود وفي حياة أسرته. نحن نرفعهم جميعاً أمامك الآن. نطلب منك أن تضع ملائكتك حول محمود وأمه وأخته لحمايتهم وهم يعملون مرضاتك وسط أناس لا يعرفونك. امنحهم حكمة وقوة. كن مع الأم بصفة خاصة حيث تحتاج لحكمة في تعاملها مع زوجها.

يارب أنت وحدك تعرف أعماق الإنسان وأنت وحدك
تعرف ماذا يحدث في قلب أبو محمود الآن، وأنت الوحيد
الذي تستطيع أن تلمس نفسه لتحضره لمعرفتك. نحن
نصلي الآن في اسم المسيح أن تتلامس مع قلبه وتكسره
أمام الصليب حتى يدرك أنه الطريق الوحيد لخلاص نفسه.
يارب نحن نعلن نصرتك في المسيح في هذه العائلة. نحن
نثق أنك تعمل فيهم وسوف تفعل أموراً عظيمة أكثر. اشفِ
جروحهم بدم المسيح. في الاسم الغالي أصلي آمين."

كانت عيون محمود مغروقتين بالدموع أثناء صلاة
أمين فكانت تعني بالنسبة له الكثير أن يصلي أحد من أجله
ومن أجل عائلته، كما كانت الدموع تملأ عيون أمين، حيث
كان يتوق أن يتحدث مع أميرة عن كل ما يدور في بيتها
هذه الأيام، ولقد زاد اشتياقه لها لدرجة يصعب معها التعبير
عن هذا الأمر، لذا رفع صلاة صامته لتؤول هذه الأخبار
السارة في النهاية إلى فتح الباب لهما لرؤية بعضهما
البعض.

الفصل الثامن والأربعون

بذلت أميرة وأمها جهداً كبيراً عصر هذا اليوم لتجهيز عشاء خاص جداً لأبو علي، الأمر الذي لو كانوا فعلوه في أي يوم آخر لشعرت أم علي بإرهاق شديد إلا أنها أخذت تستغل هذا اليوم بقلب مشرق وروح معنوية مرتفعة مما جعلها تستمتع بوقتها بالمطبخ. كما تبادلت هي وأميرة الضحك والحديث معاً أثناء تقطيع الخضروات وطهي أنواع كثيرة من الأطباق الشهية. وفي نهاية اليوم كانوا قد قاموا بإعداد وليمة للملك.

دخل أبو علي المنزل فبدأوا على الفور في وضع الطعام على المائدة. كان أبو علي يشعر بالإرهاق الشديد لكثرة الأسئلة التي طرحها عليه أصدقاؤه وزملاؤه. كان يشعر وكأن أحداث الأسابيع الماضية تتجدد من جديد، لذا كان ينوي اللجوء إلى فراشه للنوم دون تناول الطعام. خرجت أم علي من المطبخ فور سماعها صوته أثناء دخوله المنزل وحييته قائلة: "مرحباً.. أبو علي، أثق أنك قضيت يوماً سعيداً."

أجاب قائلاً: "أنا في شدة الإرهاق وأعتقد أنني سأذهب للنوم مبكراً."

قالت أم علي وهي محبطة ولكن تتلاشى إثارته: "آه.. يا زوجي لقد أعددت لك وجبة خاصة جداً للعشاء، ولو ذهبت للنوم دون عشاء سوف تصحو بنفس حالتك، فمن

فضلك انتعش قليلاً ثم حاول أن تتناول قليلاً من هذا الطعام قبل النوم."

قال وهو مضطرب: "حسناً.. كما تشاءين."
وبينما ذهب أبو علي إلى الحمام أسرعت أم علي إلى المطبخ وقالت للأميرة: "يا بنتي يجب أن تضعي الطعام فوراً على المائدة. إن أباك في شدة الإرهاق وليس لديه شهية للأكل. وأتمنى لو نستطيع أن نرفع من معنوياته بالأكل الشهي والحديث الدافئ معه.. أسرعي من فضلك."
أجابت أميرة: "حاضر يا أمي."

أسرع كل منهما في وضع الأطباق على المائدة بطريقة جذابة قبل خروج أبو علي من الحمام. وبدأ الأولاد في الجلوس حول المائدة. وقالت لهم أم علي أن لا يبدؤوا في الأكل قبل أن يأتي والدهم إلى المائدة .
خرج أبو علي من الحمام وبدأ عليه الانتعاش بعد أن أخذ حمامه. وبمجرد أن وقعت عيناه على مائدة الطعام أخذه الذهول من فرط محبة زوجته الغامرة التي أظهرتها بإعدادها لهذه الوجبة الدسمة لزوج لا يستحق منها أي حنان أو مودة فقال متعلثماً: "أنا لا أعرف ماذا أقول لك فلمن قمت بتجهيز هذه الوليمة؟".

أجابت أم علي: "لك يا زوجي.. فأنا أعلم كم هي صعبة عليك هذه الأيام لذا أردت أن أرفع معنوياتك بوجبة دسمة خاصة جداً تتناولها مع أولادك."
أخذ يهمهم بينما كان يجلس على المائدة قائلاً: "نعم..
نعم... شكراً لك."

لم تستطع أم علي وأولادها إلا أن يشخصوا إلى والدهم وظلوا يراقبونه وهو يغرف في صحنه من جميع أصناف الطعام ويتذوق هذا الطعام الممتاز ومع كل قضة من هذه الأصناف بدأ يتغير وجهه بإشراقه معبراً عن مشاعره، كما بدأ حمله الثقيل يتبدد. وبعد فترة من الصمت رفع عينيه لينظر أسرته فوجدهم جميعاً شاخصين إليه بعيونهم ففعل شيئاً لم يعتادوا عليه.. وهو أنه ضحك!! وقال لهم: "إن منظركم مضحك للغاية!! ألا تأكلون من هذا الطعام الشهى أم أنكم شبعتم لمجرد النظر إليه؟ يا له من طعام طيب أستطيعه كثيراً! لم أذق مثله من سنين طويلة.. ولا حتى في رمضان!! أنا أشعر اليوم كأنى ملك!"

ضحك الجميع وأخذ كل منهم يستمتع بطعامه وأكلوا في فرح. استطرد أبو علي يقول: "أميرة يا بنتي.. هل ساعدت أمك في تجهيز هذه الوجبة؟"

أجابت بتردد: "نعم... يا أبي."

قال لها: "إذاً فأنا متأكد من أن زوجك سيكون رجلاً سعيداً جداً حيث أنك تعلمت كل هذا وأنت مازلت صغيرة."

قال محمود ضاحكاً: "إن شاء الله."

واستطرد أبو علي يقول: "والآن يا محمود يا ابني لو أنت محظوظ سوف تجد زوجة مثل أمك وأختك وما كنت تسخر هكذا منهما الآن."

أجاب محمود: "بالطبع يا أبي.. فأنا لم أقصد أبداً أن أسخر منهما فأنا أدعو الله كل يوم أن يعطيني زوجة صالحة مثلهم تماماً."

قال أبوه: "أنت تفعل حسناً إن كنت تدعو الله أن يهبك زوجة صالحة فإنه من بركات الله أن يهبنا امرأة صالحة."

أجاب محمود: "حقاً يا أبي."

استمر الحديث بين الأب والأولاد طوال فترة العشاء وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتبادلون فيها الكلام بكل حرية وبصفة خاصة على العشاء. ظلت أم علي هادئة وتلاحظ وتسمع الحديث وهي تشكر الله في قلبها على نجاحها في صنع الطعام وفي التغيير الذي حدث في زوجها. لم تستطع أن تكتم فرحتها. وعندما انتهى أبو علي من الأكل وقف قائلاً: "الحمد لله لأجل هذه الوجبة ولأجل عائلتي لقد رفعت معنوياتي هذه الليلة. سوف أحتسي القهوة في الصالون أشكر.".

بعد أن ترك أبو علي مائدة الطعام متوجهاً إلى الصالون ظل الجميع جالسين ينظرون بعضهم لبعض غير مصدقين ما يحدث. وفجأة قطع حليم صمتهم وقال: "ماذا حل به؟.. لا أدري؟.. لم أره أبداً من قبل في مثل هذه الحالة؟".

أجابت أم علي بسرعة قائلة: "يجب أن نشكر الله على الأشياء الحسنة التي نراها بدلاً من أن نستجوب حكمته. والآن يا أولادي اذهبوا واجلسوا مع والدكم وسأحضر القهوة هناك."

وبمجرد أن دخلت أم علي المطبخ أخذت تعانق أميرة وأمسكت بيدها ورفعت صوتها تصلي: "شكراً لك يارب لأجل هذه الأمسية الرائعة. شكراً لك لأنك طيبت خاطر

زوجي ولأنك باركت عائلتنا. اعطنا الحكمة أكثر من كل الماضي لنعرف كيف نحبه كما تحبه أنت. في اسم المسيح. آمين."

قالت أميرة: "لقد كان رائعاً حقاً.. أليس كذلك يا أمي؟". أجابت: "نعم يا بنتي فأنا لم أختبر مثل هذا الفرح من قبل وخصوصاً وأنا أسمع والدك يتكلم معكِ بهذه الطريقة.. هيا اسرعي الآن وقدمي لهم القهوة."

جلس أبو علي مسترخياً في الصالون بين أبنائه وأراد محمود أن يستمر الحديث كما كان على المائدة. أما رمزي كان مشغولاً يفكر في دراسته لذا لم يفضل الجلوس وقتاً طويلاً بجوار والده في الصالون فاستأذن قبل أن تقدم أميرة القهوة وقال: "هل تأذن لي يا أبي بالانصراف حيث يجب عليّ أن أذهب لأستذكر دروسي."

سقط وجه أبو علي وقال: "تدرس..؟ لماذا؟ ألا يمكنك أن تجلس وتشرب فنجان القهوة مع أبيك وإخوتك؟".

أجاب رمزي وهو يترجى أباه قائلاً: "ليتني أستطيع يا أبي، ولكنني سأبدأ الامتحانات النهائية لهذه السنة الدراسية بعد أسبوع واحد فمن فضلك اسمح لي."

أجاب أبو علي: "حسناً.. اذهب إذاً يا ابني."

وبمجرد خروج رمزي ذهبت نضارته وبدا على وجهه التعب والإرهاق من جديد. وقد لاحظت أم علي هذا بينما كانت تقدم له القهوة فبادرته بالسؤال: "هل أنت بخير يا زوجي؟".

أجابها: "أنا بخير ولكن لا أريد الجلوس هنا لذا اذهبوا جميعكم وسأذهب أنا للنوم.. تصبحون على خير."

أجاب الجميع: "تصبح على خير يا أبانا."
ذهب الأولاد إلى غرفهم الخاصة بينما تسلك محمود إلى المطبخ ليتحدث إلى أمه وأخته متسائلاً: "ألم تكن أمسية رائعة؟!"

أجابت أمه: "نعم ولكنني تضايقت عندما رأيته مرهقاً من جديد وهو يدخل غرفته."
أجاب محمود: "أنا أعرف يا أمي.. لقد أفسد رمزي كل شيء."

قالت: "لا.. لا تلم أخاك يا ابني.. فبدون المسيح لا يستطيع أبوك أن يحتفظ بفرح القلب لفترة طويلة. فهو مازال يحمل أحمالاً ثقيلة على كتفيه. دعونا نقوم بدورنا معه لنساعده في رفع معنوياته وإظهار محبة الله له على الرغم من خطاياه."

أجاب محمود: "إنك على صواب يا أمي.. من الأفضل أن أذهب لأنام الآن... تصبحون على خير."
قالت أميرة وأمها: "وأنت من أهل الخير..."

الفصل التاسع والأربعون

على الرغم من أن أبو علي ذهب إلى فراشه في غرفة نومه الخاصة به، إلا أنه بدأ يسترجع أحداث هذا اليوم. وأول ما دار في ذهنه هو الحديث الذي دار بينه وبين زوجته. وكلما استرجع تفاصيل هذا الحديث كان يشعر بالصدمة تجاه كلماته وتصرفاته معها إذ أنه لم يسمح لنفسه أبداً من قبل أن ينكشف أمامها هكذا بصراحته هذه. فما الذي استثاره لكي يفعل هذا الآن؟! ربما الإرهاق الشديد هو الذي دفعه لهذا الفعل. وماذا عن تصرفه هذا على مائدة العشاء؟ لقد اعترف أن الطعام كان رائعاً وأنه حقاً استمتع بالحديث مع أبنائه. فلم يتذكر أنهم تحدثوا معاً بهذه الحرية من قبل.

هل كل ما حدث كان صواباً؟ كانت هذه الأفكار والتساؤلات تدور بذهنه مع مقارنة ما حدث هذا اليوم مع عائلته بكل السنين الماضية. أليس من الأفضل جداً أن يقضي يوماً بدون مشاحنات وغضب وكراهية؟! ولكن هل تعامله مع أبنائه بأكثر رقة وعطف وكأب متفهم سيقبل من شأنه أمام أبنائه؟!

وعندئذ اتخذ أبو علي قراره في هذه اللحظة من حياته أنه يريد أن يقضي آخر أيام عمره في سلام وانسجام مع عائلته. أو ليس من الأفضل أن يتذكره أبنائه كأب محب بدلاً من أب مرعب ومخيف؟ وما الضرر في هذا؟.. لقد

كانت أمسية سعيدة حقاً هذا المساء ونحن نتناول الطعام في
مرح وسعادة نتبادل الضحك.

لكن ربما تستغل زوجته موقف اللطيف معها فتبدأ في
طلب أشياء كثيرة وكذلك حقوقها منه... أو لا يعرفها جيداً
فإنها ليست هكذا.. فقد قالت بنفسها إنها تحبني.. هل هذا
معقول؟ كيف يتسنى لها أن تحب إنساناً مثلي؟ وما أن بدأ
يفكر في إيمان لم يستطع كبح جماح مشاعره الحارة
نحوها. فكم من سنين طويلة مضت وكأنه أعمى لا يرى
جمالها وروحها الهادئة بل يرى ويعرف فقط أنها أم أولاده.
لقد كان يتطلع دائماً ويتوق إلى شابة صغيرة ولكن حتى
فاطمة لم تُشبع رغباته ونزواته مطلقاً. فلربما زوجة واحدة
مخلصة ومحبة وحكيمة أفضل بكثير من زوجات كثيرات
صغيرات لكنهن غيبات. لكن هل ستوافق إيمان على دخول
غرفتي مرة أخرى؟ هل أتجرأ وأطلب منها هذا؟ ربما
يكون من الأفضل أن نستمر منفصلين هكذا.

ظل أبو علي وحيداً يناجي نفسه في غرفته طوال الليل
إلى أن اتخذ قراره بدون أن يعرف سبباً لقراره هذا إلا أنه
فضّل أن يستمر بيته في هذه الحالة الجديدة وكذلك أراد أن
تعود زوجته إلى غرفتهما الخاصة بهما. كما أراد أن يعيش
السنين الباقية من عمره في جو من السلام العائلي ومحاطاً
بأولاد يحبونه ولا يخشونه.

لقد أضاع هذه الفرصة مع علي ابنه كما لا يستطيع
استعادة هذه العلاقة مرة أخرى لكنه لديه أبناء آخرون،
وابنته أميرة، فماذا يستطيع أن يفعل معها؟ إنها تحيا حياة

منعزلة تماماً مع والدتها. هل هي متأهبة للزواج؟ ماذا يستطيع أن يفعل معها لجعلها تحبه؟ يجب أن يفكر جلياً في هذا الأمر.

ومع كثرة الأفكار التي دارت برأسه استغرق أبو علي في نوم عميق، وفي منتصف نومه رأى أبو علي نفسه في حلم وهو يسير في حقل ويبدو أن هناك عاصفة دمرت على التو النباتات من حوله فبدأت تجف بسرعة، وفجأة رأى رجلاً يبدو وأنه الفلاح مقبلاً إليه وقال له: "قد أهملت هذه المحاصيل فلذا لم تعطك أي ثمر حيث أن عاصفة واحدة تكفي لتدمير المزروعات بالكامل. أما بالنسبة لمزروعاتك فما زال هناك رجاء حيث أنها لم تُفقد بالكامل. فاهتم بمزروعاتك برفق وشفقة، وسوف تزدهر وتترعرع نتيجة لهذا، وسوف يرسل الله الغيث لمن يتعب ويجتهد في حقله كما ستحصل محصولاً جيداً نتيجة لتعبك هذا.

استيقظ أبو علي من نومه صباح اليوم التالي وما زال الحلم عالقاً بذهنه. ماذا يعني هذا الحلم؟! حينئذ أدرك أن الحلم له ارتباط وثيق بما كان يدور في ذهنه الليلة الماضية. وأن المزروعات هي أبناؤه وعائلته ولكم تدهورت نتيجة لقضائه فترات طويلة خارج المنزل. لقد عانوا كثيراً بقدوم فاطمة وارتكاب جريمته الشنعاء معها. كما لم يسبق له أن أظهر لعائلته الحب الذي يحتاجونه للنمو والازدهار .

لقد قال الله له بوضوح أنه بحاجة لأن يكون أباً أكثر حباً. ابتسم أبو علي حيث أن هذا الحلم زاده تأكيداً على أن قراره الذي اتخذه قبل نومه كان صواباً.

فهل كان الله حقاً يسمعه؟ هل حقاً يتوقع الله هذه المعاملة من كل الآباء؟ لم يكن هذا هو التعامل الطبيعي في كل البيوت التي كان يعرفها، لقد كان من النادر جداً أن يرى هذا في بعض البيوت وعندها كان يشعر بالغيرة كلما رأى محبة الأبناء لوالدهم. نعم إنه سيحاول من الآن فصاعداً أن يظهر الحب والاهتمام لعائلته فإنه يريد أن يستمتع بباقي أيام عمره على الأرض . وهكذا بدأ أبو علي يومه ويملاه إحساس بالنشاط والحيوية وهو يترك غرفته.

الفصل الخمسون

حيّت أم علي أبو علي بحرارة بينما كان يهم بالجلوس إلى مائدة الطعام ليتناول وجبة الإفطار قائلة: "صباح الخير يا أبو علي أتمنى أن تكون قد أخذت قسطاً وافياً من النوم." أجابها قائلاً: "صباح الخير يا إيمان حقاً لقد نمت نوماً عميقاً" وإذ لم يكن أي من الأبناء قريباً منهم مال نحوها وقال بصوت منخفض أشكرك ثانية على وجبة العشاء اللذيذة ليلة أمس. لقد كانت أمسية رائعة حقاً.

أجابت: "كم أنا سعيدة جداً أنك استمتعت به يا زوجي" وبينما كان أبو علي يحتسي القهوة بدأ يفكر مع نفسه كيف يسأل السؤال التالي. وإذ كانت أم علي ترتشف من فنجان الشاي همس برفق قائلاً لها: "أود أن تعودني إلى حجرتي هذه الليلة."

فزعت أم علي لسماعها هذه الكلمات فارتشفت الشاي الساخن بسرعة شديدة مما أحدث لها حشجة فقفز أبو علي مسرعاً نحوها قائلاً لها: "أنا آسف لم أقصد أن أسبب لك هذا الألم."

أجابت قائلة: "لا... لا.. كل شيء على ما يرام.. لكن ماذا تريد بالضبط مني أن أفعل؟". سألته هكذا حتى لا تتوهم شيئاً آخر غير ما يريد هـو.

قال لها أبو علي: "إن ما أطلبه منك هو أن تعيدي حاجاتك الخاصة إلى حجرتك الخاصة وتأخذي وضعك مرة ثانية كزوجتي الوحيدة."

صُدمت أم علي لهذا التغيير الذي طرأ على زوجها ولكنها لم ترد أن تظهر وكأنها معترضة لذا أجابت بصوت هادئ وهي تأخذ نفساً عميقاً: "سيكون لي شرف كبير أن أعود إلى حجرتك يا زوجي."
أجاب أبو علي: "حسناً.. سأذهب الآن إلي الجامع وسأراك في المساء."

أغلق أبو علي الباب خلفه وعندئذ وجدت أم علي نفسها تهتز في مقعدها. وبدأت تدور في رأسها أفكار كثيرة فمن ناحية كانت في قمة السعادة لأن زوجها يريد لها أن تعود لفراشه كما كان ينطق بكلمات لم تتعود على سماعها من قبل مثل زوجتي الوحيدة، مما أبهج روحها أما على الجانب الآخر فهي ستعود إلى السرير الذي اعتلته يوماً ما امرأة أصغر منها سناً ولا بد وأنها سددت احتياجات زوجها بطريقة يصعب عليها تنفيذها الآن وهي في هذه المرحلة العمرية. فكيف سترضيه ثانية؟. كيف تستطيع أن تنام على هذا السرير وهي تعلم تماماً أنه قد قتل الزوجة الأخيرة التي نامت عليه؟.

تضاربت مشاعر الحب والكراهية بداخلها. لذا سارعت بالذهاب إلى ملجأها في المطبخ وبدأت تصلي قائلة: "أبي السماوي إن نفسي تصرخ إليك، أنت تعلم كل ما حدث كما تعرف المشاعر التي تتراحم بداخلي وتجعلني مضطربة. أنا أعلم أن الحيرة والاضطراب ليسا منك لأنك أنت إله نظام ولست إله تشويش. يارب أحتاج منك أن توضح لي الآن وأعطني سلامك بينما أعود لفراش زوجي.

كما أعلم أن كلامك علمني أن أخضع وأربح زوجي
بالروح الوديع الهادئ ولكنني أشعر بالخوف من العودة إلى
جانبه كزوجة وبينما أنا أخطو بإيمان. إن كان طلب زوجي
هذا في خطتك لي أرجو منك أن تعطيني تأكيداً أنك سوف
تمكنني من احتواء كل ما سيواجهني في المستقبل. من
فضلك انزع مني كل مشاعر الكراهية وامنحني بدلاً منها
مشاعر الحب لزوجي فأنا أعلم أن حبي له ليس كافياً.. إني
أصلي في اسم يسوع. آمين."

بمجرد انتهائها من صلاتها بدأت في إعداد طعام
الإفطار ليتناوله أولادها. دخلت أميرة إلى المطبخ وحيّت
أمها وقالت: "صباح الخير يا أمي."
ردت أم علي قائلة: "صباح الخير يا أميرتي... أميرة
إن لدي أشياء مهمة اليوم يجب أن أعملها.. فمن فضلك هل
يمكنك أن تقومي بإعداد طعام الغذاء وتنظيف الصالون؟".
أجابت أميرة: "بالطبع.. يا أمي. ولكن ماذا ستفعلين
اليوم؟".

أجابت أم علي: "إنني أخشى من أنك تفقدي رقيقة
حجرتك يا ابنتي."

صاحت أميرة: "ماذا... إلى أين ستذهبين؟".
قالت أم علي: "لقد طلب أبوك مني أن أعود إلى
حجرتي."

قالت أميرة: "حقاً...!! يا أمي.. وماذا عنك.. هل تريد
هذا؟".

أجابت أم علي: "نعم.. فأنا أعتقد أن الله يطلب مني هذا الأمر يا حبيبتي."

قالت أميرة: "سأفتقدك كثيراً يا أمي."
قالت أمها وهي تدمع: "وأنا أيضاً سأفتقدك كثيراً."
أسرعت أم علي وتركزت المطبخ حتى لا ترى أميرة الدموع التي بدأت تتساب من عينيها ولجأت إلى الحمام لتغسل وجهها وتستجمع قواها قبل العودة للبدء في مهمتها. ولذا بدأت عملها من حجرة زوجها ترتب الدولاب والسرير وبعد وضع فرش نظيف على السرير وإفساح مكان في الدولاب لوضع حاجياتها قضت باقي الوقت في نقل ملابسها وحاجاتها الشخصية من حجرة أميرة إلى حجرة زوجها. وكان آخر ما نقلته هو كتابها المقدس ولكن عندما التقطته ترددت في أن تأخذه معها إلى حجرتها وتخاطر برؤية زوجها له أم لا.. فإنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تتركه في غرفة أميرة حيث لن يكون لديها فرص كثيرة لتقرأه هناك في أي وقت لذا رفعت صلاة قصيرة طالبة من الرب أن لا يراه زوجها وأن يستخدمه الله في الوقت المناسب ليتحدث معه ثم أخذت الكتاب إلى حجرة زوجها ووضعتة في درج بالدولاب.

وبعد الغذاء بدأت أم علي في تنظيف الحجرة وترتيبها قبل وصول زوجها، وعندما انتهت كان كل شيء يلمع من شدة النظافة ثم توجهت بعدها مباشرة إلى المطبخ وهي في حالة من السعادة والرضا تأمل في أن تصب كل تفكيرها

في إعداد الطعام وليس فيما سينتظرها في الحجرة تلك الليلة.

بدا الوقت وكأنه دهر يمر ببطء شديد قبل عودة أبو علي إلى المنزل، وما أن فُتح الباب ودخل أبو علي بدا على وجهه السرور لقضائه يوم بأكمله خارج المنزل، حيا زوجته بحرارة قائلاً: "مساء الخير يا زوجتي.. أتمنى أن تكوني بخير..".

أجابته قائلة: "مساء الخير يا زوجي.. الحمد لله أنني بخير، أشكرك. هل أنت مستعد لتناول العشاء؟".
قال لها: "نعم فإني أعاني من الجوع الشديد ولكن دعيني آخذ حماماً دافئاً لأنتعش."

التف الجميع حول المائدة بعد دقائق قليلة وبدأ أبو علي بتوجيه سؤال لرمزي قائلاً: "رمزي يا ابني كيف حال الدراسة معك؟".

رفع رمزي رأسه وبدأ يهمهم من الخوف الذي اعتراه:
"أه... بخير يا أبي.. بخير.. أشكرك."
أجاب أبو علي: "الله يعطيك النجاح يا ابني في امتحاناتك."

أضافت أم علي وهي مبتسمة: "نعم.. النجاح."
دار حديث دافئ طوال وقت العشاء بين جميع أفراد العائلة وعند نهاية الحديث تكلم محمود سائلاً أباه: "أبي.. أنا لدي صديق حميم وأريدك أن تقابله. أنه من المثقفين والمتعمقين في أمور الدين وأعتقد أنك سوف تستمتع بالحديث معه وبصحبتة.. هل أدعوه يوماً إلى بيتنا؟".

أجاب أبو علي على الفور: "طبعاً يا ابني.. وسوف أكون سعيداً جداً لمقابلة أي واحد من أصدقائك."

أجاب محمود: "أشكرك يا أبي."

أخذت أميرة تنتظر نظرات سريعة تارة إلى محمود وتارة إلى أمها وهي تتساءل مع نفسها: "يا ترى من هو هذا الصديق الذي يريد محمود أن يأتي به ليقابل أبينا؟... هل يريد محمود بتصرفه هذا أن يدخلنا جميعاً في مشكلة؟". عندها أدركت أميرة أنه يجب عليها أن تنبه أخاها من الخطر وذلك على وجه السرعة.

انتظرت أميرة حتى آوى الجميع إلى فراشهم وألمحت إلى محمود لتنفرد به في ركن من المنزل وقالت له:

"محمود.. من هو صديقك الذي تريد أن تحضره إلى منزلنا؟ كن حذراً ولا تفعل شيئاً يجلب لنا جميعاً المشاكل."

أجابها محمود بابتسامة: "لا تقلقي يا أختي.. إن صديقي هذا سيكون لبقاً وحكيماً جداً في حديثه مع والدي." أجابت أميرة قائلة: "أتمنى هذا.. فقط تذكر أن أحوال أبي قد بدأت تتحسن على التو ولا نريد أن ندمر كل شيء مرة أخرى."

قال محمود: "لا.. لا.. لن أدمر شيئاً."

دخلت أم علي في هذه اللحظة إلى غرفة زوجها وذلك بعد زواج دام أكثر من 35 عاماً ولكنها شعرت وكأنها أول ليلة بعد زفافها. نظر أبو علي إلى وجهها وقد بدا عليها الارتباك والخوف لذا أمسك بيدها وجلس بجوارها على جانب السرير وقال لها: "إيمان، أنا أعلم أنه ليس بالسهل

عليك أن تنامي بجواري مرة أخرى بعد كل ما حدث كما لا ألقى عليك اللوم ولا أطلب منك أن تفعل شيئاً لكن كل ما أتوقه هو أن أحس بقربك مني فنحن متزوجان منذ سنين كثيرة فلا معنى لأن ينام كل منا في غرفة منفصلة فإن مكانك الصحيح هو بجانبى."

أجابت أم علي: "سأكون دائماً بجانبك يا محمد طالما أنك تريدنى.. فقط أريدك أن تعرف أن ذلك سيستغرق منى بعض الوقت لاستعيد وضعى فى هذا المكان." أجابها: "أنا أعلم.. أنا أعلم". ثم صمت ولم يتفوه بكلمة أخرى غير أن كلاً منهما اتخذ مكانه على السرير وناما وكل منهما يشعر بوجود الآخر بجانبه.

أرادت أم علي أن تسترخى ولكن هذا كان من الصعب جداً عليها لذا قضت معظم الليل تصلى إلى الله من أجل زوجها حتى ما تتحسن علاقتهما ببعضهما البعض وتشعر بالراحة بجوار زوجها.

استمتع أبو علي مرة أخرى برائحة زوجته الأولى وأدرك أن زوجته التى بجواره مخلصه له ولا تخونه مع أحد، ألا أنه لم يجرؤ أن يلمسها هذه الليلة.

الفصل الواحد والخمسون

في اليوم التالي انتهز محمود الفرص ليرى الشخص الذي يريد أن يقدمه لأبيه وما أن كاد يترك البوابة الرئيسية للجامعة حتى سمع صوت نفير سيارة صديقه الحميم أمين آتياً من الشارع الرئيسي.

ركض مسرعاً إلى الطريق الجانبي وقفز في التاكسي، وحياه محمود قائلاً: "صباح الخير يا أخي.. إنني سعيد جداً بلقائك."

فأجاب أمين قائلاً: "صباح الخير.. هل من جديد؟" قال محمود: "لديّ الكثير لأقوله لك يا أمين.. هل لديك بعض الوقت لشرب كوب من القهوة معاً؟" قال أمين مبتسماً: "بل لديّ الكثير من الوقت". عندئذ اصطحب أمين محمود إلى كافيتيريا قريبة حيث طلبا مشروباًتهما.

بدأ محمود يقص على أمين ما حدث في منزله. كما شارك بالتغيير الكبير الذي حدث مع أبيه في معاملته معهم وكيف أنه لأول مرة يشجع أحد ابنائه بكلمات طيبة. واستطرد محمود يقول: "لقد صُدمت فيما حدث لأبي كما قالت أُمي إن أبي كان في الحضيض نتيجة الخطية التي كانت في حياته وهو الآن يستنجد. وأنا أتمنى أن يطلب العون من الله."

بدأ أمين حديثه بالقول: "إن مما لا شك فيه أن الله يعمل في حياة أبينا كما أنه بدون شك الله يعمل في حياة كل أفراد

عائلتك. لابد وأن تتغير الظروف ولكن يجب عليكم جميعاً
توخي الحذر والحكمة في تصرفاتكم."

أجاب محمود: "هذا بالفعل ما أردت أن أخبرك به."
ثم استطرد يقول: "أريد أن أصطاد أبي وهو في هذه
الحالة الإيجابية.. وذلك كما يقول المثل: "اضرب الحديد
وهو ساخن" لذا طلبت منه السماح لي بإحضار صديقي
لمقابلته في منزلنا."

أجاب أمين متسائلاً: "هل حقاً فعلت ذلك؟؟ ومن يا
ترى يكون هذا الصديق؟."

أجاب محمود: "بالطبع.. هو أنت."
قال أمين في ذهول: "أنا..! ولماذا اخترتني أنا بالتحديد
لمقابلة أبيك؟."

أجابه محمود: "لقد أخبرته أن لي صديقاً متعمقاً بأمور
الدين وسوف تستمتع بالحديث معه وبالطبع أنت تعرف أنني
أؤمن أن الله قادر أن يستخدمك لتوصيل رسالة المسيح
لأبي، الأمر الذي لا يستطيع أحد من عائلتنا أن يقوم به."
أجاب أمين: "آه يا محمود، أنا لست متأكداً من هذا."
أجابه محمود: "ولكن لم لا يا أخي؟ ألم يستخدمك الله
لإحضاري للمسيح؟ ألم يستخدمك الله في زرع كلمته في
حياة الكثيرين في المدينة؟ فأنا أعرف كم أنت حساس جداً
في طريقة كلامك للآخرين وأن طريقتك لا تعتمد على
الهجوم أبداً. وكما أنه ليس لدي أدنى شك في أن الله سوف
يعطيك الحكمة لتشارك أبي بالرسالة."

مكث أمين صامتاً لفترة طويلة وكانت أفكار كثيرة تدور برأسه فإنه بالطبع يريد أن يستخدمه الله في حياة والد محمود إن كانت هذه هي مشيئته. فإن أمين لم يدع أي فرصة تفوته من قبل لمشاركة إيمانه عندما يفتح روح الله المجال للمشاركة. ولكن في هذه المرة ليس من السهل عليه هذا الأمر حيث أن هذا الشخص ليس فقط أبو محمود ولكنه أبو أميرة أيضاً، ولا بد أن أميرة ستكون موجودة في البيت في حالة قبوله لدعوة محمود.. فهل سيتمكن من رؤيتها؟.. لا.. لأنه في أغلب الظن لن يسمح مثل هذا الرجل لابنته بأن تجلس في محضر رجل غريب ولكن حتى إذا لم يرها فإن وجوده في المنزل قد يعرضها هي وأمها إلى الخطر وكذلك محمود. فهل هم مستعدون لمثل هذه المخاطر؟

بدأ أمين يكلم محمود بصراحة قائلاً: "محمود.. لست أنت الوحيد في هذا الموقف لتأخذ قراراً بمفردك حيث أنني أعتقد أنه يجب عليك أولاً أن تُخبر والدتك وأختك قبل أن أوافق أنا على المجئ لمنزلك، كما يجب أن أتأكد أولاً أنهما يشعران براحة لمجيئ والتحدث مع أبيك. فربما تواجههم المتاعب إذا رفض أبوك الرسالة."

أجاب محمود: "آه يا أمين.. لا تقلق بشأن أمي وأختي فلقد تحدثت بالفعل مع أختي وأخبرتها أن صديقي لن يفعل أي شيء يسبب المتاعب. فإن أمي وأختي سيكونان على ما يرام فلا تقلق. وأنا عندي ثقة كاملة في الله بخصوص هذا الموضوع كما أعلم أن الرب دائماً معك."

قال أمين وهو متردد: "حسناً ما دمت متأكد يا محمود.. ولكن يجب أن تمنحني بعض الوقت لأصلي بخصوص هذا الأمر حيث أنه لقاء مهم ولا أستطيع الاستخفاف به ولذا يجب أن أصلي أولاً."

أجاب محمود: "هذا رائع.. وهل سيكون من السابق لأوانه إن اتصلت بك هذا المساء؟"

أجاب أمين: "هذا مناسب. سأحاول قضاء فترة بعد الظهر في الحديث مع الله وأنا في انتظار اتصالك تليفونياً بي في منزلي هذا المساء."

قال محمود: "أشرك يا أمين إنني أقدر جداً مساعدتك لي وسأصل بك. والآن اذهب إلى عملك وسأستقل أنا الأتوبيس إلى منزلي."

أجاب أمين: "لا.. لن تفعل هذا أبداً فسوف أوصلك أنا لمنزلك.. هيا بنا."

بعد انتهاء الحديث استقل محمود السيارة مع أمين واستمر الحديث بينهما بينما كان أمين يقود السيارة متوجهاً مباشرة إلى بيت محمود، لكن لم يلاحظ محمود هذا إلى أن وصلا إلى منزله عندئذ بادره محمود بالسؤال متعجباً: "كيف عرفت مكان سكني يا أمين على الرغم من أنني لم أخبرك به؟"

أجاب محمود وهو يتهته: "آه أظن أنني سمعت من أحدهم عن مكان مسكنك ربما كان إبراهيم." قال محمود: "ربما..!! على أي حال أشرك كثيراً لتوصيلي."

قال أمين وهو يتنفس الصعداء: "بكل سرور."
وعندما أسرع محمود إلى داخل المبنى واختفى عن
أنظار أمين وضع أمين رأسه على عجلة القيادة وقال
لنفسه: "ياه.. كان أمري سينكشف وكنت سأضع نفسي في
ورطه". ثم أخذ يصلي "يا إلهي، من فضلك سامحني على
هذا الكذب.. لم أعرف كيف أفسر له.. أنا آسف فمن فضلك
ارشدني متى وكيف أفصح لمحمود عن أمر أخته؟. في اسم
المسيح.. أمين."

استمر أمين بعد ذلك في عمله كسائق تاكسي يأخذ
الزبائن من هنا ومن هناك طوال ساعات النهار ولأنه كان
شارد الذهن لم يتمكن من الحديث مع أي من الذين استقلوا
سيارته بل أخذ يفكر ويستعيد كلام محمود معه والمهمة
التي طلبها منه. وعندما ضاق به الأمر جداً ولم يعد يتحمل
أكثر من ذلك توجه أخيراً بسيارته إلى أقرب منتزه وجلس
هناك حيث لم يشعر بأي رغبة للطعام بل شعر برغبة
شديدة في التحدث إلى ربه بكل ما يجيش في صدره.
وعندئذ استلقى على الأرض في مكان مليء بالعشب
الأخضر ومنعزل وصار ينظر إلى السماء الزرقاء ينادي
الله قائلاً: "إلهي كم أنا ممنون وشاكر فضلك حيث أنه
بإمكاني التحدث إليك بكل ما في داخلي وكم أنك إله رائع.
أحمدك على محبتك ورحمتك لي.. أشكرك لأنك منحتني
عائلة في المسيح وعلى الرغم من عدم وجود أي شخص
من أفراد عائلتي الأرضية معي إلا أنك أنعمت عليّ بأخوة
وأخوات يحبونني ويعتنون بي كما أهتم أنا بهم أيضاً..

أشكرك لأجلهم جميعاً وبالأخص أشكرك لأجل أخي
محمود فكم هو سعيد بسبب ما عملته في حياته بإيمانه
الجديد. كم هو مفرح أن أراه ينمو في إيمانه بك. وأنت تعلم
يارب ما طلبه مني اليوم وهو أن أتحدث إلى والده، وإن
هذا الطلب صعب جداً لكنني أعلم أنه لا يصعب عليك
شيء فأنا لا أريد أن افعل شيئاً لمجرد أن محمود لديه
حماس لهذا الأمر لكنني أريد فقط أن أفعل مشيئتك أنت.
فلو لم تكن أنت وراء هذه المقابلة فسوف أتسبب في كارثة
لهذه العائلة وأنا لا أحتمل أن أكون أنا السبب في هذه
الكارثة.. يارب أنت وحدك تعرف مدى خطورة موقعي
لكوني أعرف أميرة.. فماذا تقصد يارب بهذا؟ فهل هذه هي
طريقتك كي تجمعنا سوياً مرة أخرى؟ يارب.. لا أريد
أيضاً تلبية طلب محمود لأنتهز الفرصة لرؤية أميرة. آه..
يارب كم أنت وحدك تعلم أنني مشتاق لرؤيتها ثانية.. ولكن
علمني أن أطيعك ولا أتبع رغباتي الخاصة في هذا الأمر
لأنك أنت وحدك الذي تعرف ما هو الأفضل لي.
يارب من فضلك عرفني ماذا أفعل فأنا لا أريد أن أحمي
عن إرادتك الكاملة وأريد أن أعرف مشيئتك قبل أن يتصل
بي محمود هذه الليلة فلقد كنت دائماً أميناً معي تعطيني
سلامك في مواقف عديدة. يارب سوف أنتظرك بإصغاء
لأسمع صوتك وأعرف إرادتك والتوقيت الذي تختاره
أنت.. إني أصلي هذا في اسم المسيح. آمين."

سار أمين على قدميه إلى محل قريب لبيتاع منه طعاماً
وذلك بعد أن انتهى من صلاته، وبينما كان يسير كان

يستمتع بمنظر الأشجار وسماع تغريد العصافير وأنه من نعم الطبيعة الموجودة بالمنتره أن تأخذك بعيداً عن ضوضاء المدينة كما تعطي النفس هدوءاً وسكينة. تذكر أمين أثناء خلوته آيتين الأولى "طريقي ليست كطرقكم يقول الرب" والثانية "اسلكوا بالإيمان لا بالعيان." أخذ أمين يفكر مع نفسه "في الحقيقة لو كنت أنا الذي دبّرت طريقة لأرى بها أميرة لكنت سأفكر في إبعادها عن أسرتها ولكن طريق الرب مختلف تماماً وهو الأفضل دائماً. فقد يبدو أن لقائي مع والدها يحمل كثيراً من المخاطر لكن من الممكن أن الله يريد أن يدرّبني على السلوك بالإيمان وليس بالعيان بحسب ما أراه أنا أنه صحيح."

سأل أمين الله مصلياً: "هل هذا ما تريد أن تقوله لي يارب؟" فأنته الإجابة بداخل قلبه "نعم." على الرغم من اعتقاد وإيمان أمين بأنه سمع صوت الله في هذا الأمر إلا أنه ظل جالساً على الحشائش يتأمل في صمت ولم يعد مباشرة إلى عمله انتظاراً لأي فكرة أخرى سوف يلهمه بها الله، لأنه لم يرد أن يستسلم لأول فكرة طرأت على ذهنه وهل هي من عند الله. وبعد أن أمضى أمين وقتاً طويلاً في الصمت والتأمل قال: "يارب.. أنا أثق بأن ما وضعته في قلبي هو منك وسأتصرف بموجبه.. امنحني سلامك باقي هذا اليوم فإني أتكلم على كلمتك. في اسم يسوع أصلي.. أمين."

قام أمين على الفور وعاد لعمله لكنه وجد أن ذهنه صافياً وليس كما كان في الصباح واستمتع بوقته مع كثير من الناس الذين ركبوا سيارته.

كما سأل العديد منهم عن معنى النغمات والكلمات المريحة التي كانوا يسمعونها في جهاز التسجيل بالسيارة. وقد أُتيحت له فرص عديدة لمشاركة كلمات الرجاء حتى أن أحدهم طلب منه أن يتقابلا في وقت آخر ليسمع منه أكثر عن تعاليم المسيح.

لقد قضى أمين وقتاً مثمراً جداً حتى عاد إلى منزله مساءً وقد نسى أن محمود سوف يتصل به، حتى فوجئ برنين التليفون ورفع السماعة وقال: "مرحباً." قال صديقه: "مرحباً يا أمين أنا محمود.. أنا أتصل بك لكي أدعوك لزيارتنا في المنزل غداً مساءً هل يناسبك الساعة السابعة؟ أريدك أن تقابل والدي." أجاب أمين: "أشكرك يا محمود وسأكون سعيداً للحضور."

وعلى الفور وبمجرد أن سمع محمود رد أمين صاح من الفرح قائلاً: "عظيم إذاً سأراك غداً." أجاب أمين: "إن شاء الله." قال محمود: "تصبح على خير." رد أمين: "وأنت من أهل الخير."

الفصل الثاني والخمسون

نظر محمود إلى أبيه بعد أن وضع سماعة التليفون وقال له: "كان صديقي هذا على التليفون وقد وافق على زيارتنا غداً في المساء."

أجاب أبو علي: "سأنتظر مقابلته ولكن هل أنا سمعتك تقول له أن يحضر الساعة السابعة؟"

أجاب محمود: "نعم يا أبي هل يناسبك هذا الميعاد؟".
قال أبو علي: "لا.. إنه يناسبني ولكن عادة ما أكون عائداً من المسجد في هذا الوقت مرهقاً وجوعان لذا يكون من الصعب عليّ أن أنتظر دون طعام فلماذا لا تتصل به ثانية لتدعوه ليتناول العشاء معنا".
أجاب محمود: "هذا شيء رائع يا أبي.. سأتصل به على الفور."

وبينما يدير محمود قرص الهاتف ليتصل بأمين دخلت أميرة الصالون لتقدم الشاي إلى والدها وأخيها وكادت تفلت الصينية من يدها بينما كانت تسمع كلمات محمود وهو يرحب بأمين قائلاً: "أهلاً يا أمين أنا أكلّمك ثانية لأخبرك أن أبي يدعوكم للعشاء معنا غداً".. وبعد فترة من الإنصات سمعت أميرة محمود يقول: "نعم في نفس الميعاد، نحن في انتظار زيارتك غداً إن شاء الله.. مع السلامة."

وبينما كانت أميرة تضع صينية الشاي على الطاولة الصغيرة أمام والدها أخذت يداها ترتعشان مما جعل الفناجين تصطك ببعضها، الأمر الذي لفت انتباه والدها

الذي كان مازال ينظر إلى محمود، فصاح قائلاً: "أميرة..
ما الأمر؟ إن يديك ترتعشان!! هل أنت بخير؟"
أجابت وهي مضطربة: "نعم.. يا أبي."
ثم استطرد الأب يقول: "أميرة.. أخبري أمك أن لدينا
ضيفاً غداً على العشاء وعليك أن تغطي رأسك.. لا تنسي."
قالت أميرة: "بالطبع يا أبي."
أسرعت أميرة إلى المطبخ حيث كانت أمها تسترخي
جالسة تحتسي كوباً من الشاي وقالت وهي تحاول أن
تخفض صوتها: "أمي... إنك لن تصدقين ما حدث الآن!!"
سألته أمها: "ماذا حدث يا بنتي؟"
قالت أميرة: "لقد دعا محمود أمين ليزور أبي ثم طلب
أبي من محمود أن يدعوه على العشاء معنا!! وقال لي أبي
أن أخبرك أن لدينا ضيفاً على العشاء غداً وعلينا أنا وأنتِ
أن نغطي رؤوسنا.. هل تصدقين؟!"
قالت أم علي: "إنه ثمة شيئين يذهلانني، الأول هو أن
أمين بنفسه سيحضر إلى منزلنا للعشاء، أما الثاني هو أن
أباك سوف يسمح لنا بالجلوس معهم على مائدة الطعام في
نفس الوقت وهو رجل غريب عنا... حتى متى سيستمر الله
في عمل العجائب معنا؟ حقاً إن الله يفعل معنا أموراً عجيبة
يا ابنتي."
أخذت أميرة تقول: "يا أمي كيف لك أن تمكثي هادئة
هكذا؟ إنه أمين.. إنه أمين الذي أعرفه أنا."
قالت أم علي: "والآن يا أميرة.. إنه ليس أمين الذي
تعرفينه أنت فقط بل هو نفسه أمين الذي يعرفه محمود

أيضاً". ثم استطردت تقول لإغاضتها: "على أي حال فحتى الآن لم يصبح أمين يخصص بمفردك."

قالت أميرة وهي هائجة: "أمي... أنت تعلمين جيداً ما كنت أقصده! ماذا سأفعل؟ كيف أضبط نفسي أثناء تناول الطعام وهو معنا على نفس المائدة؟ ماذا لو نظر إليّ؟ ماذا لو اكتشف أبي أنني أعرفه من قبل؟ سوف ينتابني انهيار عصبي!!"

بدأت أم علي تطمئنئها قائلة: "اهدئي يا أميرتي لو كنت تصبين اهتمامك على الأشياء الأكثر أهمية بدلاً من التركيز على نفسك لاستطعت أن تتمالكي أعصابك."
سألت أميرة: "ماذا تقصدين يا أمي؟"

قالت أمها: "إنك في حاجة لأن تدركي أن أخاك دعا صديقه لهدف واحد فقط وهو أن يشارك المسيح مع والدك لذا يجب على كلينا أن ننسى جميع الأشياء الأخرى ونصلي كثيراً لنجاح هذا اللقاء الذي إما ينتج عنه أشياء عظيمة أو أن يجلب علينا كارثة كبيرة لعائلتنا. فإن الله لديه خطة عظيمة في حياتنا أكثر بكثير من رؤيتك أنت لأمين غداً في المساء."

أخذت أميرة تفكر في كلمات أمها.. عندئذ أدركت أن أفكارها بلا معنى. فهل سيسامحها الله على هذه السخافات؟ ثم تنفست بعمق وقالت: "أنت دائماً على حق يا أمي كالعادة، لقد كنت أفكر بحماقة، فإن الأمر ليس مرتبطاً بي فقط لكنه مرتبط بأبي بالدرجة الأولى وإنه حقاً يحتاج لسماع رسالة الله عن المحبة.. أليس كذلك؟ كما أن أمين هو

الشخص المناسب ليشركه هذه الرسالة. حقاً إن الله عجيب جداً يا أمي.. فمن كان يظن أن الله يسمح لمحمود أن يتعرف على أمين ويتحرك لدعوته للمشاركة مع أبنينا؟ ولكن الأمر مازال صعباً عليّ. فهل تصلي من أجلي يا أمي؟".

أجابت أم علي: "بالتأكيد سأصلي يا أميرة ولماذا لا نقضي بعض الوقت الآن في الصلاة حيث سأخذ للنوم بعد قليل لأنه سيكون لدينا الكثير لنعمله غداً." وافقت أميرة على اقتراح أمها فأحنتا رأسيهما وفتحتا قلوبهما للإله الذي نميا في حبه نتيجة محبته العظيمة لهما." بدأت أم علي بالصلاة أولاً من أجل أميرة طالبة من الله أن يهدئ من روعها وأن يفتح عينيها لترى خطة الله العظيمة من نحو عائلتهم. ثم أخذت تصلي بمشاعر الأمومة إلى الله حتى ما يفتح الباب لأميرة وأمين لكي يتحدثا سوياً وإن كان هذا لقاءها الأول معه أمام العائلة، وأن ينال أمين القبول في عيني زوجها لأجل أميرة، ثم استمرت تصلي من أجل زوجها لفترة طويلة حتى ما يجهز الله قلبه لقبول ما سوف يسمعه من كلمات ورسالة الرجاء. واختتمت صلاتها طالبة من الله أن تكون هذه الزيارة لتعزيز موقفهما وليس لإعاقتهما.

بدأت أميرة صلاتها والدموع تملأ عيونها وهي تشكر الله على طريقه العجيبة بأن يسمح لها أن ترى أمين مرة ثانية، بل وأكثر من ذلك شكرت الله مقدماً لما سوف يعمله من خلال أمين لصالح والدها. كما صلت طالبة من الله أن

لا يسمح بأن كلماتها أو مشاعرها تكون مُعطلة للرسالة التي سيحضر من أجلها أمين لمنزلهم. وصَلَّت أيضاً أن يمنحها الله سلاماً لروحها يفوق قدراتها الطبيعية، ثم استودعت الأمسية بالكامل في يدي الله.

شعرت أميرة وأمها بقربهما من بعض أكثر كما كان دائماً بعد كل مرة يصليان معاً، ولقد تطورت علاقتهما ببعضهما إلى حد كبير نتيجة لإيمانهما المشترك في المسيح، فأصبحت ليس فقط علاقة الأم وابنتها بل علاقة الأخوات في المسيح.. مما جعلهما أكثر إحساساً وتشجيعاً لبعضهما البعض. الأمر الذي كان مفقوداً من قبل. هَمَّت أميرة تقبل وتعانق أمها قائلة: "أشكرك يا أمي.. أحبك كثيراً."

أجابت أم علي قائلة: "وأنا أيضاً أحبك يا بنتي، والآن ماذا سوف تعدين من طعام لهذا الرجل الذي يهملك؟". قالت أميرة وقد استعادت صدمتها مرة أخرى: "آه.. آه.. العشاء. من الواضح أننا لا نستطيع أعداد وجبة مثلما أعدناها لأبي في الليلة التي طلب فيها منك هذا." قالت أمها في هدوء: "لا.. ولن نحاول مرة أخرى.. لكن عندي أفكار جيدة في عقلي. والآن اذهبي للنوم وسأخبرك عنها صباح الغد."

أجابت أميرة والإثارة تملو وجهها: "كيف يمكنني أن أنام هذه الليلة يا أمي؟".

قالت أمها مداعبة إياها: "من الأفضل أن تحاولي يا
بنتي وإلا لن تكون عيونك فاتنة لترى بها رجلك مساء
غدٍ."
قالت أميرة: "ياه.. يا ماما."

الفصل الثالث والخمسون

في صباح اليوم التالي وأثناء تناول أبو علي طعام الإفطار جاءت زوجته وجلست بجواره على المائدة وقالت: "إنه شعور طيب جداً منك أن تدعو صديق محمود لتناول العشاء معنا."

أجابها قائلاً: "حسناً إذا كان ولا بد أن يأتي مساءً فيجب أن يتناول العشاء معنا أيضاً." فسألته: "هل أنت تريد بالتأكيد أن نكون أنا وأميرة معكم على المائدة؟" أجاب أبو علي بنظرة استفهام: "لماذا تسأليني هذا السؤال؟"

قالت: "حسناً.. إنك لا تعرف الرجل جيداً لذا أردت فقط أن لا أفعل شيئاً يسبب مشكلة." أجابها: "أظن أنني أعرفك جيداً الآن، وأثق أنك تحافظين على شرف العائلة وبالتأكيد أن أميرة تعلمت منك الكثير طوال هذه السنين. ولا بد أنك تشعرين أحياناً بالملل لعدم وجود أي زائر جديد يطرق باب منزلنا. وربما يكون هذا الشخص لديه شيء جديد يشغل به تفكيرك." أجابت أم علي: "إنك شديد الاهتمام بمشاعر الآخرين ولذا سنفعل ما في وسعنا لنظهر بالمظهر اللائق." سألتها أبو علي: "ألا تعتقدين أن وجود ضيف على العشاء هو نوع من التغيير الجميل؟!"

أجابت: "أنا على يقين بأن الأولاد سوف يستمتعون بهذا التغيير.. والآن من الأفضل أن تذهب إلى الجامع حتى لا تتأخر عن الصلاة."

قال لها: "نعم.. إنك على حق.. أراك في المساء."
أجابت بنظرة تطلع: "في انتظارك."

دخلت أميرة المطبخ بعد فترة وجيزة لتجد أمها مشغولة في إعداد وجبة عشاء هذا المساء. فبادرتها أمها بالتحية:
"صباح الخير يا أميرة.. أمل أن تكوني نمت نوماً عميقاً."
ردت أميرة: "صباح الخير يا أمي... لقد نمت بالفعل نوماً عميقاً جداً عكس ما كنت أتوقع.. كيف تبدو عيناى؟"
أجابت أمها بابتسامة: "يبدو أنهما جميلتان كما تبددين
كلك يا أميرتي، تناولتي طعام إفطارك ثم لماذا لا تبدئين بتنظيف الصالون والحمام والطريقة ودعيني أركز أنا على طهي الطعام."

قالت أميرة ضاحكة: "هذا شيء رائع فالنظافة شيء سهل بالنسبة لي."

طلَّ محمود برأسه من باب المطبخ في نفس التوقيت الذي انتهت أميرة فيه من تناول طعام الإفطار وقال بصوت تملؤه البهجة: "صباح الخير يا سيداتي.. أليس هذا يوماً رائعاً؟!"

أجابت أميرة: "أنا أعتقد أنها تمطر بالخارج يا أخي.."

صاح متعجباً وقال: "تمطر أو لا تمطر.. إنه يوم رائع.. أنا أشعر أن الله يعد شيئاً عظيماً لعائلتنا هذا اليوم."

أجابت أمه: "أنا أصلي لكي ما يتحقق هذا. لقد سمعت أنك دعوت صديقك لزيارتنا يا ولدي."

قال: "نعم يا أمي إنه صديقي أمين سوف تسعدون حقاً بمقابلته.. إنه شخص متميز."

أجابته أمه قائلة: "أنا شغوفة لمقابلته."

قال: "لقد تأخرت عن محاضراتي. أعدي لنا ما لذ وطاب من الطعام كعادتك.. مع السلامة."

سألت أميرة أمها: "هل أنت الإنسانية الوحيدة في هذا المنزل التي تستطيعين أن تحتفظي بهوثك هذا؟"

قالت أمها: "إنها فقط نعمة من الله أن أظل في هذه الحالة يا بنتي وإلا فإن طبيعتي البشرية تملي على التوتر والخوف الشديد. وشكراً لله لأن روح الله منحني سلاماً يسود على حياتي."

طلبت أميرة من أمها: "يا أمي.. صلّ من أجلي ليمنحني الله هذا السلام اليوم."

أجابتها أم علي: "يا أميرتي أنا أذكرك في صلاتي طوال اليوم. على الرغم من أنني أعرف الشيء الذي يهدئ أعصابك."

سألتها أميرة: "وما هو؟"

أجابت أمها: "التنظيف!"

قالت أميرة ضاحكة: "إنك حكيمة جداً يا أمي في إسداء النصائح! حسناً لقد أدركت ما تريدين الإشارة إليه وسأبدأ فوراً في تنظيف الصالون وأتركك لقضاء وقت ممتع في إعداد الطعام."

ساعدت روح المرح هذه كلاً من أميرة وأمها على احتفاظهما بهدوء الأعصاب وخاصة مع اقتراب موعد العشاء ومع الانتهاء من إعداد الطعام وتنظيف المنزل، أصبح المنزل في أجمل وأبهى صورة من النظافة والنظام. حضر محمود مبكراً إلى المنزل على غير عادته وأخذ يشجعهما ويساعدهما على قدر استطاعته حتى ما يخف عنهما .

وصل حليم إلى المنزل حوالي الساعة السادسة مساءً وبدأ حديثه مع أخيه الأصغر محمود متسائلاً: عن هذا الضيف الذي سيحضر على العشاء. فقال محمود: "إنه أحد أصدقائي يا حليم اسمه أمين وأردت أن يتقابل مع أبي." سأل حليم: "ولماذا؟ لماذا تريد أن تُعرف أحد أصدقائك على أبنينا؟"

قال: "حسناً فإن كليهما يهتم بالحديث في أمور الدين لذا أعتقد أنهما سيستمعان كل منهما بالآخر." قال حليم والغيط يملؤه: "آه.. عظيم!.. هذا بالضبط ما نحتاجه.. مناقشة دينية لتزيدنا مللاً!! فلذا لا تنتظر أن أمكث معكم طويلاً بعد العشاء."

أجاب محمود: "افعل ما تريد يا أخي.. على الرغم من أنني أعتقد أنه من الممكن أن ينال صديقي إعجابك." أجاب حليم: "أنا أشك في هذا.. لكن دعنا نتمنى أن نتناول طعاماً جيداً على أقل تقدير." قال محمود: "بكل تأكيد سيكون الطعام جيداً."

بعدما انصرف حليم وذهب إلى غرفته أخرج محمود زفيراً طويلاً ثم قال "ياه.... !هل سيجعل حليم هذه الليلة للمزاح ؟ لقد نسيت أن أصلي من أجل إخوتي هذا المساء". لذا رفع صلاة قصيرة في قلبه "يارب لقد نسيت أن أصلي من أجل إخوتي فمن فضلك أجعلهم يتعاونون هذه الليلة وكم سيكون عظيماً أن تعمل شيئاً في قلوبهم بحسب مشيئتك. آمين."

جاءت أم علي في تلك اللحظة لترتب مائدة الطعام فلاحظت علامات الإحباط التي بدت على وجه محمود: ابنها فبادرته بالسؤال "ماذا حدث يا ابني؟ هل أنت بخير؟".

قال محمود: "أنا بخير يا أمي لكنني فقط أدركت أنني لم أضع حليم في اعتباري عندما قدمت الدعوة لصديقي أمين لزيارتنا بالمنزل فإن حليم متضايق جداً لأجل هذه الزيارة."

قالت أم علي: "لا تضطرب يا ابني فالله يعلم كل هذه الأشياء، كما أنه يهتم بالتفاصيل الصغيرة هذه حتى التي لا نفكر نحن فيها."

أجاب محمود معبراً عن شكره وتقديره: "أشكرك يا أمي."

عاد أبو علي إلى المنزل قبل الساعة السابعة بقليل وبدأ عليه الإرهاق الشديد جراء يوم طويل في العمل. وما أن خرجت أم علي من المطبخ ونظرت إلى عينيهِ لاحظت عليهما الإرهاق الشديد وبدأ يتسرب إليها القلق بشأنه، لذا

حيته بصوت هادئ قائلة: "مرحباً يا زوجي.. كيف حالك هذا المساء؟".

أجابها: "أنا مرهق جداً وسوف أرقد بضع دقائق قليلة على السرير قبل تناول العشاء".

وعندما رأى محمود ابنه قال له: "آه.. يا ابني.. أنا أعرف أن صديقك سيحضر هذه الليلة ولكنني لست في أفضل حالاتي المزاجية لكن على الأقل سنتحدث معاً على مائدة الطعام وأفضّل أن تكون الزيارة قصيرة." أجاب محمود وهو يشعر بالإحباط: "لقد فهمت يا أبي."

نظر محمود إلى أمه فور دخول أبيه لغرفة نومه وقال لها: "يا أمي.. هل تعتقدين أنني أخطأت عندما دعوت أمين هذا المساء؟ ماذا لو قابله أبي بجفاء؟".

أجابت أم علي قائلة: "دعنا نضع ثقتنا في الله." دق جرس الباب في هذه اللحظة فأسرعت أم علي إلى المطبخ بينما توجه محمود ليفتح الباب وقال: "أهلاً وسهلاً تفضل". وقبله على وجنتيه بحرارة.

أجاب أمين: "مساء الخير." استطرد محمود يقول: "كم أنا سعيد بحضورك لمنزلنا هنا يا صديقي. تفضل واجلس."

ونظراً لضيق الوقت الذي سيقضيه محمود مع أمين منفردين لذا أسرع محمود يهمس لأمين قائلاً "إن أبي عاد مرهقاً من عمله هذا المساء وهذا يحتاج منك إلى أن تتكلم

معه بهدوء شديد حيث أنني لا أظن أنه يستطيع أن يستقبل منك كلاماً كثيراً."

أجاب أمين: "لقد فهمت يا محمود."

كانت أم علي في هذه الأثناء تضع غطاء على رأسها لتغطي به شعرها بينما كانت أميرة تذرع المطبخ ذهاباً وإياباً. فقالت لها أمها: "أميرة.. يجب أن تهدئي وتضعي حجابك على رأسك لتساعديني في ترتيب مائدة الطعام حيث أنه ليس من اللائق أن ينتظروا طويلاً."

أجابت أميرة: "أنا متوترة جداً يا أمي."

قالت أمها: "ضعي كل تركيزك في الطعام يا ابنتي وسيساعدك الله هذه الليلة."

أجابت أميرة وهي في ضعف: "حاضر يا أمي".. ثم وضعت غطاء على رأسها وأخذت تخفي بعناية شعرها الجميل وحملت طبقاً مليئاً بالطعام، وتبعت أمها إلى خارج المطبخ، وفي قرارة نفسها تريد أن تضع الطبق على المائدة قبل النظر إلى أمين حتى لا يقع الطبق من يديها، وقد أحسنت بفعلها هذا حيث أن عيني أمين اتجهت نحوها بمجرد خروجها من المطبخ وأخذ قلبه يطفر فرحاً بداخله. التفت محمود إليهما عندما سمع صوت اقدامهما وهما يدخلان حجرة الطعام فقال: "أمين.. هذه أمي (أم علي) وأختي (أميرة)."

قال أمين: "إنني سعيد بلقائكم."

أجابت أم علي: "مرحباً بك في بيتنا."

رفعت أميرة عينيها لتتلاقى مع عيني أمين لكنها
أسرعت وحولتها بسرعة عن أمين لئلا يلاحظها محمود
وقالت بهدوء: "مرحباً".. ثم عادت مسرعة إلى المطبخ.
وعندما عادت أمها إلى المطبخ أمسكت أميرة بذراعها
قائلة: "أمي... هل رأيته؟ أليس هو رائع؟".
أجابت أمها: "أميرة.. إنني لم أنظر إليه إلا بضع ثوان
قليلة ولا أستطيع أن أقول عنه شيئاً الآن. لذا يجب أن
تلتزمي الهدوء تماماً قبل أن يخرج أبوك من غرفته."
قالت أميرة: "أنا أعرف.. أنا أعرف."
استمرت أميرة وأمها في إحضار الطعام إلى المائدة
بينما جاء أبو علي إلى الصالون لتحية ضيفه. فبدأ محمود
يقدم ضيفه ويقول: "يا أبي أريد أن أعرفك بصديقي
أمين".. ثم استطرد يقول: "أمين... هذا أبي."
رحب أبو علي بضيفه قائلاً: "مرحباً.. إن ابني فخور
بك جداً."
أجاب أمين: "إنه لمن دواعي سروري أن أتقابل معك
وإنه شرف عظيم لي أن أكون في بيتك."
رحب أبو علي بالضيف وطلب إليه أن يجلس لحين
تجهيز المائدة سريعاً. وحينئذ بدأ أبو علي وأمين في
تعريف أنفسهما بعضهما البعض إلى أن انتهت أميرة وأمها
من إعداد مائدة الطعام. وعندما حضر باقي الإخوة قدمهم
محمود لصديقه أمين. ثم دعا أبو علي أمين للجلوس على
مائدة الطعام.

جلس أبو علي على رأس المائدة ودعا أمين ليجلس عن يمينه ومحمود عن يساره ثم جلس باقي الإخوة إلى جوار أمين ومحمود بالتتابع، أما أميرة وأم علي فجلستا على الطرف الآخر من المائدة القريب إلى المطبخ، وكانت أميرة جالسة على الجانب الأيسر مما أتاح لها الفرصة لرؤية أمين دون أن يلحظها أحد.

وعلى الرغم من أن أبو علي جلس على مائدة الطعام وهو لا يزال متعباً إلا أن منظر الطعام الشهي وحديث أمين اللطيف قد خففا عليه أتعابه وعندئذ بدأ يسأل ضيفه عن جذور عائلته ومهنتهم. وحيث أن أمين كان شديد الإعجاب بوالديه وبحياتهم العائلية الهادئة فلذا كان من السهل عليه أن يتحدث عن عائلته وهو يشعر بنوع من الحب والتقدير. فحتى بعد أن أخبرهم برحيل أبيه وأمه استمر في حديثه قائلاً: "طبعاً كان من الصعب عليّ جداً فقد والديّ وحتى الآن مازلت أفتقدهم كثيراً إلا أن من دواعي سروري أنه عندما استعيد ذكرياتي عنهم أنني أفرح أن لدي سلاماً أنهم مع الله الآن."

قال الجميع في صوت واحد رداً على عبارته هذه قائلين: "إن شاء الله."

رفع أمين نظره مبتسماً ببساطة وقال: "الله شاء فعلاً." نظر إليه أبو علي وهو في حيرة من أمره وفي ذهول مصحوباً بعطف وقال له: "أنت شاب غير عادي يا ابني."

أجاب أمين: "سأخذ قولك هذا على أنه مدح ومجاملة يا سيدي" ثم التفت على الفور إلى أم علي واستطرد يقول لها: "تسلم يداك يا أم علي على هذا الطعام الشهى." أجابت أم علي بابتسامة قائلة: "بالهنا والشفاء.. من فضلك تناول أكثر."

قال أمين: "آه.. لا أستطيع أكثر من ذلك حيث أنني أكلت أكثر مما يجب.. أشكرك."

قال أبو علي بصوت مسموع: "أم علي.. أميرة... لما لا تأتين بالفاكهة لضيفنا". وعندما ذكر اسم أميرة انتهز أمين الفرصة لينظر نحو أميرة والتفت أعينهما ثانية في نفس اللحظة لكن أميرة لم تدع هذه الفرصة تمر لذا ابتسمت وقامت لتساعد أمها، ولكن من الواضح أنها لم تستطع أن توقف النظر إلى أمين. تدارك أمين ماذا كان يحدث لذا أسرع والتفت بسرعة تجاه أبو علي وسأله قائلاً: "هل يسير أبنائك على نهجك في دراسة الدين يا سيدي." أجاب أبو علي: "كنت أتمنى ذلك يا أستاذ أمين لكن

يبدو أن الله يقودهم في دراسات أخرى مفضلة لديهم" فأبنائي حليم وعبد الهادي أتما دراستهما ويعملان مهندسين بالحكومة. أما رمزي فهو يجتاز الآن الامتحان للتخرج من قسم الكيمياء ومحمود في السنة الثانية بقسم الرياضيات." قال أمين: "يعطيهم الله النجاح الباهر فيما يعملون." أجاب أبو علي: "أشكرك." ابتسم محمود وهو يلاحظ العلاقة التي بدأت تنمو بين أمين وأبيه.

بعد أن استمتعوا جميعاً بتناول الحلو تسلل الرجال جميعاً إلى الصالون لشرب الشاي واستكمال حديثهم. أما أميرة فساعدت أمها في تنظيف وترتيب مائدة الطعام وكذلك إعداد المشروبات الساخنة. وعندما حانت اللحظات في المطبخ سألت أميرة أمها قائلة: "كيف ترين الأمور تسير يا أمي."

أجابت أم علي: "أنا أعتقد أن الأمور تسير على مايرام حتى الآن. وسوف نصلي حتى ما يكون له فرصة للمشاركة الآن، وعلى أي حال يا أميرة فأنا فخورة بك جداً حيث أنك كنت متزنة جداً طوال فترة العشاء." أجابت أميرة: "أشكرك يا أمي."

تغير مجرى الحديث بينما كانوا يستقلون في الصالون حيث أن أمين بادر بسؤال أبو علي قائلاً: "هل تسمح لي يا سيدي أن أسألك ما هو أفضل جزء في عملك؟".

أجاب أبو علي: "أنا لا أتذكر أن أحداً سألني هذا السؤال من قبل، لكن دعني أجيبك باختصار. إن أكثر الأوقات الممتعة بالنسبة لي هي أوقات المناقشة التي تدور حول القرآن الكريم". عندها توقف للحظة قبل أن يستطرد حديثه ثانية قائلاً: "لكن حدث اليوم شيء جعل وقت هذه الفترة من أصعب الأوقات التي مرت بي."

سأل أمين: "هل يمكنني أن أسألك ماذا حدث يا سيدي؟".

أجاب أبو علي: "نعم سأقص عليك ما حدث". وهنا بدأ يقول: "دخل رجل إلى الجامع اليوم صباحاً ولم يسبق لي

أن رأيته من قبل، بينما كنا نجلس مجموعة كبيرة من الرجال في حلقة مستديرة نناقش واحدة من السور القرآنية، جلس هذا الرجل معنا وسألناه عن اسمه فقال إنه يُدعى إبراهيم، وطلب إلينا أن نسمح له بطرح سؤال علينا، فبادرته بالقول إننا نرحب بأسئلته، وقد أثار سؤاله هذا جدلاً كبيراً بيننا. أما السؤال فكان كالآتي: نحن نعلم كإخوة في الإسلام أن الله عادل ورحيم في ذات الوقت، فهل يمكنكم أن ترشدوني أين أجد في القرآن ما يشير إلى عدل الله ورحمته في ذات الوقت؟".

اندهش أمين بينما كان يستمع لكلمات أبو محمود وأخذ يسأل نفسه "هل يمكن أن يكون هذا؟.. هل يمكن أن يتصادف هذا الأمر اليوم دون باقي الأيام؟.. ومن يكون إبراهيم هذا؟.. إنه بالتأكيد ليس هو إبراهيم الذي نحن نعرفه؟".

كان محمود أيضاً في ذهول وبذل أقصى ما في وسعه حتى لا يبدو عليه أي علامة من علامات الاستغراب. بادر أمين في هدوء بسؤال أبو علي قائلاً: "إن هذا سؤال في غاية الغرابة. هل استطعت الإجابة عليه؟". أجاب أبو علي قائلاً: "إن هذا السؤال كان بداية الحديث فدعني أكمل لكم باقي القصة." قال أمين: "نعم من فضلك أخبرنا."

استطرد أبو علي قائلاً: "بالطبع بعد أن طرح سؤاله هذا بدأت على الفور في سرد الآيات القرآنية التي تتحدث عن عدل ورحمة الله واستمع الرجل لي بينما أنا أسردها

ولكن عندما اعتقدت أن إجابتي له كانت مُقنعة عاود الرجل الكلام ثانية وقال: "إنه يدرك تماماً حقيقة الله العادل كونه إلهاً عادلاً ورحيماً ولكنه يرى تناقضاً بين هاتين الصفتين فتعجبت منه وبادرته بالسؤال: "وأين التناقض". فقال "إن هناك قصة تحكي عن محكمة لتنفيذ القانون وتقول هذه القصة إنه توجد محكمة تُدعى محكمة العدل وعُرضت على هذه المحكمة قضية رجل ارتكب جريمة قتل لرجل آخر" ثم بادرنا بالسؤال: "كيف ستحكم عليه هذه المحكمة؟" أجبناه جميعاً "بالطبع ستحكم هذه المحكمة على هذا الرجل بالإعدام حسب العدل". فاتفق معنا وقال لنا إننا أجبنا بالصواب. ثم استطرد يخبرنا عن محكمة أخرى لتنفيذ القانون وتُدعى محكمة الرحمة ومثلت أمامها نفس قضية هذا الرجل القاتل فكيف يكون حكم هذه المحكمة؟ فأجاب بعض الحاضرين وقالوا "يجب أن يُقتل هذا الرجل" والبعض الآخر قالوا "يجب أن يُحكم عليه بالسجن مدى الحياة" ثم نظر هذا الرجل إبراهيم إلىَّ وسألني: "وأنت ماذا تقول؟".

أخذت أتفحص كلمات هذا السؤال وأجبته قائلاً: "يجب أن يُطلق حراً" فقال لي: "بالصواب أجبت" ثم قال للحاضرين مرة أخرى: "أنا أريد أن أعود لسؤالي الأصلي وهو كيف يمكن أن يكون الله رحيماً وعادلاً في ذات الوقت؟ وهل رأيتم الفرق في الحكم بين المحكمتين؟ لذا أريد أن أسأل كيف يقدر الله أن يحاكمنا بكل من الرحمة والعدل دون أن يناقض نفسه؟".

ثم أمضينا أربع ساعات متواصلة ونحن نناقش فيها
هذا السؤال وأثناءها رفع بعض الرجال عدة مرات
أصواتهم في غضب وضيق متهمين هذا الشخص الزائر
بأنه يروج شائعات مغرضة ويشهر بالقرآن. إلا أن الشيء
العجيب في الأمر أن الرجل كان كلما تكلم لم يكن يرفع
صوته قط بل كانت إجابته في كل مرة أنه يبحث فقط
ليعرف ما إذا كانت هناك إجابة لسؤاله هذا في القرآن أم لا.
وفي نهاية الأمر عندما لم يجد هذا الرجل إجابة مقنعة له
وقف وقال: "بما أنكم لم تستطيعوا الإجابة على سؤالي
بإجابة مقنعة لذا عليّ أن أذهب وأبحث في الإنجيل فلقد
سمعت البعض يقول إنه توجد به إجابة على سؤالي هذا،
وأنا أشكركم فلقد أخذت الكثير من وقتكم."
وعندما مضى هذا الرجل تاركاً إيانا لم يتفوه أحد من
الرجال الحاضرين بكلمة، وفجأة شعرت أنا نفسي
بالإرهاق الشديد بطريقة لم أتمكن معها من الكلام، فعدت
إلى المنزل فوراً."

الفصل الرابع والخمسون

صاح حلیم.. "يبحث في الإنجيل!!! كيف يقول هذا الرجل مثل هذا الكلام؟ أعتقد أن هذا الرجل لا بد وأنه مُختل عقلياً!!"

قال أبو علي بنبرة حادة: "يا ابني اضبط نفسك وأنت تجلس" ثم نظر ثانية إلى أمين وأضاف قائلاً: "لو كان لديّ إنجيل في وقتها لكنت أقرأه على الفور لأنظر ما إذا كان كلامه هذا صحيحاً أم لا."

عندئذ قاطعه حلیم للمرة الثانية وقال: "أبي.. كيف تقول أنت مثل هذا الكلام؟"

وقبل أن يتمكن أبو علي من الإجابة تكلم أمين قائلاً: "يا حلیم.. إن أباك على صواب في رغبته أن يستمر في البحث عن إجابة هذا السؤال في الإنجيل. أليس مكتوباً في القرآن اذهب وأسأل أهل الكتاب؟!"

استمر أبو علي في الحديث دون تعليق على الحوار بين أمين وحلیم وقال: "على الرغم من أنه لم يكن ممنوعاً أثناء دراستي للعقيدة الإسلامية قراءة التوراة والإنجيل، لذا فأنا نادم الآن على أنني أضعت فرصة قراءة التوراة والإنجيل، ربما لو كنت قرأتها لاستطعت الإجابة على سؤال هذا الرجل في الحال. أمين.. يبدو عليك أنك تعرف شيئاً عن هذا الدين.. هل قرأت الإنجيل من قبل؟"

شعر أمين بداخله بسعادة غامرة حيث أنه قد فُتح له باب المناقشة على مصراعيه. لكنه يعرف أنه يجب أن

يكون أكثر حرصاً لذا انتهز هذه الفرصة وأجاب على سؤال أبو علي وقال: "في الحقيقة يا سيدي لقد قرأت الإنجيل."

بادره أبو علي بالسؤال: "هل توافق على أن الإجابة على هذا السؤال توجد فعلاً في الكتاب المقدس؟"
أجاب أمين: "أعتقد أنه يمكن أن توجد يا سيدي."
فطلب الأب: "هل يمكنك أن تشاركنا بإجابة هذا السؤال؟"

تنفس أمين الصعداء بينما أحنى محمود رأسه ليصلي، أما حليم الذي أراد في وقت سابق أن يغادر المنزل مسرعاً، فتسمر في مكانه على مقعده وكله أذان صاغية لما سوف يتكلم به الضيف.

بدأ أمين يقول: "أنا لا أتجرأ يا سيدي أن أدعي بأنني أكثر منك علماً بهذا الموضوع الذي نناقشه فأنت درست الفقه سنيناً طويلة وتُعلم وتعظ في الجامع. لكن كل ما يزيد هنا هو أنني قرأت الإنجيل كما أن هذا الكلام ليس من عندي لكنه كلام الإنجيل، فلذا ليس لي أي فضل لمعرفتي الإجابة فلقد كتب الله إجابته في كتابه. فعندما تتاح لك الفرصة لقراءة التوراة والزبور والإنجيل سوف تجد كما في القرآن أن الله إله العدل وإله الرحمة. وصفاته هذه لا تتعارض مع بعضها كما لا نستطيع إنكارها. فتوجد آية في الإنجيل هذا نصها: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" فالإنسان إذاً ساقط بسبب الخطية ولا يستطيع المثول في محضر الله والوقوف أمامه وإقامة علاقة معه، كما أن

هناك آية أخرى هذا نصها: "لأن أجرة الخطية هي موت" وهذه توضح عدل الله، والإنسان يستحق الموت من أجل خطايه والنار هي المصير الوحيد لنا جميعاً. وبينما أشار الرجل في سؤاله عن الحقيقة إلى أن الله مطلق الرحمة فهو في ذات الوقت يتوق لأن يغفر للإنسان خطيته ويمنحه حياة أبدية في محضر الله. وهنا نجد مأزقاً فإذا سامح الله الإنسان فإنه ينكر عدله أما إذا أخذ العدل مجراه فأين رحمته؟ ويقدم الإنجيل هنا الإجابة التي لا تستطيع أن تجدها في القرآن.

وعلى الرغم من ذلك فقبل أن أخبرك بالإجابة يجب عليك أن تعدني بأنك لن تستاء مني لكن فقط اسمح لي أن أقدم لك ببساطة ما قرأته في الإنجيل. "توقف أمين للحظات عن الكلام كي ما يعطي الفرصة لأبو علي للإجابة وعندئذ ساد الصمت التام الغرفة في هذه اللحظات. وبعدها تكلم أبو علي قائلاً: "جميعنا رجال ناضجون فكرياً ونحن نطلب من الله الحكمة ومعرفة الحقيقة. وسوف أحترم رأيك ولن أتصيد لك شيئاً.. إذاً تفضل وتكلم..."

أجاب أمين: "أشكرك".. ثم أكمل حديثه من حيث توقف وقال: "إن النص في الإنجيل يوضح تماماً أن عدل الله ورحمته يتقابلان في صليب عيسى المسيح أو يسوع كما يُشار إليه في الإنجيل، وأنا لن أحاول عمل مقارنة بين ما يقوله الإنجيل أو القرآن في هذا الموضوع ولكنني سأقدم

فقط ما يقوله الإنجيل حيث أننا نعرف جيداً ماذا يقول
القرآن الكريم.

فهناك فقرة جميلة في الإنجيل تقول: "هوذا فتاي الذي
اخترته. حبيبي الذي سُرْتُ به نفسي أضع روحي عليه
فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في
الشوارع صوته. قسبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة
لا يطفئ حتى يُخرج الحق إلى النصر. وعلى اسمه يكون
رجاء الأمم."

وطبقاً للإنجيل فإن الله صنع طريقاً لنجاة الإنسان فقدم
ذاته كضحية وأخذ العقاب الذي يستحقه الإنسان. يسوع
المسيح كلمة الله جاء إلى الأرض آخذاً شكل إنسان ومكث
ثلاثة سنين من حياته يعلم الناس عن الملكوت الذي جعله
الله للناس وكيف يمكن أن يكون كل إنسان جزء من هذا
الملكوت إن آمن بالمسيح واتبع تعاليمه.

إن أقصى ما عمله في فترة وجوده على الأرض هو
أنه قدم نفسه برغبته كذبيحة على الصليب. لقد سمح الله أن
يموت يسوع المسيح بهذه الطريقة البشعة حتى يدفع ثمن
خطايانا وبهذا يكمل عدل الله. وكل من يقبل عمل المسيح
يقبل أيضاً رحمة الله له ويعترف الله به في ملكوته.

وهكذا استطاع الله أن يُظهر رحمته وعدله دون
تناقض، وكل ما هو مطلوب من الإنسان فقط أن يختار. إما
أن يقبل موت المسيح الكفاري على الصليب وعطية الله
لخلاصه الأبدي أو يرفض هذا ويدفع ثمن خطاياه بنفسه
وهو عذاب أبدي في النار. لقد قدم الله الرحمة في موت

المسيح، وبدون الصليب ينبغي علينا أن نواجه عدل الله بمفردنا.

فإن كنت أنا على صواب يا سيدي في تقييمي هذا فأنا أظن أن تلك هي الإجابة التي يمكنك أن تجدها في الإنجيل، ولكن أطلب إليك أن لا تأخذ كلمتي على أنها غير قابلة للنقاش بل أنا سأكون سعيداً إن أحضرت لك نسخة من الكتاب المقدس إذا أردت أن تتحقق بنفسك من هذا الأمر." كان أبو علي يجلس في صمت يفكر بعمق بينما كان هناك شخص آخر في الغرفة يكاد ينفجر من الغضب ويجلس مترقباً الفرصة للكلام فقال: "كيف لك أن تتكلم بمثل كلام الكفار هذا في بيتنا؟ ومن أعطاك الحق في التحدث مع أبي بهذه الطريقة؟ ثم كيف تجرأت يا محمود لتدعو مثل هذا الرجل إلى بيتنا!!". هكذا تحدث حليم بعاصفة شديدة من الغضب والحقد.

صاح أبو علي في وجه حليم بما له من سلطان قائلاً: "اصمت" مما جعل الجميع يلتزمون الصمت التام. ثم استطرد أبو علي يقول: "حليم.. هذا ليس أسلوباً تكلم به ضيفنا، فمن فضلك تفضل وانصرف الآن من هنا." وهنا استشاط حليم غضباً من توبيخ أبيه له لكنه في ذات الوقت لم يجرؤ على معارضة أبيه. فلذا أسرع مندفعاً إلى خارج المنزل وأغلق الباب خلفه بعنف، وبمجرد أن خرج حليم من المنزل عادت الأنظار تتجه إلى أبو علي وتترقب ماذا سيكون رد فعله على كلام أمين الذي سمعه هذا.

وبعد أن هدأت العاصفة بخروج حليم من المنزل قال أبو علي موجهاً كلامه لأمين: "يا أستاذ أمين لقد قلت لك من قبل أنك فعلاً شاب غير عادي وأنا أجذك مغرمًا بهذا الكلام فهل أنت تؤمن بهذا الكلام الذي قرأته؟".

حتى هذه اللحظة كان أمين يقدم حقيقة الإنجيل دون أن يُظهر هويته أما الآن فهو يواجه سؤالاً صريحاً لا يستطيع الهروب من الإجابة عليه أو الكذب ولذلك أجاب قائلاً:

"نعم أؤمن بهذا الكلام يا سيدي."

فسأله أبو علي مباشرة: "هل أنت أصبحت مسيحياً يا ابني؟".

قال أمين: "إن كلمة مسيحي قد أخذت معاني كثيرة جداً على مر العصور يا سيدي فلذا أنا أمتنع عن وصف إيماني بهذا المصطلح وأفضل الإجابة على سؤالك لي بالقول أن لديّ علاقة شخصية مع الله."

وجد أبو علي نفسه في مواجهة موقف جديد فأخذ يفكر لبعض الوقت قبل أن يستطرد في الكلام وعندئذ تكلم محمود فجأة بعد صمت طويل وهو يستمع إلى الحديث الدائر بين أمين وأبيه فقال: "يا أمين كيف تستطيع أن تقول أن لك علاقة شخصية مع الله؟" سأل محمود هذا السؤال ليسمح لأبيه بفرصة أطول في التفكير وليساعد أمين في دفع الموضوع إلى عمق أبعد.

حاول أمين أن يبتسم قليلاً على الرغم من أنه كان متوتراً نتيجة رد فعل أبو محمود المحتمل حدوثه وأجاب قائلاً: "أنا أعلم أنه من الغريب أن أستخدم مثل هذا

المصطلح ولكنه أفضل تعبير على الاطلاق في وصف ما حدث في حياتي ."

واستطرد يقول: "إذا رجعنا بتفكيرنا إلى قصة الخلق حيث خلق الله آدم وحواء ولقد كانا في أبهى صورة بدون خطية وعاشا في جنة عدن في انسجام وتوافق تام مع الله. كان الله عز وجل يسير ويتكلم معهما في الجنة إذ كانت لهما علاقة مع الله. كان قصد الله الأساسي من خلقه للإنسان هو أن يكون له علاقة وشركة معه. واستمرت هذه العلاقة حتى أخطأ بأكلهما من ثمار شجرة معرفة الخير والشر. وبمجرد دخول الخطية في الإنسان وبالتالي في كل الخليقة صار الإنسان منفصلاً عن الله. واختبأ آدم خلف الشجرة لأنه فجأة أدرك أنه عريان وخجل. ثم طردهم الله من الجنة. وهكذا انقطعت العلاقة بهما.

وهكذا جاء المسيح خصيصاً ليسترد تلك العلاقة عينها بواسطة موته وقيامته. فهل توافقني على أنه بينما موت المسيح يحقق عدل الله فإن قيامته من الأموات تسترد العلاقة المقطوعة بين الله والإنسان؟ لذا فنحن بواسطة المسيح يمكننا التقرب إلى الله عن طريق الصلاة. فأنا لم أعد أردد الصلاة التقليدية غير واثق إن كان الله يسمعني أم لا، أما الآن فأنا أسكب أعماقي أمام الله مشاركاً برغباتي وطلباتي وهو يجيبني بالتحدث إلى قلبي أو من خلال كلمته وأنا أعلم متى يتحدث إليّ."

قال أبو علي: "يجب عليك أن تتوقف الآن يا ابني..

فلقد سمعنا منك أكثر مما نحتمل في ليلة واحدة."

أجاب أمين في خجل: "أنا متأسف يا سيدي إن كنت
تكلمت أكثر مما يجب فأنا لم أرد أن أضايقك."
أجاب أبو علي: "أنا لم أقل أننا تضايقنا يا سيد أمين.
ولكنني أعتقد أنه قد وضحت الصورة أمامنا بالنسبة لما
حاولت أن تقوله لنا ولقد أنرت عقولنا وزودتنا علماً وربما
تكون لنا فرصة أخرى نستكمل فيها مناقشاتنا في يوم لا
أكون مرهقاً فيه مثل هذا اليوم."

قال أمين متمنياً: "بالتأكيد يا سيدي.. في أي وقت
تريده. أشكرك بشدة على حفاوتك وضيافتك لي اليوم وعلى
الطعام الشهي فلقد غمرتني بكرم ضيافتك. لذا اسمح لي أن
أذهب الآن على أن أراك مرة ثانية في القريب العاجل."
أجاب أبو علي: "مرحباً بك في بيتنا يا ابني. قم يا
محمود واصطحب صديقك مودعاً إياه للخارج."
أجاب محمود: "حاضر يا أبي."

صافح أمين باقي إخوة محمود الذين كانوا يلتزمون
الصمت طوال الزيارة.

صافح رمزي أمين بحرارة ضاغطاً بكلتا يديه وهو
يقول له: مع السلامة ونظرة غير عادية من عينيه، فابتسم
أمين له وقال له بمودة ودفء: "أتمنى أن يكون لدينا
فرصة أكبر للكلام معاً في المرة القادمة يا رمزي كما
أتمنى لك التوفيق في امتحاناتك."

اصطحب محمود صديقه إلى الخارج ثم نزل معه
السلم ليودعه وقد أحاط أمين بذراعيه وهو يقول له:

"أمين.. أشكر الله جداً لمجبتك اليوم. كيف كنا سنعرف ماذا حدث في الجامع هذا اليوم. ألا ترى إنه إله عجيب؟".
أجاب أمين: "حقاً لقد كان الله عجيباً حيث أنه جهز والدك لسماع الرسالة هذه الليلة يا صديقي. وأنا أتمنى أن لا يستاء من كلامي أو يمنعك من رؤيتي مرة أخرى نتيجة زيارة هذا المساء. وإن كان لديك وقت تعال لمنزل إبراهيم غداً ظهراً وسوف أحضر لنصلي معاً بخصوص هذا كله".
أجاب محمود: "سأحاول أقصى ما في وسعي وأشكرك ثانية.. تصبح على خير."

بعد أن مضى أمين هرول محمود مسرعاً صاعداً السلم على أمل أن يرى أباه قبل أن يخلد إلى النوم. فلقد أراد أن يعرف مشاعره بعد ما قد سمعه هذا المساء، ولكن للأسف الشديد وجد أباه بالفعل ذهب لينام في غرفته.
نظر محمود داخل المطبخ فوجد أميرة وحدها تقوم بغسل الفناجين فسألها: "أين أمي؟".
أجابت أميرة: "أبي طلب منها أن تحضر للنوم معه في غرفته."

سألها محمود: "هل قال أبي أي شيء؟".
قالت أميرة: "لا.. لم يقل أي شيء كما لم يبد أية مشاعر."

قال محمود: "آه.. بمناسبة المشاعر.. لقد لاحظت أن هناك مشاعر بينك وبين أمين.. كيف هذا؟ هل تلاقيتما من قبل؟".

الفصل الخامس والخمسون

تجمد تفكير أميرة إذ لم تكن تعرف بماذا تجيب على سؤال محمود المباشر لها. فلقد حاولت مراراً كثيرة أن تتجنب النظر إلى أمين أثناء العشاء لكن في أوقات عديدة لم تستطع أن تفعل هذا. لا بد وأن محمود لاحظ تبادل نظراتهما كل منهما للآخر.

فماذا تقول؟ وكيف تجيب؟ كم تمنيت لو كان لديها الوقت الكافي لتفكر في إجابة مناسبة. عندئذ قطع محمود صمتها قائلاً: "أميرة.. لقد سألتك سؤالاً.. هل سمعتيني؟". قالت: "نعم.. نعم يا أخي لقد سمعتك.. أنا متأسفة. محمود ألا ترى كيف يعمل الله في عائلتنا بطريقة مذهلة!!"

أجابها وعلامات التساؤل في عينيه: "نعم.. هذا صحيح."

قالت: "كم أنا متأكدة أن صديقك أمين كان له تأثير عميق على والدك هذه الليلة. ويجب أن تعرف يا محمود أنك لست الشخص الوحيد الذي عرفه أمين بالرب يسوع". سألتها: "ماذا تقصدين يا أميرة؟". قالت: "هل تذكر عندما أخبرتك أُمي عن كيف عرفنا المسيح؟".

أجابها: "نعم.. أذكر". قالت: "حسناً.. لقد سمعت عن المسيح في ذات التاكسي الذي أنت سمعت فيه."

صاح متعجباً: "ماذا؟!؟"
قالت: "إن أمين هو سائق التاكسي الذي استقلته إلى
المستشفى لزيارة أمي."
قال محمود متسائلاً: "حقاً؟!.. ولماذا لم تخبريني بذلك
من قبل؟!"

أجابت أميرة: "أنا كنت أخشى ذلك يا أخي. فلم أكن
أدري ماذا سيكون رد فعلك تجاه هذا الموقف. وكنت أخشى
أن تغضب مني وتتخيل أموراً أخرى."
أجاب محمود بعد لحظة من التفكير: "أظن أن لديك
حقاً في تفكيرك هذا لكن كم هو عجيب حقاً أن الله يستخدم
أمين في حياتي وحياة أمك والآن في حياة أبيك."
ثم استطردت أميرة تقول: "نعم لقد رتب الله أمين في
عائلتنا لغرض لا يمكن أن نتصوره."
قال محمود فجأة: "إنه من المؤسف أنك لم تتمكني من
الحديث معه."

أخذت أميرة على حين غرة وقالت: "لقد كان من
الصعب عليّ أن أفعل هذا أمام أبيك حيث لن يسمح لي أبداً
بهذا."

أجاب محمود: "أنت على حق.. وعلى أي حال لو نال
أمين إعجاب أبي بعد زيارة هذه الليلة فلا بد أنه سيحضر
مرة أخرى لزيارتنا."
قالت أميرة وهي آملة: "نعم.. وسوف نصلي من أجل
هذا.. تصبح على خير يا محمود."
ردد محمود قائلاً: "تصبحين على خير يا أختي."

ذهبت أميرة إلى حجرة نومها وارتمت على سريرها فور اغلاق الباب خلفها. وظلت تنتظر إلى سقف الحجرة رافعة صلاتها إلى الله "يارب أشكرك لأنك ساعدتني في الرد على محمود ولأنك أعطيتة عقلاً متفتحاً وفهيماً ولم يشك في شيء من جهتي. أشكرك يارب على معونتك لي أثناء وجود أمين معنا هذه الليلة. أشكرك على كل ما فعلت لتؤثر في نفس أبي من خلاله. يارب أنت وحدك تستطيع أن تغير قلب أبي وأنا أستودعه في يديك. من فضلك أعط أمي الحكمة وهي تقضي الوقت معه واحمنا جميعاً من بطشه إن كان قد أغضبه شيء في هذه الليلة. أشكرك.. أشكرك ياربي وإلهي لأنك سمحت لي أن أرى أمين مرة أخرى وأنا أتق أنه بين يديك. في اسم المسيح أمين."

لم يكن محمود وأميرة هما الوحيدان اللذان تحدثا عن زيارة أمين لهما. لكن أبو علي أيضاً بعد أن دخل غرفة نومه الهادئة مسرعاً بدأ يتحدث مع أم علي وهو مسترخ على سريريه بخصوص الزائر الغريب فقال متسائلاً ودون مقدمات: "ما رأيك يا زوجتي في ضيفنا الشاب هذا المساء؟"

أجابت أم علي: "لقد كان وصفك دقيقاً جداً يا زوجي وخاصة عندما قلت إنه شخص غير عادي. ولكن دعني أقول لك إنه غير عادي في نواحي إيجابية ألا ترى هذا؟"

قال: "على الرغم من أنني أعلم أنه كان يجب علي أن أفتك به عندما قال إنه يؤمن بعبسى إلا أن شيئاً ما بداخلي

جعلني أصمت حتى أسمع ما سيقول وبالفعل وجدت تفسيره للإيمان يختلف تماماً عما سمعته من قبل.

قالت أم علي: "نعم.. لقد قال لنا الكثير لنفكر فيه"..

أجاب أبو علي وهو شارد بذهنه وبعينه بعيداً: "نعم".

في صباح اليوم التالي وجدت أميرة نفسها مع أمها على انفراد ليتحدثا معاً عن أحداث اليوم السابق وذلك بعد خروج أبو علي إلى الجامع. فأخذت أميرة أمها بسؤال محمود لها وهذا الخبر أسعد أم علي كثيراً حيث أنها كشفت أخيراً الحقيقة لأخيها بصدق وأمانة ثم قالت أميرة: "لكن يا أمي بالطبع هو مازال لا يعرف كل شيء".

قالت أم علي: "نعم لكن على الأقل هو الآن يعرف أنك تعرفين أمين.. وهذه هي البداية".

قالت: "ولكن ماذا عن أبي؟ ماذا قال عن أمين؟ هل كان غاضباً أو منزعاً؟".

أجابت: "بصراحة لقد كان من الصعب عليّ أن أفهم مشاعره أو انطباعه بخصوص هذه الزيارة با بنتي ولكن يمكنني أن أقول إنه كان مستغرقاً في التأمل والتفكير ولم يصرح علانية بأنه منزع أو غاضب وأنا أمل أن تكون هذه علامة على أن الله يتعامل مع قلبه والزمن كفيل بأن يوضح لنا ماذا سيحدث".

في ظهيرة ذات اليوم أسرع محمود إلى بيت إبراهيم بعد انتهائه من محاضراته على أمل أن يرى أمين كالخطط الذي رسموه لأنفسهم.

رحب إبراهيم بمحمود مصافحاً إياه بحرارة أما أمين فلم يكن قد حضر بعد. وبدأ محمود على الفور يشارك إبراهيم بزيارة أمين لمنزل عائلته وبعد أن قص عليه ما حدث مع والده في الجامع صباح ذات اليوم نظر إبراهيم له باستغراب حتى صار وجهه أبيض من شدة الدهشة وقاطعه فجأة متسائلاً: "هل يمكن أن يحدث مثل هذا؟ هل يمكن أن أكون قد ذهبت إلى الجامع الذي يصلي فيه أبوك في نفس اليوم؟".

رد محمود: "إذا أنت هو الرجل! لقد تساءلنا مع أنفسنا كثيراً هل هذا الرجل هو إبراهيم الذي نحن نعرفه جيداً أم لا؟".

وفي هذه اللحظة دق جرس الباب وبمجرد أن دخل أمين إلى الحجرة قال له محمود: "إبراهيم هو الرجل يا أمين فهل تصدق هذا؟".

نظر أمين إلى محمود وهو في ذهول وقال: "أحقاً يا إبراهيم؟! هل ذهبت إلى الجامع وطرحت عليهم مثل هذا السؤال؟ ألم تفكر في مدى خطورة هذا الأمر؟".

بدأ إبراهيم يشرح لهم قائلاً: "سأخبركم يا أصدقائي أنها المرة الأولى والوحيدة التي قمت فيها بهذا العمل ولكن الرب هو الذي دفعني بقوة لأعمل هذا العمل. فبينما كنت أقرأ كلمة الله في مساء الليلة السابقة على هذا اليوم لفت انتباهي هاتان الكلمتان طوال الوقت "العدل والرحمة" ولقد قرأت كتاباً من قبل عن مفهوم الله العادل والرحيم وكان لهذا الكتاب تأثير على حياتي مما دفعني للإيمان بالله.

وأدركت أن الله يضع أمامي باستمرار هاتين الكلمتين ويريدني أن أشارك الآخرين بهما. فإذا كان الله قد سبق ولمس حياتي بواسطة هذه الصورة التوضيحية إذاً يمكنه أن يفعل نفس الشيء مع الآخرين أيضاً. بعدها مباشرة طرأت على ذهني فكرة الذهاب إلى الجامع لطرح هذا السؤال.

وقد بدا الأمر في غاية البساطة فأنا مجرد باحث في الدين فلذا كان من الطبيعي أن أذهب إلى الجامع للحصول على إجابات عن هذه التساؤلات التي تدور في ذهني. ولم أتخيل يوماً ما أن أذهب إلى الجامع الذي يصلي فيه أبوك كما لم أتخيل أن تكون هذه الزيارة للجامع في يوم زيارتك يا أمين. فالله وحده فقط هو الذي يستطيع أن يجهز هذا التخطيط مجداً لاسمه."

جلس أمين ومحمود في صمت دون حراك وهما في ذهول يسمعان عن تعاملات الله العجيبة. أخذت الدموع تنساب على وجه محمود ورفع صوته في صلاة قائلاً: "آه.. يارب إلها كم أن اسمك عظيم في كل الأرض فأنت مستحق المجد والكرامة. أقف أمامك في رهبة من طرقك العجيبة. إن طرقك ليست كطرقنا لكن طرقك كاملة.

أشكرك لأجل قيادتك لإبراهيم للجامع ليسأل هذا السؤال الرائع الذي به أوجد رغبة في قلب الحاضرين للبحث عن إجابة لهذا السؤال، أشكرك لأنك قدتني لأدعو أمين لزيارة بيتنا كما أشكرك لأجل الطريقة التي استخدمت بها أمين لتوصيل رسالتك إلى قلب أبي وعلى الطريقة التي رسمتها

لهذا اللقاء فأنا أعلم أن لك خطة في حياة أبي. أنا أستودعه بين يديك فمن فضلك افتح قلبه ليقبل محبتك له. في اسم يسوع. آمين."

صلى إبراهيم وأمين أيضاً شاكرين الله لأجل كل ما يعمل في حياة عائلة محمود. ذكروا في صلاتهم كل فرد من العائلة باسمه وطلبوا من الرب أن يبارك كلاً منهم بصفة خاصة.

تشجع محمود كثيراً من هذه الفترة التي قضوها في الصلاة كما انتعش إيمانهم جميعاً إذ رأوا الله وهو يعمل بوضوح في العالم.

نظر محمود قبل أن يغادر منزل إبراهيم إلى أمين وقال: له "بالمناسبة أنا الآن أعرف شرك يا صديقي..". شعر أمين بصدمة شديدة من هذه العبارة فبادره بالسؤال: "وما هو هذا السر؟".

أجاب محمود بابتسامة: "السر الذي بينك وبين أختي." لم يعرف أمين كيف يجيب على سؤال محمود فبادره بالسؤال قائلاً: "هل يمكن أن توضح لي أكثر؟". أجاب محمود: "لماذا لم تخبرني أنك أنت الذي قدمت لها المسيح؟".

قال أمين وقد شعر بارتياح: "آه.. هذا.. لم أكن متأكداً من أنك ستفهمني جيداً لو أخبرتك عن هذا.. لذا فكان من الأفضل أن تعرف هذا من أختك."

قال محمود: "حسنًا.. لقد عرفت الآن وأعتقد أنه شيء رائع جداً!! ولقد قلت لها أنه من المؤسف أنه لم تكن هناك فرصة لكما للحديث سوياً."

قال أمين بصوت به أسف: "هذا صحيح."

الفصل السادس والخمسون

عد عدة أيام من زيارة أمين لمنزل أبو علي، أصبح أبو علي يفكر كثيراً ويتأمل مما انعكس على مزاجه وأسلوب حياته. فكلما وجد وقت فراغ أثناء وجوده بالجامع أخذ يتصفح القرآن مرة ومرات من بدايته لنهايته ليبحث عن أي شيء له علاقة بالسؤال الذي طرحه إبراهيم عليهم في الجامع. على الرغم من أنه لم يكن سؤال إبراهيم فقط هو الذي يؤرقه لكن أيضاً كلام أمين له.

لقد تحدث أمين عن أن له علاقة بالله. كيف يمكن أن يكون هذا؟ فمن وجهة نظر أمين هو أن الهدف الرئيسي لخلق الإنسان هو أن يكون لله علاقة مع الإنسان. يبدو أن هذا هو الكفر بعينه. ولماذا الله البعيد والغامض هذا يريد أن يكون له علاقة مع مخلوقاته؟ وهل هو في حاجة لهذه العلاقة؟ إنه الله!!

حاول أبو علي بكل الطرق والوسائل أن يطرد هذه الأفكار من عقله إلا أنها ظلت تطارده على مدار 24 ساعة وبشكل متصل لعدة أيام لدرجة معها أصبح سريع الانفعال وثنائراً على كل من حوله. لأنه كان يخشى أن يكتشف أحد شكوكه وتساؤلاته التي كانت تدور في عقله. كما انعكس هذا على تصرفاته مع عائلته حيث بدأت عائلته تعاني مرة أخرى وذلك لأنه لم يشعر بالراحة في وجوده وسط أبنائه وزوجته حيث أنهم يعلمون بكل ما دار في الزيارة وهو يتخيل أنهم ربما يشكون في عدم كفاءته حيث أنه لم يكن له

موقف واضح إزاء القضايا والأسئلة التي طُرحت في تلك الليلة فلذا بدأ أبو علي الابتعاد عن جميع أفراد الأسرة ويتحاشى الكلام على مائدة الطعام.

لاحظت أم علي التغيير الذي طرأ على زوجها وبدأت تقلق على حالته العقلية لذا أخذت هذا الأمر ووضعت أمام الرب في الصلاة.

وعلى الرغم من أنها لم تكن متأكدة عن ماذا يحدث مع زوجها إلا أنها كانت تعرف أن الأمر مرتبط بزيارة أمين لهم. وذات ليلة وبعد قضاء وقت عصيب وبالتحديد على العشاء دخلت أم علي إلى غرفة نومها مبكرة لتقرأ مزموراً وتصلي قبل أن تخلد إلى النوم. وكانت أم علي دائماً تجد الراحة والعزاء في قراءتها لمزامير النبي داود وقد وثقت أن الرب سيعطيها راحة قلبية في هذه الليلة.

كان أبو علي لا يزال جالساً يتحدث مع حليم في الصالون لذا انتهزت أم علي الفرصة لتقرأ الكتاب المقدس. "يارب قد اخترتني وعرفتني. أنت عرفت جلوسي

وقيامي. فهمت فكري من بعيد. أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. لأنك أنت اقنيت كليتي، نسجتني في بطن أمي. أحمذك من أجل أنني قد امتزت عجباً. عجيبة هي أعمالك ونفسي تعرف ذلك يقيناً. رأت عيناك أعضائي وفي سفرك كلها كتبت يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها. ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جمالتها! اخترني يا الله وأعرف قلبي. امتحني واعرف أفكارني وأنظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً."

ومن روعة كلمات المزمور الذي كانت تقرأه أم علي
لم تسمع وقع الأقدام التي تقترب من الحجرة إلى أن فُتح
الباب فجأة ووقف أبو علي ينظر إليها والكتاب بيدها
فسألها: "ما هذا الذي تقرأينه يا زوجتي" أثناءها تقدم
نحوها وأخذ الكتاب من يديها وقبل أن يسمح لها بالإجابة
صاح "الكتاب المقدس! كيف حصلت عليه؟ ولماذا
تقرأينه؟".

أخذت أم علي نفساً عميقاً من روعها وأجابت برقة
على قدر المستطاع "لقد وجدت كلماته تريحني يا زوجي.
وقد أحضرته لي صديقة منذ زمن طويل وأنا أستمتع
بقراءته من وقت لآخر. وبينما كان أبو علي يسمع لها دون
أن يقاطعها انتهزت أم علي الفرصة واستطردت تقول:
"كما أنني أردت أن أقرأه لعلّى أجد ما يساعدني في معرفة
هل ما قاله أمين حقيقة أم لا؟"

وهنا تغير أبو علي في تصرفاته بالكامل، فبينما كان
رد فعله الأول أن يهذب زوجته بطريقة ما إلا أنه رأى
الآن أنها فرصة له لبحث الكتاب المقدس . وعلى الرغم
من أنه لم يرد أن يظهر لها رد الفعل هذا بسهولة لذا قال
لها: "كيف يتسنى لك أن تقتني هذا الكتاب في بيتي! وهل
أخذت رأيي في الاعتبار قبل قبولك لهذه الهدية؟".

قالت: "أنا متأسفة جداً يا زوجي، فلم أكن أقصد أن
أخالف رأيك. يمكنك أن تأخذه إذا لم تكن تريدني الاحتفاظ
به."

أجابها بلهجة مهذبة: "يا إيمان أنا لست أمانع أن تقرأى الكتاب المقدس، لكن يهمنى أن أعرف ماذا تقرأين. سأخذ هذا الكتاب لأقرأه أولاً ثم أعيده إليك ثانية بعد أن أعرف ما فيه، وبالمناسبة ما الذي كنت تقرأينه وتقولين إنه جلب لك الراحة."

أخذت أم علي برفق الكتاب من يده وفتحته مرة أخرى على زمور 139 الذي كانت تقرأه. وكانت عيناه تتحرك بسرعة على كلمات هذا المزمور وعندها شعر أنه غير قادر على التحكم في مشاعره. وقد كانت هذه الكلمات تعبر عن أن هذا الشخص على علاقة حميمة مع الله. كيف يمكن أن تصدر هذه الكلمات من الكاتب لخالقه؟ فكر أبو علي مع نفسه قائلاً: "ما الذي يمنعني أن آخذ هذا الكتاب وألقيه في النار". تمالك أبو علي نفسه على الرغم من أنه غير قادر على ضبط مشاعره وأخذ الكتاب وأغلقه فجأة ثم قال: "اذهبي إلى الفراش يا زوجتي وسناقش هذا الأمر في الصباح."

أطاعت أم علي زوجها دون أن تنطق بكلمة أخرى مدركة في قلبها أن الله يعمل في حياة زوجها. وبينما هي ترقد على السرير أخذت تصلي إلى الله حتى ما تخرق كلمته نفس أبو علي وتتلامس مع قلبه، ثم نامت في سلام هذه الليلة.

شاركت أم علي في أول فرصة ابنها محمود عن ما حدث مع والدهم بخصوص الكتاب المقدس وشكروا الله على أن أباهم لم يوقع الأذى عليها. عندئذ عانق محمود أمه

وقال لها إنه سيشاركها في الصلاة من أجل أبيهم حتى ما يعرف المسيح.

وبعد أيام قليلة من هذا الأسبوع قال محمود لأبيه: "إن صديقي أمين يهديك تحياته يا أبي. كما يسأل عنك إن كنت بخير ويقول دائماً أنه استمتع جداً بلقائك."

ابتسم أبو علي لابنه وقال: "نعم.. أمين شاب لطيف واخبره بأنني أرحب به في منزلنا في أي وقت." قال محمود والسرور يملأ وجهه: "سأخبره يا أبي ... أشكرك."

ما لم يكن محمود أو أي شخص آخر من العائلة أو الأصدقاء يعلم أن "أبو علي" كان يلتهم كلمات الكتاب المقدس بطريقة لم يصدقها هو نفسه. وحيث إنه بدأ يقرأ من سفر التكوين فقد وجد بسهولة قصة الخليقة التي شارك بها أمين معه. وكذا أدرك أن هذا الكتاب بدا وأنه يتحدث كثيراً عن علاقة الله بالناس وبني إسرائيل وبينما كان يقرأ ظهرت أمامه الحقيقة وهي أن ليس آدم وحواء وحدهما اللذين أخطأوا وقطعا علاقتهما بالله بل أن أبناء إسرائيل أنفسهم وهم الشعب المختار من الله نقضوا العهد أيضاً مع الله.

ثم بدأ أبو علي في قراءة الجزء الذي يتكلم عن يسوع المسيح. وعلى الرغم من أنه وجد بعض الأمور المتشابهة إلا أنه رأى المسيح هنا بطريقة تختلف عما رآه في القرآن. ثم استمر يقرأ رسائل الرسول بولس وغيره والتي تتحدث

عن كيف يسلك تابعو المسيح في حياتهم وكيف تكون
علاقتهم مع بعضهم البعض.

ولشدة دهشته مما قرأه في الكتاب المقدس بدأت تدور
في ذهنه أسئلة كثيرة فهل يمكن لأمين في زيارته القادمة
لهم أن يرد على ولو بعض الأسئلة التي تدور في ذهنه
وتسبب له اضطراباً؟ لكنه كان في ذات الوقت لا يريد أن
يتناقش مع أمين أمام أولاده حتى لا يظهر أمامهم وكأنه
متعاطف مع المسيحية، لذا أخذ يفكر في طريقة بها يكون
منفرداً مع صديق محمود.

الفصل السابع والخمسون

منذ أن زار أمين هذه العائلة أخذ يصلي يومياً لأجل كل فرد من أفراد عائلة أميرة. وبدأ يتولد بداخله شعور من الله أن عليه الكثير ليفعله مع أفراد هذه العائلة. فصلى بصفة خاصة لأجل أبو علي وعلى الأخص بعد ما سمع من محمود أنه الآن يقرأ الكتاب المقدس.

لقد كان متأكداً أن الله يعمل شيئاً ما في قلبه. وكلما كان يفكر ويصلي لأجل الحياة الروحية لهذه الأسرة لم يكن يستطيع أن يمنع تفكيره في أميرة. وبالتأكيد إن كل هذا لم يحدث فقط ليقود هذه الأسرة للمسيح لكن أيضاً ليفتح الطريق أمامه للزواج من أميرة. كيف ومتى.. كل هذه الأسئلة كانت تدور في ذهنه. وعندما أخبره محمود بدعوة أبيه المفتوحة له لزيارتهم رأى في هذه الدعوة الفرصة لتجديد العلاقة وربما امكانية إظهار مشاعره مرة أخرى تجاه أميرة. وقد كان يعرف أن هذا الأمر في غاية الخطورة.

بعد أيام قليلة وبينما كانت العائلة تهم بالجلوس على مائدة الطعام لتناول العشاء رن جرس التليفون وكان أبو علي يمر بالقرب منه فرفع السماعه وبدأ يقول: "أهلاً.. نعم أنا.. كيف حالك يا أستاذ أمين؟ نعم بالتأكيد أحب أن تزورنا مرة أخرى.. هل لديك وقت غداً عصراً لتمر عليّ في مكتبي؟ نعم، بالضبط هذا هو الجامع. في الساعة الثالثة عصراً؟.. حسناً أراك هناك غداً.. مع السلامة."

تبادلت أميرة ومحمود نظرات الاستغراب بينما كانا يستمعان لحديث أبيهم في التليفون. فأخذت تدور في ذهنهما بعض الأسئلة. لماذا لم يدع أمين إلى المنزل؟ أليس هو صديق محمود؟ هل هو يخطط له مكيدة للهجوم عليه في المسجد؟ يجب أن نخبر أمين ليأخذ حذره.

وعلى الرغم من أن هذه الأسئلة كانت تدور برأسيهما إلا أن أباهم أراح بالهما إذ قال في أثناء تناول العشاء "كان هذا صديقك أمين يا محمود ولقد طلبت منه أن يزورني غداً في المسجد كما سمعت مني." أجاب محمود: "نعم يا أبي."

واستطرد أبو علي يقول: "أنا آخذ في الاعتبار حديثنا الأخير ولدي بعض الأسئلة أود أن أطرحها عليه. وأنا أعتقد أن المكتب هو أنسب مكان لمثل هذه المناقشات" وعندها وجه نظره إلى حليم. كان حليم قد لزم الهدوء بعد ثورته أثناء زيارة أمين الأولى إلا أنه كان لا يزال مستاء لفكرة أن يسمح والده لشخص مسلم يتكلم عن المسيحية في منزله. لقد حاول اليوم التالي اقناع أبيه بأن يتجنب الاتصال بأمين مرة أخرى وأن يمنع محمود أيضاً من رؤيته لكن دون جدوى.

على الرغم من أن أبو علي كان من الأشخاص المتزمتين دينياً إلا أنه كان مازال باحثاً في قلبه ومتفتحاً للعلم والمعرفة. وقال لحليم إنه ليس متعاطفاً مع أمين في وضعه هذا أو ارتداده إلا أنه لا يزال يرى أنها فرصة نادرة ليستتير منه بشأن المسيحية والقضايا الإيمانية.

لم يكن حليم يحب عقلية أبيه المتفتحة هذه لكنه ليس من حقه أن يعارض رغبات أبيه. لذا وضع لسانه داخل فمه والتزم الصمت التام على الرغم من أنه كان هناك غليان في داخله مما جعله يأخذ موقفاً عدائياً تجاه محمود.

لازال محمود يريد أن يتحدث إلى أمين قبل مقابلته المرتقبة مع أبيه ولكنه لم يعرف كيف يمكنه الاتصال به، لذا قرر الذهاب إلى بيت إبراهيم على أمل أن يمر أمين على إبراهيم قبل موعد اللقاء في اليوم التالي. وباختصار استأذن محمود بعد العشاء مباشرة وغادر المنزل. وما أن وصل لمنزل إبراهيم حتى أخبره بكل شيء وبأنه مازال متخوفاً من أن يدبر أبوه مصيدة لأمين في الجامع.

قال إبراهيم لمحمود وهو يحاول أن يهدئ من روعه: "هل تؤمن أن الله هو المتحكم في الأمر منذ البداية." قال محمود: "نعم لقد كان الله عجبياً في كل ما فعله. لكن ماذا لو كان أبي يقصد به شراً؟"

أجاب إبراهيم: "لهذا يجب أن نستودع أمين في يدي الله. وسأوصل رسالتك إلى أمين إذا قابلته. ولكنك في حاجة لأن تستريح وتستودعه في يدي الله." أجاب محمود: "أشكر يا صديقي."

لم يكن أمين بحاجة لأن يخبره إبراهيم بخطورة زيارته لأبو علي في الجامع فهو يعلم تماماً أنه يُعرض حياته للموت إذا ما أراد أبو علي أن ينتهز الفرصة للإيقاع به. ولسبب ما شعر أمين بسلام وهو يذهب إلى عرين الأسد. فأبو علي يعلم أنه مسيحي ومع ذلك كان يلزم الصمت تجاه

هذا الأمر ولم يحاول رؤيته فوراً فلو كان يخطط لأذنيه
لكان فعل هذا منذ فترة طويلة.

كان أمين يثق في أن الله لا بد وأنه كان يعمل شيئاً في
حياة هذا الرجل وأنه مازال يريد أن يستخدمه كرسل
رجاء.

قاد أمين سيارته متجهاً إلى الجامع حسب الموعد
المتفق عليه والسلام يملأ نفسه.

وفور وصوله إلى الجامع قاده خادم الجامع إلى مكتب
الإمام وهناك رحب به أبو علي بحرارة قائلاً: "مرحباً..
مرحباً بك يا ابني.. كيف حالك اليوم؟".

أجاب أمين: "أشكرك يا سيدي أنا بخير والحمد لله
وكيف حالك أنت وماذا عن صحتك وعن الأسرة؟".

قال أبو علي: "الحمد لله جميعنا بخير تفضل واجلس يا
أستاذ أمين هل تريد أن تشرب قهوة؟".

أجاب أمين: "نعم من فضلك".

أخذ الاثنان يتبادلان الدعابة حتى أحضر الخادم القهوة
وتركهما بمفردهما في المكتب.

بدأ أبو علي يقول: "يجب أن أقول لك يا أستاذ أمين
أنني فكرت كثيراً في ما قلته لنا أثناء زيارتك لنا في

المنزل. وأنا كشخص متعمق في أمور الدين فقد وجدت
متعة في أن أبحث في القرآن الكريم ثانية حتى أستطيع

الإجابة عن الأسئلة التي أثيرت في ذلك اليوم.

سأل أمين: "هل وجدت الإجابة يا سيدي؟".

قال أبو علي: "دعني أستكمل حديثي أولاً".

أجاب أمين: "معذرة يا سيدي.. تفضل واكمل حديثك".
استكمل أبو علي حديثه قائلاً: "لقد قادني القرآن لأشياء
مثيرة في المواضيع التي نتحدث عن الرحمة والعدل
ولكنني شعرت أنني لن أستوفي الموضوع حقه ما لم أقرأ
الكتاب المقدس الذي للدين المسيحي. فقد حصلت على
نسخة وقرأتها من الجلدة للجلدة."

بادره أمين بالسؤال: "وما رأيك فيه يا سيدي؟".
أجاب أبو علي: "لن أكذب عليك.. إنه كتاب رائع جداً.
ولقد كنت مبهوراً بتعاليمه السامية وكذلك اللغة التي كُتِبَ
بها. وقد بدا لي كأنني أقرأ قصة."

قال أمين: "بطريقة أو بأخرى هو فعلاً يحكي قصة
وهي قصة الله عبر التاريخ."

قال أبو علي موافقاً إياه: "نعم.. نعم إن هذا واضح
تماماً وإنني أرى في صفحاته أكثر من ذلك أيضاً وهو ما
عبرت أنت به عن إيمانك أثناء زيارتك لنا بكلمة – العلاقة
مع الله التي يبدو أنها تتغلغل في صفحات الكتاب المقدس.
يخلق الله الإنسان ليكون له علاقة معه. ويختار الله إسرائيل
ليكون له شعباً. يرسل الله المسيح ليعيد العلاقة المقطوعة.
يدعو الله أناساً ليكونوا سفراء عنه في كل مكان لينادوا
ببشارة المصالحة للبشرية. ويعد الله مكاناً في الجنة ليحيا
في علاقة أبدية مع أولاده هناك."

بدأ أمين يتكلم وحدث أثناء كلامه حشرة في صوته
فقال: "لقد فسرت لي أنت يا سيدي رسالة الكتاب المقدس
أفضل مني بكثير وأنت الآن تفهم جيداً الإيمان المسيحي."

أجاب أبو علي: "الفهم شيء والقبول شيء آخر وكلاهما مختلفان تماماً. فمعنى أنني أقبل هذه الرسالة هي أنني أحول ظهري لإيماني الذي عشته طوال عمري والذي أعلمه للكثيرين يومياً. وهذا ما لا يمكنني أن أفعله." قال أمين: "أنا أدرك شعورك تماماً يا سيدي. لكن هل تسمح لي أن أسألك سؤالاً؟ يبدو أنك وجدت إجابات لكل الأسئلة التي طرحت في ذلك اليوم من خلال قراءتك للكتاب المقدس. فلماذا طلبت مني أن أحضر إليك اليوم؟" أجاب أبو علي: "إنك شاب شجاع يا ابني، فأنت على صواب. إنني وجدت بالفعل الإجابة عن الأسئلة التي كنت أبحث عنها ولكن في أثناء بحثي هذا طرأت إلى ذهني أسئلة أخرى ولهذا السبب فإنني استدعيتك اليوم وإذا لم يكن لديك مانع أريد أن أناقش معك بعض هذه الأسئلة." قال أمين: "إنه لمن دواعي سروري أن أناقش معك أي موضوع يا سيدي."

وهنا بدأ أبو علي يسأل السؤال تلو الآخر عن أمور شتى مرت عليه أثناء قراءته للكتاب المقدس. وعلى الرغم من أن أمين لم يلتحق بكلية اللاهوت لكنه درس الكتاب المقدس بكل جدية منذ أن قبل الإيمان بالمسيح وبمساعدة الروح القدس استطاع برفق ترتيب الإجابة عن كل أسئلة الإمام وبأفضل ما يمكن . لقد قضيا أكثر من ثلاث ساعات وهما يحتسيان القهوة ويقرآن مقاطع مختلفة من الكتاب المقدس ومع الإشارة أحياناً لبعض الفقرات من القرآن إذا لزم الأمر .

استمتع أبو علي بوقته الذي قضاه مع أمين وقد وجد فيه شاباً يتمتع بالذكاء الشديد وتزايد إعجابه به مع مرور كل دقيقة قضاها معه.

ومع اقتراب موعد نهاية الزيارة وضع أبو علي يده على كتف أمين وقال: "لم أستمتع من قبل بحديث مع رجل مثلك يا ابني. لقد استفدت كثيراً من هذه الزيارة. أريدك أن تعرف إنني أرحب بك في منزلي في أي وقت ومن فضلك تشعر بحرية كاملة لزيارة محمود في أي وقت تريده." شعر أمين بسعادة غامرة لهذه الدعوة المفتوحة وانتهز الفرصة ليقول لأبو علي: "أنا استمتعت جداً بقضاء هذا الوقت معك. ولقد كان هذا بالنسبة لي تحدٍ كبير أن أرى الكتاب المقدس كما رأيته أنت من وجهة نظرك. وأشكرك على دعوتك الكريمة لمنزلك فإن هذا كرم كبير منك. من فضلك يا أبو علي هل تسمح لي بأن أسألك سؤالاً ولا تعتبره وقاحة مني؟"

ابتسم أبو علي وقال: "اليوم.. يا ابني.. تستطيع أن تطلب مني أي شيء تريده مني وسأعطيك إياه." أجاب أمين وقال: "هذا لطف كبير منك يا سيدي. أنا فقط أريد أن أسألك، هل تسمح لي، بخصوص ابنتك؟" أجاب أبو علي وهو متردد: "ابنتي..؟ ماذا تريد أن تعرف بخصوص ابنتي؟"

تكلم أمين وقد بدا عليه الاضطراب: "في الحقيقة يا سيدي إن محمود من أعز أصدقائي وأنني أرى فيه أشياء كثيرة تعجبني كما أنني أراك يا سيدي إنساناً مثقفاً جداً وكم

أسعدني أن أرى رجلاً مثلك مثقفاً ويعرف كيف يقود عائلته بحكمة. أنا أعترف لك يا سيدي أنني أدعو الله منذ فترة أن يوفقني في زوجة تقف إلى جانبي في الحياة. وإني فقط أسألك هل وعدت أنت أي شخص آخر بابنتك؟"

لم يعرف أبو علي هل يشعر بالفرح أو بالغضب أم هل يستغله هذا الشاب بطلبه هذا؟!

كان أبو علي بكل تأكيد يشعر بصدمة من الجراءة التي تكلم بها أمين ولأن عقله كان مليئاً بالحديث الذي استمر ثلاث ساعات لم يعد هناك مكان في عقله للتفكير في موضوع مثل هذا.

لذا أجاب أبو علي أمين قائلاً: "قبل أن أجيب على سؤالك هذا أريد أن أقول لك شيئاً. لقد دعوتك إلى الجامع لتتحدث معاً في أمور دينية لذا دعنا نتكلم بخصوص الأمور العائلية في المنزل فلماذا لا تأتي غداً مساءً لنناقش هذا الأمر بأكثر استفاضة؟ ولكن يجب أن تفهم جيداً أن دعوتي هذه لك ليس معناها أنني أوافق على طلبك. إنما كل ما أقصد أن أقوله لك هو أن هذا المكان ليس هو المكان المناسب لمناقشة الأمور الشخصية. أتوافقني؟"

قال أمين: "نعم يا سيدي أوافقك وسامحني. وسأكون سعيداً جداً بالحضور غداً مساءً. وفي أي وقت تفضل أن أحضر يا سيدي؟"

أجاب أبو علي: "بالتأكيد قد أعجبك طعام زوجتي تلك المرة فلماذا لا تحضر معنا على العشاء ثانية في السابعة مساءً."

وقف أمين وقال: "أشكرك على لطفك يا سيدي أراك
غداً إن شاء الله."
أجاب أبو علي: "أشكرك لمحببتك اليوم يا ابني. غداً
أراك إن شاء الله."

الفصل الثامن والخمسون

على الرغم من أن أمين كان يجب أن يكون استنفذ كل طاقته في المناقشات الدينية العميقة إلا أنه شعر بأنه أخف وزناً من الهواء عند خروجه من الجامع. استقل سيارته واصطحب معه الركاب إلى هنا وإلى هناك وهو يقود سيارته بدون هدف في شوارع المدينة. وأخذ يتحدث مع نفسه "إنه لم يقتلني! لقد طلبت يد أميرة ولكنه لم يقتلني! عجباً بل أكثر من ذلك إنه دعاني لمنزله غداً! أنا لا أستطيع أن أصدق أن هذا يمكن حدوثه!!"

وبينما استمر أمين في أحلام اليقظة هذه كاد يصدم أحد أفراد الشرطة المكلفين بحفظ النظام والمرور. فلذا قرر أمين بعد أن تلقن درساً من رجل الشرطة في كيفية قيادة السيارة داخل المدن، أن يتوقف بالسيارة ليفكر وبعد أن يتمالك نفسه يمكنه العودة مرة أخرى لقيادة سيارته حيث أنه في حالته هذه يعتبر خطراً على المجتمع.

بحسب عادته أن يذهب دائماً إلى منزل إبراهيم، وعلى الرغم من أنه لم يعرف أي من الشوارع التي قاد فيها سيارته إلا أنه بالفطرة وجد نفسه أمام منزل إبراهيم وشكر الله على وصوله سالماً إلى هناك .

لاحظ إبراهيم أن هناك شيئاً ما حدث لأمين بمجرد أن فتح الباب وراه فبادره بالسؤال: "أمين.. هل أنت بخير؟". أجاب أمين: "ليس في الإمكان أفضل مما أنا عليه الآن. كيف حالك؟".

قال إبراهيم: "لابد وأن شيئاً ما حدث معك. أنت لست طبيعياً اجلس واخبرني ماذا حدث لك؟".

قال أمين: "نعم.. نعم سأخبرك بكل شيء".

وفي محاولة لكي يستفيق من أحلام اليقظة بدأ أمين يستعيد تفكيره مع صديقه إبراهيم وبدأ يشاركه عن لقائه مع أبو علي. جلس إبراهيم في زهول عند سماعه لأخبار انفتاح الإمام لبشارة الإنجيل. وكم كان يتمنى أن يكون معهما محمود ليستمع إلى ما يسمعه هو.

في ذات اللحظة دق جرس الباب فأسرع محمود مندفعاً إلى داخل المنزل وهو يقول: "لقد رأيت سيارة أمين متوقفة هنا فتوقفت سريعاً قبل عودتي للبيت لتناول العشاء وأردت أن أعرف ماذا حدث مع أبي؟".

شرح إبراهيم لمحمود باختصار ما قد انتهى منه أمين على التو. أما أمين فقد تغير وجهه الآن وبدأ عليه الخوف حيث أن محمود قاطعه في ذات اللحظة التي كان سيخبر فيها إبراهيم عن موضوع أميرة. فما العمل الآن؟ هل يستمر في حديثه ويخبر محمود أيضاً عن هذا السر؟ حسناً... لا مانع... فلن يخسر شيئاً الآن. لذا قرر أمين أن يخاطر ويستكمل حديثه من حيث توقف مع إبراهيم فأخبرهما عن انفتاح أبو علي لكل ما قيل له ولكن لم يكن لديه الاستعداد لاتخاذ القرار لاتباع المسيح ثم أخذ أمين يضحك وهو يصف لهما حالة الارتباك التي سادت على أبو علي عندما طلب يد أميرة للزواج.

ارتعب محمود من هول ما سمع. ونظر إبراهيم
لمحمود وأدار نظره نحو أمين ورآه وقد بدا على وجهه
الخوف.

تكلم محمود أخيراً وقال: "قلت ماذا فعلت؟! فأنت لا
تعرف عنها أي شيء؟".

حاول أمين أن يجيب بهدوء بالغ على محمود فقال:
"أنا أعلم تماماً خطورة هذا الموقف ولكنني شعرت بأني
الآن على علاقة خاصة مع أبيك ولذا أردت أن أنتهز هذه
الفرصة قبل أن تضيع مني كما أنك مخطئ بخصوص
أميرة حيث أنني أعرفها جيداً."

صاح محمود قائلاً: "ماذا تقول؟! أمين.. من الأفضل
لك الآن أن تخبرني ماذا تقصد بأنك تعرف أختي!!"
قال إبراهيم: "اهدأ يا محمود واستمع لما يريد أن يقوله
لك أمين."

وبينما كان محمود يحملق بعينيه اللتين تجمدتا في
مكانهما بدأ أمين يشرح له كيف تقابل مع أميرة وكيف تمت
العلاقة بينهم في الأسابيع التي كانت ترقد فيها أمهم
بالمستشفى. وطمأن محمود بأنه لم يكن في علاقتهما أي
تلامس جسدي، وأن الله هو الذي رتب لقاءهما هذا كما أنه
يؤمن بأن الله وحده هو الذي كان يفتح أمامهما الطريق
للمضي قدماً في أمر زواجهما.

سأل أمين محمود: "ألا تكون سعيداً أن تتزوج أختك
من مؤمن آخر؟".

أجاب قائلاً: "بالطبع نعم.. إن هذا عظيم لكنني لا أستطيع أن أصدق أن أبي سيوافق على هذا الزواج كما لا يمكنني أن أصدق أيضاً أنكما تعرفان بعضكما بهذه الطريقة دون أن تخبراني طوال هذه الفترة." أجاب أمين قائلاً: "وهل كنت ستصدقنا؟" قال محمود: "لا.. أنا لا أعتقد، ولكن مازال أمامك أن تأخذ موافقة أبي."

قال أمين: "حسناً فأنا أرى الآن الأمر بمنظور إيجابي فيما أنه لم يقتلني عصر اليوم عندما طلبت منه هذا الطلب بل طلب مني ودعاني للحضور غداً إلى منزلكم. وهذا يعني بالنسبة لي شيئاً كبيراً!"

ضحكوا جميعاً ثم دعاهم إبراهيم مشجعاً إياهم ليتوقفوا عن الحديث ويبدأوا في الصلاة من أجل ما حدث اليوم وما سيحدث غداً. وبعدها عانق محمود أمين عنقاً أخوياً وقبل أن يغادرا منزل إبراهيم قال له: "أنت تعرف أنه سيكون لي عظيم الشرف أن تصبح زوج أختي يا صديقي. وسأصلي لأجلك هذه الليلة."

قال أمين: "أشكرك يا أخي. إن هذا يعني الكثير بالنسبة لي والآن من الأفضل لك أن تعود لمنزلك قبل أن يفوتك العشاء. وبالمناسبة لا تخبر أميرة بكل هذا حيث إنني لا أريدها أن تقلق دون داع."

أجاب محمود بابتسامة: "حسناً. سوف أترك هذا الأمر لك ولأبي. أراك على خير غداً إن شاء الله." رد أمين: "إن شاء الله."

أدرك أمين فور خروجه من بيت إبراهيم بأنه يجب عليه تقديم هدية للأميرة عندما يذهب لطلب يدها غداً مساءً. فتوجه إلى سوق الذهب محاولاً أن يجد شيئاً مناسباً. وأخيراً قرر أن يشتري أسورة ذهبية رقيقة كتعبير عن محبته لها ووعدته بالزواج منها. وبالطبع فهو سيقدم لها أكثر من ذلك عند الخطوبة الفعلية، أما هذا فهو مجرد عربون محبة لها. وبينما كان يقوم بدفع ثمن الأسورة أخذ يصلي إلى الله أن يسمحوا له بأن يقوم بوضع الأسورة حول معصم أميرة بنفسه في اليوم التالي.

عرف أمين أنه لن يستطيع التركيز في عمله هذا المساء لذا توجه إلى منزله مباشرة دون أن يتوقف لاصطحاب أي من الركاب في سيارته. وقضى باقي يومه يقرأ الكتاب المقدس ويصلي إلى الله طالباً الإرشاد والحكمة كيف يسير قدماً في أمر زواجه.

وكم تمنى أن يكون حوله أحد من أفراد أسرته في هذا الوقت المهم من حياته. لقد افتقد أبوابه بشدة. وأخيراً استلقى على سريره وأخذ يشكر الله على بركته في أثناء وجوده مع أبو علي في الجامع. ثم نام وهو مستريح لأنه كان يثق في الله الذي بيديه كل الأمور ويذخر لنا أشياء عظيمة.

توجه محمود مباشرة إلى منزله بعد مغادرته لمنزل إبراهيم وهناك وجد أسرته جالسين لتوهم على المائدة لتناول العشاء فأسرع يغسل يديه وانضم إليهم على المائدة. سأله أبوه: "أين كنت يا ابني؟".

أجاب محمود: "أنا متأسف يا أبي لقد تأخرت اليوم".
وهكذا أجاب دون أن يعطي مبرراً حقيقياً للتأخير وأجابة واضحة على السؤال.

قال أبو علي: "يجب أن لا تصير هذه عادة لك".
أجاب محمود: "نعم.. حاضر يا سيدي". وعندئذ نظر محمود إلى أخته أميرة وابتسم لها ابتسامة عريضة. نظرت أميرة إلى أخيها محمود وقد بدت على وجهها علامات استفهام ثم حولت نظرها إلى أمها لعلها تفهم حركات أخيها هذه. واكتفت أم علي بأن هزت أكتافها.

كان أبو علي يتمتع بخفة دم وذلك على غير عادته أثناء تناول طعام العشاء هذا المساء وقال بينما كان يضحك ودون مقدمات: "أم علي أنت مضطرة لعمل نفس الوجبة الشهية التي قمت بتجهيزها منذ أسابيع قليلة وذلك لأنه سوف يكون معنا ضيف على العشاء، سيكون معنا الأستاذ أمين. ويبدو أن لديه شيئاً ما في عقله يريد أن يشارك به مع عائلتنا" نظر محمود إلى أبيه في ذهول.

سألت أم علي: "شيئاً ما في عقله؟ ماذا تقصد يا أبو علي؟".

أجابها بابتسامة خبيثة: "سوف ترين يا امرأة. سوف ترين".

نظرت أميرة ثانية لأخيها محمود وعلى وجهها علامات استفهام، وأما محمود فأحنى رأسه وبدأ كأنه يركز على تناول الطعام. ثم نظر إلى أمه وقال لها: "طعام لذيذ يا أمي تسلم يديك".

بدأت أميرة وأمها في تنظيف مائدة الطعام بعد تناول العشاء. أما محمود فلم يرد مواجعتها هذا المساء لذا تسلل بخفة بالقرب من المطبخ في طريقه إلى حجرته. لمحت أم علي محمود وأدركت حيلته فنادته من المطبخ قائلة: "محمود يا ابني من فضلك هل يمكنك أن تساعدني وتحضر لي هذه الصينية الثقيلة إلى المطبخ." قال في طاعة: "حاضر يا أمي." وبمجرد أن دخل المطبخ أمسكت به أميرة قائلة له بصيغة الأمر: "محمود ما الذي حدث؟ ما معنى الابتسامه التي كانت تملو وجهك هذا المساء؟ وماذا تعرف بخصوص تعليق أبي عن أمين؟ ما الأمر؟" لم يعتد محمود على حفظ الأسرار من قبل كما لم يرد أن يفشي سر أمين لأخته. لكنه بدأ يفتح فمه ليجابو عن أسئلة أميرة إلا أن صوت أبو علي سبقه منادياً من باب المطبخ على أميرة وقال: "أميرة.. تعالي هنا للحظة!" نظرت أميرة إلى وجه أخيها الذي كان فمه مفتوحاً عن آخره وقالت: "أنا قادمة يا أبي" ثم همست في أذني أخيها قائلة: "أنت لم تخرج من المصيدة بعد يا أخي وإياك أن تتحرك من هنا!" ثم نظرت إلى أمها وفي عينيها أسئلة كثيرة وخرجت إلى خارج المطبخ. قال لها أبوها: "تعالي يا أميرة يا ابنتي، أريد أن أتحدث معك في أمر مهم." فقالت وهي تهم بالجلوس بالقرب منه: "تفضل يا أبي." سألها أبوها: "أميرة.. كم هو عمرك الآن؟"

أجابت قائلة: "تسع عشرة يا أبي." قال: "يا إلهي.. كم يمر الوقت كالبرق. أميرة أنت تعرفين أنك فتاة محظوظة." قالت متسائلة: "حقاً يا أبي؟"

قال: "بالطبع فأنت بنت إمام الجامع وهناك الكثير من الشباب يريدون الفوز بك لتكوني زوجة لأحد منهم. وهناك العديد منهم الذين تقدموا بالفعل إلىَّ يلحون لي برغبتهم في الزواج منك ولقد قلت لك من قبل عن البعض منهم. ولكن للأسف لم أجد أحداً منهم يصلح لك، وحيث إنك ابنتي الوحيدة فلذا أنا أريد التروي في الاختيار."

سألت أميرة: "ماذا تقصد بكلامك هذا يا أبي؟" قال لها: "إن ما أقصد أن أقوله يا ابنتي هو أنني أريد أن يراني الناس كرجل عصري ولست مكبلاً بتقاليد آبائنا الجامدة. وعلى أي حال فإن ما أردت أن أخبرك به هو أن لك مطلق الحرية لتقولي نعم أو لا لأي شاب يطلب يدك. هل هذا واضح لك؟"

قالت أميرة: "أعتقد يا أبي أنني فهمت ماذا تقصد أن تقول وأشكرك ولكن هل هناك شخص آخر يطلب يدي؟" أجاب: "حسناً.. أنا لست متأكداً فهناك العديد الذين يطلبون يدك كما قلت لك. ولكن فقط أردت أن أعرفك أنه إذا طلب أحد يدك في المستقبل القريب فلك كل الحق في القبول أو الرفض."

أخذت أميرة المخاطرة ووجهت لأبيها السؤال: "وماذا عن رأيك أنت يا أبي؟"

أجاب "بالطبع لن أسمح لأحد أن يقترب منك دون أن أوافق عليه مبدئياً."

أجابت أميرة: "لقد فهمت يا أبي."

قال: "هذا هو كل شيء يا طفلي."

قالت: "تصبح على خير يا أبي". ثم أسرعت عائدة إلى المطبخ لتجد أن محمود هرب من المطبخ.

الفصل التاسع والخمسون

تضايقت أميرة لأنها لم تجد أخاها في المطبخ إلا أنها لم تندهش لهذا التصرف وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت أمها في انتظارها في المطبخ لتسمع ما دار بينها وبين أبيها فسألتها قائلة: "ماذا حدث يا صغيرتي؟".

أجابت أميرة: "أمي أنا لا أفهم ماذا يجري الليلة وإن أخبرتك عن ماذا قاله أبي سوف لا تصدقين."

قالت أم علي: "ما هذا الأمر؟".

أجابت أميرة: "أمي.. لقد أخبرني أبي أن كثيرين من الشباب يطلبون الزواج مني. وأراد أن يعرفني أن لي الحق في اختيار أو رفض أي شخص متقدم."

سألتها أمها: "وهل تحدث معك بخصوص شخص ما بعينه؟".

قالت أميرة "لا.. ولكنه قال لي بوضوح أنه لو تقدم لي أي شخص في المستقبل القريب فالاختيار لي. أمي أليس هذا بالأمر الغريب؟".

أجابت أم علي: "وبعد كل ما حدث معنا في هذا المساء فأنا لا أدري فيما أفكر" واستطردت تقول: "ربما لا نفهم ما يحدث الآن ولكنني أعتقد أنه على الأقل يجب أن نشكر الرب من أجل انفتاح أبيك في أمر زواجك."

قالت أميرة فجأة: "يا أمي هل تعتقدين أن هناك شيئاً مما يحدث الآن له علاقة بزيارة أمين لأبي اليوم؟".

أجابت أم علي: "أنا لا أعرف شيئاً يا ابنتي. لكنني أجد أنه من الصعب عليّ أن أصدق أنهما ناقشا موضوع الزواج. كما أنني لا أصدق أن رجلك هذا لديه هذه الجراحة."

وافقت أميرة قائلة: "نعم.. إنك على حق يا أمي.. أنا أعرف أن أمين شغوفاً بالمشاركة عن المسيح ولكنني لا أستطيع أن أتخيل أنه سوف يفكر في طلب يدي من أبي حيث أنه بالكاد يعرف أبي."

قالت أمها: "أميرة. دعي الأمر بين يدي الله ونحن نثق أنه يتحكم في كل أمور حياتنا. وعلى أي حال فلديك ما يكفيك لتفكري فيه حيث إن أمين سيأتي على العشاء غداً ويجب علينا أن نفكر فيما نعهده له من طعام!"

قالت أميرة: "هل هذا صحيح؟! أنا لا أستطيع أن أصدق أنني سوف أراه مرة ثانية. لذا دعينا نفكر في شيء إضافي خاص لنعده لأجله."

قالت أم علي: "حسناً.. يا صغيرتي. من الأفضل لك الآن أن تنامي لتأخذي قسطاً كافياً من الراحة."

قالت أميرة: "تصبحين على خير يا أمي."

أجابتها أمها: "تصبحين على خير."

ذهبت أم علي على الفور إلى غرفة نومها ولحق بها زوجها وإذ هو يدخل حجرته نظرت إليه فقال لها: "إيمان.. لقد اتخذت قراراً هذه الليلة وهذا القرار مهم جداً."

قالت متسائلة: "حقاً.. يا زوجي؟!"

قال: "إن لدي ابنة وحيدة وقد قررت أن أسمح لها أن تأخذ قرارها بالقبول أو الرفض لأي شخص يتقدم للارتباط بها. فمن حقها أن تكون سعيدة أليس كذلك؟".

أجابت أم علي: "بالطبع يا محمد.. إن هذا كرم كبير منك."

قال أبو علي فجأة وكأنه يغير الموضوع: "لقد استمتعت اليوم بزيارة أمين وقد كان لنا حديث شيق معاً".

أجابت زوجته: "هل حقاً كان شيقاً؟".

قال: "إنه على دراية كبيرة بالكتاب المقدس وقد تحدثنا معاً عنه لساعات طويلة. ولقد كنت في قمة المتعة معه حيث أنني لم استمتع من قبل بمناقشة مثيرة مثل هذه وخاصة مع شخص يؤمن فعلاً بكل ما يعرفه ويتبع تعاليم إيمانه جيداً. أنت تعرفين أنه يوجد أشخاص قليلون هم الذين يمارسون ما يؤمنون به فعلاً."

قالت أم علي: "نعم.. أعتقد أن هذا صحيح".

سألها مقاطعاً إياها: "هل تعتقدين أن مثل هذا الرجل يمكن أن يكون زوجاً صالحاً لأميرة؟".

أُخذت أم علي على غرة من سؤاله هذا لذا حاولت بسرعة أن تربط كل أحداث هذا اليوم مع بعضها وعندئذ أدركت ماذا يحدث. فسألته: "هل هذا الشاب يريد أن يتزوج ابنتنا؟".

أجابها: "نعم أنا أعتقد هذا على الرغم من أنني لست أدري لماذا، وهو يكاد لا يعرف عنها شيئاً. لقد أخبرني أنه

يحبني ويحب محمود وأنا أسرة طيبة لذا فهو يعتقد أن تكون أميرة زوجة صالحة له. شيء من هذا القبيل."
سألت أم علي وهي مازالت في ذهول: "ما الذي جعلك تُكِن له هذا التقدير يا زوجي؟ فأنت أيضاً لا تعرف عنه شيئاً؟".

أجابها: "أنا أعلم.. أنا أعلم.. فمنذ شهور قليلة مضت لم أكن أعطيه الفرصة لأسمع منه شيئاً ولكن يوجد شيء أحببته في هذا الشاب وهذا ما جعلني أعتقد أنه سيعولها جيداً وسيكون رحيماً عليها. وكما قلت لك أنه واحد من فئة قليلة قابلتهم في حياتي يمارسون إيمانهم فعلياً. وبالطبع هذا الأمر كفيل تماماً لأن أرفضه. ففي الحقيقة أن هذا الشخص غيّر دينه، وهذا الأمر لا يهمني كثيراً.. ما رأيك يا زوجتي؟".

ترددت أم علي كثيراً في الإجابة ولكنها كانت تعلم شيئاً واحداً وهو أن زوجها يتكلم بهذه الطريقة فلا بد وأن تكون قد حدثت معجزة من الله غيرت من طباعه، فلذا التزمت الصمت حتى لا يغير زوجها من رأيه. فأخذت نفساً عميقاً وهمست في صلاة طالبة الحكمة قبل أن تتكلم ثم قالت: "حيث أنك قضيت معه وقتاً أطول مني فلذا أن أثق في تقييمك لهذا الشاب يا محمد. وأنا أعلم أن الله سوف يعطيك الحكمة التي يمكنك بها أن تتناول هذا الأمر من الناحية الدينية. ولا داعي لأن يعرف أحد هذا الأمر، كما أنك كنت على حق في قولك أن سعادة أميرة هي أهم شيء بالنسبة لنا وكما قلت أن القرار النهائي لها."

أجاب: "حسناً أنا سعيد لأنك ترين الأمور بهذه الطريقة ولنترك الأمر بين يدي الله ثم دعينا نرى ماذا سيحدث غداً في المساء. تصبحين على خير يا إيمان."

أجابت: "تصبح على خير يا زوجي". وما أن وضع أبو علي رأسه على الوسادة حتى راح في نوم عميق، أما زوجته فلم يكن من السهل عليها الاسترخاء لتنام. كان قلبها يدق فرحاً عندما تتذكر أن أمين سيحضر مساء الغد ليطلب يد أميرة للزواج. كم الله رائع وعجيب؟.. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ لقد كانت رغبته الأولى أن تذهب لحجرة أميرة لتخبرها بهذا الأمر إلا أنها رأت أنه ليس من الحكمة أن تفعل هذا. إن أميرة لو علمت ما سيحدث ستكون منهارة عصبياً طوال اليوم. لذا من الأفضل لها أن يكون هذا الأمر مفاجأة. وبدأت أم علي تتساءل مع نفسها كيف يمكن لها كتمان هذا السر الجميل طوال اليوم؟

وبينما كانت أم علي تحاول أن تهدأ وتسترخي للنوم نظرت إلى السقف وبدأت تصلي في قلبها قائلة: "أبي الحبيب كم أنت رائع وعجيب، كيف يمكن أن تُحسن لعائلتي بهذا الإحسان الفائق على الرغم مما حدث من بيتنا لإغاظتك. لا أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر الواجب على تلبيتك لرغبة ابنتي القلبية معطياً إياها رجلاً يحبها ويريد أن يقضي معها باقي أيام عمره. يارب أنت تعلم مقدار حبي لابنتي فهي بالنسبة لي كل شيء في حياتي وبالأخص في السنوات القليلة الماضية. أشكرك لأنك وهبت لها رجلاً يحبك مثلما تحبك هي أيضاً. وأشكرك

لأجل كل ما أنت تعمله في حياة زوجي. وأنا أعلم أن
كلمتك تلامست معه، اجذبه أكثر فأكثر إليك. في اسم يسوع
المسيح آمين."

الفصل الستون

في اليوم التالي بدأ جميع أفراد العائلة والضيف المدعو ينشغلون بمهامهم اليومية محاولين إنجازها. قضى أبو علي بعض الوقت بمفرده في الجامع واستمر في تحليل الحديث ودراسته الذي دار بينه وبين أمين. ولذا وضع على مكتبه كلا من القرآن والكتاب المقدس وانكب على دراسة الفقرات التي ناقشها معاً وازناً بدقة كل كلمة سمعها. أخذت "أم علي" على عاتقها إعداد وتجهيز وجبة شهية لطعام المساء، بينما تركت أميرة تهتم بنظافة الصالون وغرفة المعيشة حتى تتحاشى الحديث معها كثيراً. وإذ كانت تعلم ما ينتظر ابنتها في المساء لذا كان من الصعب جداً عليها أن تتمالك عواطفها فخافت من إفشاء السر.

شعرت أميرة أن هناك شيئاً غير عادي في أمها كما أحست أنها تتجنبها ولكن لأن عقلها كان مشغولاً تماماً برؤية أمين مرة ثانية لذا لم تُعر الأمر اهتماماً. كان محمود قلقاً بسبب ما سيحدث في بيته هذا المساء، ولكنه شكر الله حيث أنه كان عليه أن يحضر محاضرات كثيرة في هذا اليوم مما جعل تفكيره مشغولاً طوال اليوم، ولكنه استغل فرصة تناول الشاي بين المحاضرات وانتحى جانباً منفرداً وفي ركن هادئ ليصلي من أجل عائلته وبالتحديد من أجل والده.

أما أمين وقد كان من المفترض أن يكون أكثرهم توتراً
إلا أنه عمل طوال اليوم على التاكسي بدون أي مشاكل،
وذلك لأنه قضى الليلة الماضية يصلي ويعيد ترتيب أفكاره
لذا فهو الآن أصبح صافي الذهن ومطمئناً واثقاً أن الله هو
الذي يتحكم في أحداث اليوم. وكان يحيي كل من يركب
معه بمعنويات مرتفعة وروح مرحة وبكلام طيب.
عاد أبو علي هذا المساء مبكراً على غير عادته حتى
يكون لديه متسع من الوقت ليأخذ حمامه ويرتدي ملابسه
استعداداً لوصول ضيفه على العشاء، وقد لاحظت أم علي
هذا لذا قالت له عند خروجه من غرفته ليجلس في
الصالون: "أنت تبدو وسيماً هذه الليلة يا زوجي."
قال بنبرة ودودة: "شكراً يا إيمان.. هل أعددت لنا
أطعمة خاصة الليلة؟"

أجابت: "نعم وآمل أن تتذوقه وينال إعجابك."
قال بابتسامة: "إنني دائماً أجد كل شيء من يديك له
مذاق طيب. والآن يجب أن ترتدي الحجاب ودعي أميرة
لتساعدك في ترتيب المائدة فإن ضيفنا على وشك
الوصول."

أجابت: "حالياً يا زوجي ثم انسحبت إلى المطبخ."
وجدت أم علي أميرة في المطبخ وكانت تغطي رأسها
لتخفي جميع خصل شعرها المسترسل فسألتها قائلة:
"أميرة هل تساعدني في ترتيب الطعام على المائدة؟"
أجابت أميرة: "بالطبع يا أمي... هل حضر أمين؟"

أجابت أم علي: "لا ولكنه سيحضر في أية لحظة ثم أضافت قائلة: "أنا أعتقد أننا سنقضي أمسية سعيدة جداً." دق جرس الباب بينما كانوا يضعون آخر صينية على المائدة. اندفع محمود من غرفته ليفتح الباب. أخذ محمود يحيي أمين بحرارة شديدة بينما يقوده إلى داخل المنزل قائلاً: "مرحباً بك يا صديقي.. مرحباً تفضل." بادره أمين قائلاً: "أشكرك يا محمود.. كيف حالك اليوم؟"

قال محمود: "أشكرك.. أنا بخير." نهض أبو علي من مكانه مستقبلاً أمين بمودة خاصة قائلاً: "مرحباً يا أستاذ أمين.. إننا في غاية السرور والسعادة لحضورك اليوم في بيتنا." أجاب أمين: "أشكرك يا أبو علي.. كيف صحتك اليوم يا سيدي؟"

قال أبو علي مجيباً إياه: "أنا أشعر الآن أن صحتي أفضل من سنين طويلة مضت والحمد لله." بعد الترحيب بالضيف دخل كل من رمزي وعبد الهادي الحجرة ليرحبا بضيفهم وعندما لم يظهر حليم سأل أبو علي: "أين أخوكم يا أولاد. أليس هو بالمنزل الليلة؟" بدا الاضطراب على الأولاد وأخيراً أجاب عبد الهادي قائلاً: "أبي.. لقد قال لي حليم إنه سيتأخر في عمله هذه الليلة."

رفع أبو علي صوته وقال: "هل هذه حقيقة فعلاً؟ إنه من دواعي أسفي أنه لا يستطيع أن يكون معنا عندما يكون

بصحبتنا ضيف على العشاء. سيكون وحده هو الخاسر
للطعام الشهي والحديث معاً."

وأما الجميع برؤسهم بعصبية يوافقونه آملين أن لا
يعلق أبوهم أكثر من ذلك في أمر حلیم هذا. فالجميع كان
يعلم تماماً أن حلیم كان يعقد النية على أن يكون خارج
المنزل أثناء زيارة أمين وأنه بغيابه هذا كان يريد توجيه
الإساءة لأبيه لما دار بينه وبين أمين في آخر لقاء لهما في
منزلهم.

على الرغم من أن أبو علي تظاهر بأن هذا الأمر قد
انتهى إلا أنه قد انحفر في ذهنه وتوعد مع نفسه أن لا يدع
هذا الأمر يمر دون أن يوبخ حلیم على هذا التصرف
المشين. ولكن في الوقت الحالي فهو يولي اهتماماً كبيراً
بضيفه على العشاء، فقام يدعو أمين إلى مائدة الطعام
ويشجع جميع أفراد العائلة للجلوس والاستمتاع بالطعام
الشهي.

ابدعت أم علي هذه المرة في إعداد أصناف كثيرة من
الأطعمة الشهية مثل محشي ورق العنب، محشي كوسه
وطماطم وبصل وأنواع كثيرة من المخللات والسلطات
وأطباق مختلفة من الحساء والخضروات المطبوخة وكأنها
وليمة كبيرة. وأضفى حضور أمين مرة ثانية جواً من
المرح في هذه الليلة حيث أكلوا معاً وضحكوا معاً واستمتع
الجميع بوقتهم معاً.

كان أمين يتمتع بقدرة فائقة على سرد القصص
الفكاهية التي كان يتبادلها مع الركاب في التاكسي مما جعل

أبو علي لم يستطع أن يتمالك نفسه من الضحك على كل ما كان أمين يسرده من حكايات.

وبينما كانوا يتناولون طعام العشاء التقطت أم علي فرصة توقف أمين عن سرد الحكايات وقالت لأبو علي: "أبو علي يجب أن تحكي لضيفنا واحدة من قصصك هذه الليلة حيث أنه لم يسمع من قبل راوياً عظيماً للقصص مثلك."

قال أمين موافقاً: "نعم يا سيدي فأنا أحب أن أسمع منك قصة لكن من فضلك ابدأ الآن ولا تؤجل."

انتشى أبو علي من تركيز الاهتمام عليه وتشجيع أولاده أيضاً له لذا قرر أن يحكى عليهم قصة لم يذكرها منذ عدة سنوات. أما أميرة فكانت هذه بالنسبة لها هي المرة الأولى في حياتها التي فيها تسمع أباهما يحكي قصة حيث أنه توقف عن سرد القصص قبل أن تولد هي بكثير. وقد أتاحت لها هذه الفرصة النادرة لترى شيئاً مختلفاً في شخصية هذا الرجل الذي كان يدعى أبوها.

وإذ بدأ أبو علي يقص عليهم القصة وهم يتناولون الطعام لكنهم نسوا الطعام وصاروا يتابعون القصة باهتمام. وقد ذابت تأثيرات السنين الطويلة من وجه أبو علي فكان يغير من نبرات صوته وتعبيرات وجهه بينما كان يصور لهم الشخصيات المختلفة التي لعبت دوراً في القصة.

أما أم علي فلم تستطع إلا أن تبتسم بينما كانت تسمع أبو علي وهي ترى تعبيرات الفرح ترسم على وجهه. كما كانت تعلم أن هذه الفرصة بمثابة متعة لا تتكرر كثيراً

لأولادها. فلقد عانوا كثيراً تحت وطأة يد أبيهم الصارمة وهي تعلم أنهم يرون الآن جانباً مختلفاً للرجل وهذا سيغير رأيهم في أبيهم للأبد. فلم يعد أبوهم الديكتاتور القاسي بل المرح والموهوب أو الشخص الذي يمكنهم أن يتبادلوا معه الضحك.

وشعرت العائلة كلها براحة لم يعهدها من قبل كما كانت هذه الأمسية رائعة.

وإذ كان أبو علي يقترب من نهاية القصة علت الضحكات إلى ذروتها حتى أن أميرة لم تستطع أن تتمالك نفسها من الضحك وبداخلها شعور من التقدير العميق لأبيها.

التقى أمين بعينيها بينما كانت تبتسم ابتسامة عريضة فاحمر وجهها خجلاً. لاحظ أبو علي وجه ابنته فقال لها بعدما انتهى من سرد القصة: "يبدو أن هناك شيئاً آخر يا ابنتي قد أعجبك أكثر من قصتي هذه." تغير وجه أميرة في الحال وبدا عليها الفزع والخوف وأحنّت وجهها ونظرت بعينيها إلى أسفل وقالت بصوت منخفض "لا يا أبي لقد كانت قصتك رائعة للغاية وبالحقيقة قد استمتعت بها كثيراً."

أجاب أبو علي بابتسامة قائلاً: "لا تقلقي يا بنتي فأنت في أمان وسط أهلك الليلة" ثم استطرد يقول: "ما هذا الذي يحدث؟ كيف نسيتم الطعام هكذا استمروا في تناول الطعام وانهوا ما في الأطباق وأن أطباق الحلو لم تأت بعد."

بدأ أمين والأولاد يمتدحون أبو علي على قصته الرائعة وعادوا يلتهمون الطعام الذي أمامهم في الأطباق بنفس روح المرح التي سادت عليهم. أما أميرة فاستمرت في خجلها حتى أن أباهما لاحظ هذا على وجهها وهكذا ظلت صامتة باقي الوقت.

حاول أمين أن يطمئنها بنظراته إليها لكنها لم تحاول أبداً النظر نحوه مرة أخرى. وبمجرد الإنتهاء من تناول الطعام أسرع إلى المطبخ لتختفي هناك. وفور دخول أمها إلى المطبخ وهي تحمل صينية بها طعام قالت أميرة: "آه.. يا أمي هل تعتقدين أن أبي سيعاقبني فيما بعد على نظرتي لأمين؟". قالت أم علي لتهدئ من روعها: "لا تخافي يا أميرة يا حبيبتي. إن روح أبيك طيبة هذه الليلة ولا أعتقد أنه سيفكر في هذا الأمر ثانية."

أجابت أميرة: "أتمنى أن تكوني على صواب." قامت أميرة وأمها بتنظيف المائدة لإعداد الشاي ولم تتمكن إلا من أن تلاحظ أن أمين وأباهما كادا يلتصقان بجوار بعضهما ويهمسان. ولما عادت أميرة ثانية إلى المطبخ جذبت أمها وانتحت بها جانباً قائلة: "أمي هل ترين كيف يتكلم أبي مع أمين؟ عن ماذا تعتقدين أنهما يتكلمان بصوت منخفض هكذا؟".

أجابت أم علي في محاولة منها أن لا تفشي السر قائلة: "ربما يتكلمان عن شيء ما ناقشاه بالأمس."

قالت أميرة: "إنه أمر غريب حقاً". ثم عادت ثانية إلى غرفة الطعام وعندما كانت توشك أن تحمل صينية من على المائدة إلى المطبخ إذ بأبيها يناديها فجأة من الصالون: "أميرة يا ابنتي تعالي هنا."

ذهبت أميرة على الفور ووقفت إلى جانب أبيها في خضوع فقال لها أبوها: "يا ابنتي إن لدي أخباراً تهكم، إن صديقنا أمين قد طلب يدك للزواج."

وجدت أميرة نفسها تتساءل بصوت مرتفع: "ماذا؟". قال أبو علي: "ليست هذه الطريقة اللائقة التي تجيب بها الفتاة على طلب للزواج يا عزيزتي."

قالت أميرة: "سامحني يا أبي، أنا.. أنا فقط لم أكن أتوقع سماع مثل هذا الكلام منك."

أجاب أبو علي: "حسناً لقد قلت فعلاً هذا الكلام لكن الأهم من ذلك هو أن الأستاذ أمين بنفسه هو الذي قال هذا الكلام والآن ما رأيك أنت يا عزيزتي؟"

وجدت أميرة نفسها غير قادرة على الكلام فبالطبع إن هذا هو أروع شيء يمكنها أن تتخيله أن يحدث معها وهو أن تتحقق رغبتها المفضلة في زواجها من أمين. لقد كان الأمر مفاجأة بالنسبة لها. وما كان يدهشها أكثر هو موافقة أبيها بوضوح على زواجها من أمين. وهكذا استمرت تفكر مع نفسها فإذا أجابت سريعاً بالموافقة فهذا ربما يُدخل الشك في قلب أبيها أنها كانت تعرف أمين من قبل وهل أبوها يشك في هذا حالياً؟ وعلى الجانب الآخر فكانت تخشى من أن ترفض هذا العرض مما يضيع عليها هذه الفرصة للأبد.

وربما هي في حلم من أحلام اليقظة التي ستفيق منه على الواقع بعد قليل عندما تنفرد بنفسها في غرفتها.

أخرجها أمين بصوته من حالة الذهول التي انتابها بقوله: "أميرة أنا أعرف حقاً أنك لا تعرفيني من قبل" ثم استطرد يقول: "ولكنني أرى فيك من الفضائل التي أثق أن الله يريد لها أن تتوافر في زوجتي التي أنشدها. كما أن أخاك محمود من أعز أصدقائي وقد أحببت أباك وأنا أقدره كثيراً. وأنت تعرفين أننا لا نرتبط بالشخص فقط بمفرده لكننا نرتبط أيضاً بعائلته. فبالنسبة لعائلتك لها مكانة خاصة عندي. وأنا أعلم تماماً أنك تحتاجين لمزيد من الوقت لتفكرى في هذا الأمر لكن سيسعدني كثيراً أن أسمع منك كلمة نعم."

وبينما هو يتكلم لم تستطع أميرة إلا أن تنظر إلى عيني أمين. وهكذا ظلت عيونهما متلاقية حتى بعد أن انتهى أمين من كلامه. عندئذ علت ابتسامة على وجه أميرة تعبر عن حيائها وأدبها. وعندئذ نظرت إلى أبيها الذي جلس يراقب ويسمع باهتمام وفي وجهه تعبيرات تدل على الحنان والعطف وقالت له: "هل ستسعدك يا أبي موافقتي على ارتباطي بالأستاذ أمين؟"

قال: "إن ما يسعدك بالتأكيد سيسعدني أنا أيضاً." ثم استطرد يقول: "أنا أرى أن هذا الشخص عطوف ولم أر هذا إلا في رجال قلائل على وجه الأرض. كما أثق أنه سيكون شخصاً طيباً معك. ولكن الاختيار الأخير هو لك."

لم تستطع أميرة أن تتمالك عواطفها لذا أسرعت
وانحنت لتحتضن أباهما وتقبله في وجنتيه. إنها لم تستطع أن
تتذكر أنها فعلت هذا الأمر من قبل مع والدها. وقد كان لهذا
الأمر أثر طيب على كليهما ثم نهضت أميرة لتقف ثانية
بجوار أبيها وقالت: "أبي إنه يشرفني قبول طلب أمين
للزواج مني."

علت ابتسامة عريضة جداً وجه أمين وراح يُخرج
الأسورة الذهبية والتي سبق وأن اشتراها بالأمس خصيصاً
لهذا الغرض. ثم قال لأبو علي: "هل تسمح لي يا سيدي؟"
فأوما أبو أميرة إليه بالموافقة فقام على الفور أمين بوضع
الأسورة حول معصم أميرة.

أما أم علي والتي كانت تلاحظ وهي في غرفة الطعام
ما يحدث منذ البداية فاجأت الجميع بإطلاقها زغرودة
طويلة في هذه اللحظة. وابتسم أمين مرة أخرى لأميرة أما
هي فقد أحمر وجهها خجلاً.

الفصل الواحد والستون

مضى الوقت هذا المساء وكأنه حلم بالنسبة للأميرة لا تريد أن تفيق منه. وفور موافقة أميرة على الارتباط بأمين بدأ أبو علي يتحدث مع أمين على ترتيبات حفل الخطوبة. وفجأة بينما يتحدث أبو علي أدرك أن أميرة مازالت واقفة بجواره فقال لها: "يا بنتي اذهبي لتساعدي أمك وأنا متأكد أنها لديها الكثير من الأعمال التي تتطلب مساعدتك لها." أفاقت أميرة على الفور بعد سماعها لكلام أبيها من هول المفاجأة وقالت: "حاضر يا أبي سأذهب" وذهبت تجري إلى أمها التي كانت لا تزال واقفة في غرفة الطعام. وبعد معانقتهم الحارة لبعضهما قالت أم علي: "تعالى يا طفلي نتحدث معاً في غرفتك إنها فعلاً أمسية مباركة." أثناء سير أميرة بجانب أمها إلى غرفتها رفع أمين نظره قليلاً ليراها بينما كان أبو علي مازال يتحدث إليه فعلت وجهه ابتسامة. شعرت أميرة بغريزتها أنه ينظر إليها فأدرات رأسها وما أن تلاقت أعينهما حتى زادت ابتسامتها إلى حد الذروة. أومأت أميرة برأسها بلطف إليه وراحت تسير إلى أن دخلت غرفتها.

أعاد محمود انتباه أمين إلى المجموعة بقوله له: "أجمل النهائي القلبية لك. ومن الآن نحن إخوة بالفعل."

هنا كل من رمزي وعبد الهادي أمين لكن عبد الهادي قال: "من كان يظن أن أميرة هي أول من تتزوج في عائلتنا. تهانينا القلبية!"

عندئذ تكلم أبو علي قائلاً: "يا أولادي اتركوني قليلاً
من فضلكم بمفردي مع هذا الشاب المحظوظ."
أجابوا بصوت واحد: "طوعاً يا أبي."
طبع محمود قبلة سريعة على وجه أمين هامساً في أذنه
قائلاً له: "شكراً لله."

وما أن انفرد أبو علي بأمين حتى بدأ يناقش معه
مراسم الزواج فقال له بنبرة صوت مختلفة: "أمين يا ابني
بينما أنا سعيد بقبول أميرة عرض زواجك منها إلا أنه
يجب أن نتفق على بعض الأمور قبل المضي قدماً في هذه
الزيجة."

قال أمين متردداً: "بالطبع يا سيدي."
ثم استطرد أبو علي يقول: "حقيقة أنا أوّمن تماماً أنك
رجل يندر وجود مثله بين الرجال ولهذا السبب فقط قد
سمحت لأميرة أن تأخذ بعين الاعتبار عرض زواجك منها.
وعلى الرغم من أنك تعلم أن أمر اتباعك لتعاليم سيدنا
عيسى المسيح وذلك فوق تعاليم الرسول الكريم قد يجعل
الموضوع أكثر حساسية. فأنا على استعداد أن أتغاضى عن
هذا الأمر بشرط واحد فقط وهو أن لا تعترف بإيمانك هذا
علانية أو بطريقة تجلب العار لعائلتنا. فإذا عرف أحد
زملائي أو أصدقائي بأنني سمحت لرجل غير مسلم أن
يتزوج ابنتي الوحيدة لشنقوني شنقاً.. سأكون لك صديقاً ما
دمت تبقى أنت على صداقتي."

بدأ أمين قوله: "سوف أبذل قصارى جهدي يا سيدي
لأحافظ على شرف العائلة ولكنني لا أستطيع أن أتوقف

عن خدمة الله بالطريقة التي كشفها لي. هل يمكن أن تسمح
أن نوقع عقد الزواج الرسمي في حضور أفراد العائلة
المقربين فقط يا سيدي؟ وهذا ما سيجعلني لا أناقض إيماني
كما سيجنبنا الحرج. وبعد ذلك يمكننا أن نحتفل بالزفاف
كما هو معتاد."

أجاب أبو علي: "هذا ممكن يا ابني. دعني أدرس هذا
الاقتراح وسوف نتحدث معاً في هذا الأمر فيما بعد. والآن
متى ستكون مستعداً للزواج من ابنتي؟".
قال أمين دون خجل: "أريد ذلك في أقرب وقت ممكن.
لقد انتظرت وقتاً طويلاً للزواج والآن كل شيء جاهز.
وهل يمكن لي أن أتجراً وأقترح أن تكون الخطوبة
الأسبوع القادم على أن يكون الزواج في خلال شهر من
الخطوبة."

أجاب أبو علي: "إنك مستعجل يا ابني وأنا أرى أن
أخذ رأي أميرة وأمها حيث أن هناك أموراً تخصهما ينبغي
ترتيبها بخصوص هذا الأمر أما بالنسبة لي فأنا لا أرى ما
يدعو للتأجيل."

جلس أمين وهو يشعر برهبة نتيجة ما فعله الله من
خلال هذا الرجل الذي مازال حتى الآن لا يقبل طريق
المسيح. وأخذ أبو علي يعلو في نظره بسرعة حيث أنه
أدرك مدى المخاطرة التي وضع نفسه فيها من أجل سعادة
ابنته مما جعل أمين يريد أن يفعل ما بوسعه لأرضاء حماه
فقال له "سيدي أريد أن أخبرك بشيء."
أجاب أبو علي: "تفضل يا ابني."

قال أمين: "أنت رجل عظيم حقاً حيث أنك تضع مستقبل ابنتك أولاً ودون اعتبار لرغباتك الشخصية. وأشكرك لأنك تأخذ على عاتقك المخاطرة من أجل مستقبل ابنتك."

تردد أبو علي قبل أن ينطق بكلمة وأخذ يفكر بعمق مع نفسه فهو لم يشعر قط أنه رجل عظيم من قبل وهذا أبعد بكثير من الواقع. فكم جرح قلوب كثيرين ودمرهم. هل سينظر الله إلى أعماله هذه التي ليس فيها أنانية ويمحو بها كثيراً من الذنوب والخطايا التي فعلها في الماضي؟. عندئذ بدأ إجابته قائلاً: "أنا لا أستحق أبداً مثل هذه الكلمات بأي حال من الأحوال. فإن ما يبعث في قلبي السرور هو أن أرى ابنتي سعيدة بكل تأكيد، فأنا لم أفعل معها شيئاً واحداً طوال حياتها أستحق به محبتها ومودتها. وأنا أعتقد أنه قد حان الوقت للتغيير."

قال أمين: "لأجل هذا سوف ينعم الله عليك بالبركات." أجاب أبو علي والدموع في عينيه: "لقد شعرت بالبركة فعلاً."

أخذ أمين على غرة من رد فعل الرجل الطاعن في السن وشعر فجأة بأنه دخل إلى منطقة خاصة جداً في حياة هذا الرجل. لذا نهض بسرعة وقال: "يا سيدي أنا أرى أنك متعب ودعني أنصرف الآن ليمكنك أن تستريح.. وسيكون لدينا فرص عديدة للحديث فيما بعد. هل يمكنني أن أفرض نفسي عليك غداً بعد العشاء للانتهاء من تفاصيل حفل الخطوبة؟."

قال أبو علي: "بالطبع يا ابني مرحباً بك في أي وقت
فمنذ الآن أنت فرد من أفراد العائلة."

قال أمين: "إن هذا يعني الكثير بالنسبة لي أن يكون لي
عائلة ثانية". ثم انحنى أمين وقبل أبو علي على وجنتيه
وقال: "أشكرك ثانية على كل شيء.. تصبح على خير."
كانت أميرة في تلك الفترة مع أمها يتبادلان الحديث
وهما في غاية السعادة والدهشة لسماعهما خبر الخطوبة.
قالت أميرة والسعادة تغمرها: "أمي.. أمي" ثم راحت
تعانق أم علي وتقبلها واستطردت تقول: "هل تخيلت يوماً
ما أن أمين سيتقدم للزواج مني وأن أبي سيوافق على
زواجي منه؟!"

أجابت أمها: "لقد صنع الله معجزات كثيرة في منزلنا
هذا المساء وكم أنا سعيدة لأجلك يا أميرة. ويجب علينا أن
نتوقف الآن عن الحديث لنشكر الرب على كل ما فعله معنا
وأن ما حدث معنا هذا بفضل قوته."

قالت أميرة: "نعم بكل تأكيد يا أمي."
بدأت أم علي في الصلاة "أبي السماوي أشكرك لأجل
نعمتك فأنت أكثر من رائع وعظيم أكثر مما نتخيل، نحن لا
نستحق محبتك وبركاتك لنا. أشكرك يارب لأنك منحت
أميرة رغبة قلبها. فأنت وحدك الذي تستطيع أن تفعل هذا.
سنظل نعظمك ونمجدك إلى الأبد على نعمة الزوج الذي
يؤمن بك. بارك حياتهما معاً. امنحهما أطفالاً ينمون في
المحبة ومعرفة كلمتك. باركهما بطريقة لا يمكن أن

يتخيلاها. نحبك أبانا ونشكرك مرة أخرى على كل ما فعلت في حياتنا. في اسم المسيح نصلي آمين."

استمرا يتحدثان عن لوازم الخطوبة والفرح وبينما هما يخططان سمعتا باب المنزل يُغلق. تركت أم علي أميرة في الحجرة وأسرت لتري ماذا حدث فوجدت زوجها يجلس بمفرده في الصالة فبادرته بالسؤال: "هل أنت بخير يا زوجي؟ هل انصرف آمين؟"

أجابها باختصار: "أنا بخير.. لقد خرج على التو.. ألا ترين أن هذه الأمسية كانت ممتعة أليس كذلك؟" قالت: "نعم إنها أسعد أيام عمري وأميرة في قمة السعادة وأنت أب طيب جداً."

وللمرة الثانية هذا المساء تنساب الدموع من عيني أبو علي حيث أنه لم يستطع أن يتمالك نفسه. أسرعت أم علي وركعت بجانبه وأخذت بيده قائلة: "يا محمد ماذا بك؟ لماذا تبكي؟ هل قلت لك شيئاً خطأ؟"

على الرغم من أنه أراد أن يشارك زوجته بما في قلبه إلا أن أبو علي لم يتحمل أن تعرف زوجته نقطة ضعفه كرجل لذا قال لها: "لا.. لا أنا بخير أنا فقط متعب وقد أرهقت كثيراً من أحداث اليوم."

قالت له: "إذاً من فضلك دعني أساعدك حتى تدخل غرفتك لأنه يجب أن تستريح."

أجابها قائلاً: "نعم وسأستريح حتى الصباح حيث أن لدي الكثير لأفكر فيه وأنا أحتاج أن تتجدد قوتي حتى الصباح."

تأبط أبو علي على ذراع أم علي إلى غرفة نومهما
حيث ساعدته برفق على خلع حذائه وعباءته وبعد أن
ارتدى أبو علي ملابس نومه استلقى على السرير وأخذ
ينظر لعيني زوجته المخلصة وسألها في بساطة: "هل هي
سعيدة؟".

أجابت: "نعم يا زوجي إنها في غاية السعادة. لقد فعلت
معها أمراً طيباً نم الآن وتصبح على خير."
قال: "تصبحين على خير يا إيمان."

استعدت أم علي للنوم ثم استلقت على السرير بجوار
زوجها الذي كان بالفعل استغرق في النوم وبدأ يحلم. وعلى
الرغم من سعادتها الغامرة للأميرة وأمين إلا أنها كانت
تشعر بحزن عميق في قلبها لا تعلم مصدره. وبعد أن
فكرت في هذا الأمر أدركت أنها حزينة بسبب أنها ستفقد
صديقتها الوحيدة. فأميرة لم تكن ابنتها فقط بل كانت
الحافظة لأسرارها والرفيقة التي تتحدث معها طوال
ساعات النهار الطويلة في البيت بمفردهما فقد هونت عليها
وحدثها وعزلتها طوال السنين الماضية. أما الآن فستتركها
في عزلة مرة أخرى .

أدمعت أم علي عندما أدركت هذه الحقيقة. فمع من
ستتحدث الآن؟ بالطبع محمود هو أقرب الأشخاص إليها
وستجده وقت الحاجة ولكن لن يكون أبداً بنفس روح أميرة
وربما لا يكون كل الوقت. وعلى الرغم من أنها ترى
وتلاحظ التغيرات الجذرية التي طرأت على زوجها في
الأسابيع القليلة الماضية إلا أنها لم تكن تتوقع منه أن يسمح

لها بقليل من الحرية في حياتها وذلك كرجل واسع الأفق.
ولكن وسط كل هذا لا يزال الله معها وهو يعرف كل
احتياجاتها وسوف يسد جميع هذه الاحتياجات. لقد رأت
ولمست أمانة الله معها في الشهور الماضية ولم تشك أم
علي لحظة في أن الله سيتخلى عنها في المستقبل فقالت
لنفسها "إن طرقه ليست كطرقنا" ثم نامت أخيراً.

الفصل الثاني والستون

في صباح اليوم التالي قال أبو علي لزوجته أنه لن يذهب إلى عمله في الجامع حيث أنه اتصل بزملائه ليقوموا بعمله لمدة يومين ثم استطرد يقول: "إن لدينا الكثير جداً لنفعله حتى نستعد للخطوبة والزواج فيبدو أن الأستاذ أمين كان يرتب ويجهز للزواج منذ زمن طويل ونحن الآن متأخرون عنه كثيراً."

سألته أم علي وهي في ذهول من قراره هذا: "ماذا تريد أن نفعل يا زوجي؟" قال أبو علي: "سأصطحبك أنت وأميرة إلى المحلات لشراء ما تحتاجونه لهذه المناسبة من ثياب ومأكولات." سألته أم علي وكأنها أصيبت بلوثة عقلية: "هل سنخرج خارجاً؟"

سألها وعلى وجهه ابتسامة: "ألا تعتقدين أنه قد حان الوقت للخروج يا زوجتي؟"

ثم استطرد يقول: "هيا تعالي واجلسي معي الآن ثم نادي على أميرة أيضاً. إن لدينا الكثير جداً لنعمله!" في الأيام القليلة التالية أصبحت الأسرة كلها في دائرة من العمل المتواصل، وعلى الرغم من نوايا أبو علي الحسنة في اصطحاب زوجته وابنته إلى السوق لشراء احتياجاتهم المختلفة إلى أنه شعر بالتعب بعد فترة وجيزة من جراء عدم قدرة زوجته وابنته على اتخاذ قرار بالشراء

بالرغم من شعورهما بالسعادة البالغة. فلذا قرر بعد مرور أول يوم من التسوق أن يسند هذه المهمة إلى ابنه محمود . لم يكن محمود في البداية سعيداً بهذه المهمة إلا أنه عندما رأى أن هذا الأمر مثير لأمه وأخته أن يطوفا معه في الشوارع بدأ يستمتع بالوقت معهما. وأخيراً تمكنتا من شراء ما يلزمهما لحفل الخطوبة التي ستكون بعد يومين فقط من الآن.

كان أمين يحضر إلى بيتهم معظم الأمسيات ليتشاور مع أبو علي في تفاصيل الحفل وكان أبو علي يسمح له ببعض الوقت الذي فيه يجلس هو وأميرة على انفراد في الشرفه.

في أول فرصة سمح أبو علي لأمين بالجلوس منفردين شعرا بالخلج وساد الصمت بينهما حيث قد مضى وقت طويل منذ آخر مرة التقيا معاً في التاكسي فشعرا وكأنهما يبدآن لأول مرة. فالتقط أمين المبادرة بالكلام وقال: "أميرة أنت لا تتخيلين مدى سعادتي الآن. فأنا أشكر الله على أنه جمعنا مرة أخرى."

قالت له بصوت خفيض: "إنها معجزة إلهية."

سألها: "هل أنت سعيدة؟"

قالت بابتسامة: "سعيدة جداً وأشعر كأنني في حلم

جميل."

قال لها: "أميرة أنا لا أريد أن نبدأ علاقتنا بأي طريقة أخرى إلا أن يكون الله في وسطنا. وأنا لا أعلم كم من الوقت الذي سيسمح به لنا أبوك لنقضيه في الحديث معاً لذا

هل توافقيني على أن نقضي فترة في الصلاة الآن وكذلك
في كل مرة نلتقي فيها معاً؟".

أجابت موافقة وقالت: "هذا جميل."

أخذ أمين يدها وأمسكها ثم أغمضا أعينهما وصلى
أمين: "إلهي.. إله الآلهة. لقد فاقت قدرتك كل الخليفة. آتي
أمامك هذه الليلة مع الفتاة الممسك بيدها والتي تحبك كما أنا
أيضاً. إن هذا هو عملك وحدك فقط وهو أن تمنحني هذه
البركة. أشكرك أنا وأميرة لأجل ما فعلته في حياتنا ولأجل
خلاصنا بالمسيح أولاً وقبل كل شيء وأيضاً ما متعتنا به
بأنك عرفتنا أننا سنقضي حياتنا هنا على الأرض معاً
كزوج وزوجة. نحن نسلمك أنفسنا بالتنام والكمال كما
نسلمك علاقتنا قبل الزواج ونسلم لك زواجنا حتى ما يكون
نموذجاً لكثيرين ممن يلحظونا. يارب اجعلهم دائماً يرونك
من خلال علاقتنا. ساعدني يارب أن أكون الزوج الصالح
لأميرة. علمني كيف أحبها كما تحبها أنت. ساعد أميرة أن
تكون زوجة تقية وتكون نموذجاً للنساء في كل مكان في
المدينة. أشكرك يارب على كل ما سوف تعلمنا إياه وأنت
تربطنا معاً في المسيح. أشكرك لأنها فتاة رائعة بهذا القدر.
احمنا طوال فترة الخطوبة وتعال بنا لزواج آمن ومفرح.
في اسم المسيح نصلي. آمين."

امتلات عينا أميرة بالدموع بينما انتهى أمين من
صلاته. لم تكن تتخيل أبداً أنها يوماً من الأيام يمكنها أن
تتزوج مثل هذا الرجل. لذا غمرتها فرحة عارمة.

قال لها أمين: "يجب أن نصلي ونقرأ الكتاب المقدس كل يوم معاً بعد زواجنا. فإن هذا سيكون الرفيق والمرشد لزواجنا لقد كان الله صالحاً لنا جداً ولا يجب أن ننسى أن نقدم الشكر له على كل ما فعله من ترتيبات صالحة." قالت أميرة بكل بساطة: "نعم."

كان هذا أول لقاء لهما يجمعهما في الشرفة ولم يقطعهما أحد أثناء حديثهما معاً إلا أنهما شعرا بالخلج والإحراج لذا لم يمكثا معاً إلا لفترة قصيرة جداً. ومع مرور الأيام بدأ يشعران بالارتياح وطالت فترة لقائهما أكثر فأكثر. بدأ أمين يشارك أميرة في كيفية جعل مراسم الاحتفال بالخطوبة والزواج شهادة للآخرين. كما أبدى رغبته أن تشجع أميرة أسرته على عدم إنفاق أموال طائلة في هذه المناسبة كما يفعل كثيرون في بلدتهم فقال لها: "لنعمل أقل القليل وذلك للحفاظ على المظهر العام وكذلك إرضاء لأصدقاء أبيك كما أنني لا أريد أن تدخل عائلتك في ديون بسبب زواج ابنتهم."

على الرغم من أن هذا الكلام كان جديداً على مسامع أميرة إلا أنها رأت أنه ينم عن حكمة وهكذا بدأ يخططان معاً للمناسبتين وهنا قررا أن يكون حفل الخطوبة في بيت أميرة ويقتصر على أفراد العائلة المقربين. وسوف يبررون هذا بقولهم أن فترة الخطوبة قصيرة جداً لذا لا داعي لإقامة احتفالين كبيرين في وقت قصير جداً. كانت أميرة قد طلبت بالفعل من إحدى خياطات الملابس أن تحيك لها فستاناً بسيطاً وفي ذات الوقت راقياً يليق بهذه

المناسبة. كما ستقوم أميرة بمساعدة أمها في إعداد طعام العشاء في الخطوبة.

وفي رأي أمين أنه لا يمكن مقارنة طعام أم علي بأي طعام آخر كما سيكون والد أميرة هو الشيخ الوحيد الموجود بحفل الخطوبة. وعلى الرغم من أنهم كانوا يرغبون في دعوة إبراهيم إلا أنهم أدركوا أن هذا الأمر مستحيل حيث أن أبو علي سيعرف إبراهيم بسرعة لأنه هو الرجل الذي سألهم أصعب سؤال في الجامع. لذا فليس هذا هو الوقت المناسب لخلق شائعات.

أما بالنسبة لحفل الزواج فسيتم على مرحلتين. في المرحلة الأولى سيوقعون عقود الزواج في حضور الأهل والأصدقاء المقربين فقط وبعد ذلك وعلى غير العادة يقيمون حفل زواجهما المختلط في المطعم القريب لبيت أميرة. كان هذا على غير عادة العائلات الملتزمة دينياً حيث كان يحتفل الرجال في مكان وخدمهم والنساء في مكان منفصل وخدمهن.

شعر أمين بأنه من الأهمية بمكان أن يصرح للجميع أنهما تزوجا وهكذا ارتبطا وليس بعد شخصين بل هما واحداً. وإذا أراد أحد أفراد العائلة أو أحد أصدقائهم أن يهنئانهما فليفعلوا هذا بينما هما معاً في هذا الحفل وليس كل واحد على حدة. وبعد نقاش اتفقا على رغبتهما هذه وصليا معاً طالبين الحكمة في مشاركة هذا الأمر مع أبو أميرة. قال أمين لأميرة: أنه هو الذي سوف يتحدث مع أبو علي على انفراد في اليوم التالي.

كان رد فعل أبو علي في بداية الأمر هو الرفض التام لفكرة إقامة احتفال مختلط فقال: "كيف أجرؤ على دعوة أصدقائي ومعهم زوجاتهم وبناتهم لمثل هذا الاحتفال وأنا رجل محترم بينهم ولي سمعتي."

اقترح أمين قائلاً: "لنفكر بهذه الطريقة.. فيمكن لك أن تقول لهم عن أهمية الاحتشام الحقيقي للمرأة. حيث أنه عندما يحتفل النساء وحدهن في مكان منفصل فإنهن جميعاً يحضرن مرتدين النقاب وفور دخولهن المكان المنفصل مع بعضهن فإنهن يخلعن نقابهن ليظهرن بملابسهن الخليعة ويقضين الليل كله في الرقص" ثم استطرد أمين بنفس الجراءة وقال: "وفي الحقيقة أن ما يحدث في هذه المناسبات أن السيدات يخترن من الشابات التي يرقصن من هي أكثر جاذبية ويأخذهن كزوجات لأبنائهن! فهل ترغب أنت في أن تختار زوجة لابنك لأنها فقط كانت أكثر إثارة في رقصها واستعراضها لجسدها أمام زوجتك؟! بينما إذا قمنا نحن بترتيب الاحتفال المختلط في مطعم محترم سترتدي النساء ملابس محتشمة وجميلة مع استمرارهن في ارتداء النقاب حيث سيكون هناك رجال حاضرون. كما يمكنهن أن يستمتعن بوجبة شهية مع أزواجهن كما سيتقابلن مع السيدات الأخريات. وفي رأيي سيكون هذا أكثر تشريفاً لك في مناسبة الاحتفال بزواج ابنتك."

بدأ أبو علي بعد سماعه منطق أمين المقنع يرى الحكمة من وراء الترتيب الجديد وبينما كان لا يزال يهاب زملاءه الذين سوف يتساءلون عن سبب التغيير في رأيه لذا قال

أخيراً: "دعني أفكر في هذا الأمر وسأخبرك بقراري
الأخير بعد يوم أو اثنين على الأكثر."
أجاب أمين: "إن هذا أحسن يا سيدي. وأشكرك لأنك
تأخذ بعين الاعتبار اقتراحنا هذا."
وهكذا في نهاية المطاف تحققت رغبات كل من أميرة
وأمين. وازدادت فرحتهما عندما قال أبو علي إنه أخبر
أصدقاءه بأنهم مدعوون لاحتفال مختلط في المطعم بمناسبة
زواج ابنته فقال: "كم كانت صدمة بالنسبة لهم في بادئ
الأمر ولكنني شرحت لهم كم هو لائق أن يصطحب
الأزواج زوجاتهم وهن يرتدين النقاب بدلاً من أن
يتركوهن يتراقصن مع النساء الأخريات كالعاهرات!"
ابتسم أمين لسماعه أقوال أبو علي هذه ولكنه رأى أنه
من الحكمة أن يصمت دون أي تعليق. فهو يعرف متى
يصمت .

أما أم علي وهي لا تعلم بهذه المفاوضات السرية التي
دارت بين أمين وأبو علي فصاحت تقول وهي تفتخر: "أبو
علي.. ستصنع لنفسك اسماً جديداً وذلك كأول إمام يضع
مقاييس عالية للاحتفالات السعيدة! كم أنا فخورة جداً بأن
أكون زوجتك."

إنتشى أبو علي وقال والغرور يملأه: "حسناً، فلا بد أن
يكون هناك شخص يأخذ المبادرة وإلا فسوف نستمر على
حالنا الرديء هذا دون تغيير!"

الفصل الثالث والستون

تمت خطوبة أميرة لأمين في منزلها بهدوء وسعادة وفي وجود أفراد عائلتها مع ملاحظة أن حلیم لم یشارك في أي من هذه الاحتفالات وذلك فور علمه بعرض أمين للزواج من أميرة حيث أنه استشاط غضباً، وراح یجادل والده بخصوص هذا الأمر. فلم یستطع أن یصدق أن أباه وهو إمام یسمح لابنته أن تتزوج من رجل غیر مسلم. قال له أبو علي إنه لا یعتبر أمين غیر مسلم لأنه ولد مسلماً وسيظل هكذا دائماً في نظره أنه شخص مسلم. فما رآه فيه من فضائل وصفات حميدة جعلته یتغاضى عن حقيقة أنه الآن یتبع تعالیم سيدنا عيسى المسيح. وباعتباره والد أميرة فقد اتخذ قراراً بأنه سیوافق علی من سیجعلها سعيدة في زواجها. كما قال أبو علي لحليم لیكن معلوماً لديك أنني لن أسمح لأحد أياً كان أن یعكر صفو زواج ابنتي أو أن یجلب العار علی العائلة.

أخبر حلیم أباه أنه یوافق علی هذا بشرط أن یسمح له بالإستمرار في وظيفته وأن لا یطلب منه أبداً أن یأخذ مكان علی كالأبن الأكبر. كما قال حلیم لأبيه بوضوح أنه لن یشارك في حفل زفاف أميرة وبدلاً من هذا فهو سیقوم بجولة خارج البلاد حتى تنتهي مراسم زفاف أميرة وذلك حتى یتفادى اسئلة الناس الكثيرة.

وافق أبو علي علی مضض فقد كان یتمنى أن یظهر ابنه حفاظاً علی مظهر العائلة إلا أنه أدرك أنه من الأفضل

أن يدع حليم يذهب في هذه الرحلة على أن يحدث شغباً أثناء حفل الزفاف.

ولكي يشجع أبو علي ابنه حليم على تنفيذ وعده هذا قدم له مبلغ ألف جنيه على سبيل الهدية لكي يستمتع برحلته. طار حليم من الفرح ثم اختفى لفترة طويلة من الزمن. على الرغم من أن أميرة وأمين شعرا بالحزن لعدم موافقة حليم على زواجهما إلا أنهما أدركا أنه من المستحيل أن يوافق جميع الناس على زواجهما هذا وتركوا هذا الأمر في يدي الله. أما الحاضرون في حفل الخطوبة فجميعهم كانوا سعداء لأختهم أميرة ورفعوا من معنوياتهم بتهانيهم القلبية لها وتمنياتهم بزواج سعيد. أما أم علي فقد قامت بإعداد الوليمة التي تحتوي على الأطعمة الشهية وقد كان احتفالاً رائعاً علت فيه أصوات الزغاريد والتمنيات بزواج سعيد وحياة هادئة.

مرت الأسابيع التالية للخطوبة بسرعة، وشعرت أميرة بالحزن يملأ قلبها حيث أنها أدركت مدى الألم الذي ستشعر به أمها نتيجة لرحيلها من المنزل. وبالرغم من أن المشغوليات التي انتابت جميع من في البيت لعمل الترتيبات اللازمة لحفل الزواج إلا أنها كانت تختلس الوقت الذي تقضيه مع أمها في الحديث والصلاة معاً. وفي عصر أحد الأيام وبينما لم يكن أحد معهما في المنزل جاءت أميرة إلى أمها في المطبخ قائلة: "أمي إن لديّ شيئاً أريد أن أعطيه لك."

أجابت أم علي: "ماذا هو الشيء يا بنتي؟ لا داعي لأن تعطيني أي شيء."

قالت أميرة: "يا أمي أنا أعرف أنه ليس لديك كتاب مقدس حيث أن أبي أخذه منك منذ عدة أسابيع فلذا أردت أن أعطيك كتابي الخاص بي."

قالت أم علي معترضة: "لا يا أميرة.. لا يمكنني أن آخذ كتابك المقدس."

قالت أميرة: "أمي.. أني قريباً جداً سأخرج من هذا البيت وبالتأكيد يمكنني أن أشارك أمين في كتابه المقدس أو على الأقل أن أشتري كتاباً مقدساً بكل سهولة فهو يريد أن يكون معك كتاب مقدس خاص بك."

انهمرت الدموع من عيني أم علي بينما كانت تأخذ الكتاب المقدس الثمين بيديها فقبلته وقالت: "أنا لا أعلم سبب بكائي الآن هل لأنني سأقرأ ثانية الكتاب المقدس أم أنني لا أستطيع أن أتخيل البيت بدونك."

لم تستطع أميرة أن تجيبها بل أخذت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة الآن، ثم عانقت أمها بين ذراعيها وظلا هكذا لبضع دقائق وأخيراً قالت أميرة: "يا عزيزتي يا أمي العزيزة. أنت لم تفقديني حيث سأعيش هنا في المدينة وبالتأكيد سوف ترينني كل يوم وأنا على ثقة ويقين من هذا ولا أستطيع أن أتركك وحيدة."

قالت أم علي: "لا يا بنتي هذا غير صحيح فأنت ستصبحين زوجة لرجل يحتاجك بجانبه ولبيتك مسؤوليات

عليك وسوف يكون عندك أطفال وبالتالي لن يكون عندك وقت لعمل شيء آخر."

أجابت أميرة وهي تبكي: "لا.. من فضلك يا أمي لا تقولي هذا أبداً، فأنت تعرفين كيف كنت أفكر طوال الوقت وأنا معك في المستشفى أن آخذك بعيداً من هذا البيت ولذا لن أتركك أبداً."

أدركت أم علي الأمر لذا مسحت دموعها وحاولت أن توضح لأميرة قائلة: "حبيبتي أميرة.. أنت لن تتركيني الآن كما كنت في نفس الوضع السابق أو كما كنت في الأيام المظلمة السابقة. وعلى الرغم من أنني سأفتقدك حقاً إلا أن الله معي، هو عزائي كما أنه أعطاني محمود لنشارك معاً وهذه نعمة كبيرة. كما أن أباك ليس هو نفس الرجل الذي نعرفه من سنين عديدة. فإن الله يعمل في حياته أيضاً. لي رجاء بأنه يوماً ما سيصبح هو الرجل الذي يمكنني أن أعيش معه كزوجة وفي سعادة. كما أثق أن هذا اليوم سيأتي قريباً، أنا لا أريد أن أكون عائقاً لزواجك فسوف نظل دائماً على مقربة من بعضنا البعض. الله سيدبر لنا هذا بطريقته."

كانت الأسابيع القليلة الأخيرة من أكثر الأوقات صعوبة على أميرة وأمها وذلك كلما اقترب موعد فراقهما. لكن فرحة الإعداد والتجهيز للفرح والحب الذي كان ينمو بين أمين وأميرة غطى على هذا الألم. لا يوجد شيء يبهج ويفرح قلب "أم علي" بقدر ما ترى أن الله يمنح إبنتها زوجاً من اختياره هو. وانتقلت عدوى هذه الفرحة لأبو

علي حتى أنه كان يشاركهم في الترتيبات بكل حماس غير مبالياً بمظهر العائلة. وبينما كان أمين يقضي فترات أطول في منزلهم تمكن أبو علي من قضاء فترات أطول مع عريس ابنته وإن كان يصعب عليهما أن لا يتحدثا في أمر ترتيبات الزفاف إلا أنهما دائماً ما كانا ينساقا للحديث عن الإنجيل.

كان أمين حريصاً جداً أن لا يثير غضب حماه قبل زواجهما المرتقب لذا كان يشارك من قلبه بفقرات مختارة وموضوعات معينة للمناقشة. إستمع أبو علي باهتمام شديد وتجادل معه بحده ولكنه دائماً ما كان ينتهي نقاشهما بمجرد أن يعرف الحق الإلهي ثم يتفق في النهاية مع خطيب ابنته العجيب.

كان هناك صراع داخلي في قلب أبو علي وذلك كلما كان ينفرد مع نفسه في الجامع ويحلل ويُقيّم كل ما كان يناقشه مع خطيب ابنته.

قال أمين لأميرة: أنه أعد أسبوعاً خاصاً جداً لقضاء شهر العسل والذي سيبدأ فور الإنتهاء من حفل الزفاف. حاولت أميرة جاهدة أن تكتشف شيئاً من أمين عن المكان الذي سيقضيان فيه هذا الأسبوع إلا أنه قال لها أنها ستكون مفاجأة ولن يبوح لها بهذا السر. حاول محمود إشعال فضولها أكثر بأن قال لها أنه على علم بالمكان الذي سيقضيان فيه شهر العسل بينما لا تعلم هي عنه. كاد الفضول يقتل أميرة ولكن لم يُبح لها أي من الشابين بسر هذا المكان. وعلى الرغم من أن أميرة مازالت لا تعلم سر

هذا المكان إلا أنها بدأت ترتب حقيبة ملابسها لقضاء أسبوع في مكان مجهول أما أم علي فقامت بترتيب باقي ملابس ومتعلقات أميرة الشخصية التي سترسلها إلى بيت أمين في أثناء غيابهما وسيقوم بترتيبها بعض الأصدقاء المقربين.

بينما كان أمين وأميرة يعدون بطاقات الدعوى سألت أميرة أمين عن أسماء المدعوين من أصحابه وعائلته فلم يذكر لها سوى عشرة أشخاص من بينهم أخيه وأخته اللذان هم خارج البلاد ولن يتمكنوا من الحضور من بلاد المهجر. رأت أميرة أن هذا الأمر غريب لذا شجعتة لدعوة أناس أكثر. فأخبرها بأن دائرة أصدقائه صغيرة جداً ولا يوجد أشخاص آخرين يريد دعوتهم. لذا سيكون معظم ضيوف العرس من عائلة وأصدقاء والدها.

كان يوم الزفاف ربيعي جميل وقد شكرت أميرة الله على الجو الدافئ والشمس الساطعة. أما أمها فقد انشغلت بمساعدتها في تصفيف شعرها ووضع اللمسات الأخيرة على فستانها إلى أن حضر أباهما وأخبرها بأنه قد حان الوقت لتوقيع عقود الزواج.

أشرق وجه أمين وعلته الفرحة عندما رأى عروسته تدخل الحجرة. إنتهت مراسم توقيع العقد بسرعة وفي حضور أفراد العائلة المقربين فقط وذلك بناء على طلب العروسين. حيث أنهم قرروا من قبل أن يتم التوقيع على العقود صباحاً حتى يتمتعوا بوجبة الغذاء في جو عائلي

هادئ قبل البدء بالاحتفال مساءً مع مجموعة كبيرة من الناس.

جلست أميرة بجوار أمين ولأول مرة بدون حجاب وهي سعيدة لكنها قلقة فهي الآن أصبحت زوجة. وقبل البدء في تناول طعام الغذاء صرح أمين قائلاً: "أريدكم جميعكم أن تعرفوا أن الفرح الذي في قلبي اليوم لا يمكنني التعبير عنه. فأنا أسعد رجل في العالم. كم أشكر يا أبو علي لأنك سمحت لي أن أتزوج إبنتك الجميلة أميرة. سأبذل قصارى جهدي لإسعادها وإعطائها الحب الذي تستحقه كإمراة. وكم أشكر يا أم علي على ما غرستيه من مبادئ حميدة في إبنتك بها يعود المجد لله. وتأكدى من أنها لن تبعد عنك أبداً لأننا سنأتى لرؤيتكم باستمرار. أود أن أشكركم جميعاً لأنكم عائلتي فأنا أشعر وكأنني الوحيد المستفيد من هذا الزواج إذ ربحت عائلة. وهذا أعظم شئ بالنسبة لي, وأريد أن أشكر الله لأنه منحني رغبة قلبي وأنعم على أكثر مما كنت أتوقع في أميرة. فلا أستطيع أن أعبر عن مدى حبي لها." وهنا أمسك أمين بيد أميرة بينما كان يقول كلماته الأخيرة هذه مما جعل وجهها يحمر خجلاً وهي تسمع هذه الكلمات, وعلى الرغم من أن الجميع أرادوا أن يهللوا إبتهاجاً وفرحاً مهنئين العروسين إلا أنهم إلتزموا الصمت التام. أما البعض منهم فأدملت أعينهم. قطع أبو علي هذا الصمت بقوله: "أنه يوم عظيم.. لينعم الله عليكما. دعونا نأكل الآن."!

هنا إسترخى الجميع وبدأوا يتذوقون ويستمتعون بطعام أم علي اللذيذ. كانت هذه ما هي إلا لحظات قليلة تناولوا فيها طعامهم في هدوء قبل البدء بالاحتفال الرسمي. وإذ ما كادوا ينتهون من طعامهم إلا وقد حضرت مجموعة من صديقات أميرة من المرحلة المدرسية وبصحبتهم أمهاتهم لمعاونتهن في الإستعداد للاحتفال. أما أمين فعاد إلى منزله ومعه محمود ليستريح حتى يحين موعد الاحتفال.

الفصل الرابع والستون

مضى وقت الظهيرة وكان أميرة كانت في حلم. وامتلاً البيت من الناس حتى كادوا يتخبطون من الزحام وذلك لمساعدة أميرة وأمها فى الاستعداد للاحتفال ولم تدر أميرة إلا بالوقت وقد مضى سريعاً إلى أن فوجئت بأنه يجب عليها الذهاب إلى المطعم. وكما اتقفا هي وأمين على أن يصل هو أولاً إلى المطعم ويدخل بزفة العريس ويحيطه الشباب بالأغاني، أما أميرة فتلق به بصحبة أمها وأبيها وقلة قليلة من صديقاتها لتدخل المطعم بزفة خاصة بالعروسة مصحوبة بالغناء والزغاريد.

ارتدت أميرة فستان الزفاف الأبيض والمصنوع من الساتان والذي كان يجمع بين البساطة والأناقة في ذات الوقت وكانت به ياقة مستديرة مرصعة باللالئ وذاة أكمام طويلة وفي منطقة الصدر كان الفستان مناسباً أما من بعد الوسط فكان واسعاً فضفاضاً وله ذيل طويل ينساب خلفها ويملاً الذيل تطريز جميل. وقد ارتدت غطاء على رأسها مرصعاً باللالئ ومنه يتدلّى برقع صغير شفاف يغطي وجهها. وبصفة عامة كانت أميرة غاية في الأناقة والحشمة في ذات الوقت مما أثار إعجاب كل من رآها.

لم يكن أمين وأميرة يصدقان أن ما يحدث هذا هو حقيقة إلى أن تلاقت أعينهما مرة أخرى في المطعم. وعندما نظرت إلى وجهه تذكرت ثانية تلك العينين اللتين جذبتاها من النظرة الأولى ولكنهما كانتا في هذه

المرة مصحوبتين بابتسامة عريضة جداً. وما أن رأت هذه الابتسامة حتى هرب التوتر منها لذا أسرعت بخطواتها إلى أن جلست بجواره وابتسمت للحشد المجتمع.

سار أبو علي وأم علي معاً خلف ابنتهما وانضما إلى جوار العروسين السعيدين على المنصة الرئيسية مقابل جميع الحاضرين وكانت الفرحة تعلو وجهيهما بوضوح. وعندما توقف الجميع أخيراً عن التهليل والزغاريد بدأ أبو علي يقول للمدعوين: "بسم الله الرحمن الرحيم. نحبيكم هذا المساء ونرحب بكم جميعاً في هذا الاحتفال بزواج أمين وأميرة وأنها من أسعد المناسبات والعاقبة عندكم في المسرات. ونشكركم لتشريفكم لنا بالحضور وهيا تفضلوا واستمتعوا بالطعام."

امتألت الصالة مرة أخرى بالصياح والزغاريد المصحوبة بالموسيقى بينما كان الطعام يوزع أما أمين الذي كان يجلس قبالة أبو علي فانحنى تجاهه وقال: "أشكرك يا سيدي لأنك سمحت لنا بمثل هذه الليلة." أجاب أبو علي: "إنها فرحتي يا ابني. وأنا أدعو الله أن يمنحكما السعادة والهناء."

كانت أميرة تحاول أن تستوعب ما تراه وما تسمعه وحتى ما تشمه من روائح طيبة وما تراه من وجوه المدعوين أن هذا كله يحدث في يوم زفافها هي شخصياً! فكم أرادت أن تعيش هذه اللحظة طوال عمرها. وهنا كانت أميرة الفتاة التي لم تخرج من بيتها مطلقاً وها هي ترتدي فستان زفافها وأمامها أشهى المأكولات وترى الناس من

حولها سعادة بهذه الاحتفالية. كما أن الرجل الجالس
بجوارها يحبها ويسعى لإسعادها مدى الحياة. لم تستطع
أميرة أن تستوعب كل هذا في لحظة واحدة ومن شدة
فرحتها بدت وكأنها في حالة إغماء.
لاحظت أمها أن أميرة تبدو وكأنها منفعلة من شدة
السعادة ووجهها شديد الاحمرار ويبدو وكأن الدم سيتفجر
من الأوعية الدموية في وجهها. فأسرت تجاهها وانحنى
قبالتها تسألها: "أميرة... هل أنت بخير؟ يبدو وكأنه سيغشى
عليك."

عندما لم تسمع أم علي أية إجابة من أميرة اضطرت
على الفور لرش بضع قطرات من المياه على وجه أميرة
لإفاتها.

شهقت أميرة شهقة طويلة وكأنها أفاقت من غيبوبتها
ونظرت فرأت أمها فارتبكت أميرة ولكن أم علي أخذت
تطمئنها بقولها: "أنك على ما يرام يا ابنتي وأنا أعلم أن كل
هذا يفوق احتمالك في ليلة واحدة."

قالت أميرة وهي متعجبة: "يا أمي أنا لا أستطيع أن
أصدق أن كل هذا هو لأجلي فإنه أجمل بكثير مما كنت
أخيل."

أجابت أمها بابتسامة دافئة: "نعم إنه جميل جداً وأنت
تستحقين كل هذا وأكثر يا أميرتي فاهذي واستمتعي
بطعامك وحفلتك."

قالت أميرة وهي تضغط بلطف على يد أم علي: "أحبك
يا أمي."

قال أمين جاذباً انتباه أميرة بدلاً من أمها: "مساء الخير يا زوجتي الجميلة.. هل أنت سعيدة الليلة؟".
أجابت أميرة: "لقد أعطاني الله كل ما أريده.. فكيف لا أكون سعيدة؟".

استطرد أمين يقول: "لقد باركنا الله معاً.. فلنفرح هذا المساء فها انظري إلى ضيوفك وابتسمي لهم!".
ثم نظر كل من أميرة وأمين إلى الضيوف بابتسامة تقدير وترحيب وتبادلا معاً احتساء الشربات كل من كوب الآخر مما جعل أصوات الزغاريد تعلو وكذلك كلمات المهنئين.

وبعد تناول العشاء تقدم المدعوون للأمام يقبلون العروسين مهنئين بالزواج. وقد كانت هذه أول مرة يرى أمين فيها الكثير من الحاضرين. أما أبو علي فقد اهتم بأن يقدم أمين لكل الحاضرين وقد كان تلقائياً يصف زواج ابنته بأحسن الكلمات. وكلما حضر أحد زملاء أبو علي ومعه زوجته لتهنئة العروسين كان الكثير منهم يعلقون قائلين لأبو علي أنه بذلك يؤسس طريقة جديدة لاحتفال المسلمين بالزواج وعندئذ توافقه زوجته المصاحبة له بالقول: "إن هذه الطريقة جيدة جداً".

أما أمين وأميرة فكانت تعلو وجهيهما الابتسامة كلما سمعا مثل هذه التعليقات من زملاء أبو علي ويشعران بالافتخار حيث أن أبو علي قد غير مجرى التاريخ بتقليده الجديد هذا على حسابهما.

وقبل أن ينتهى حفل الزواج هذا كان أبو علي مقتنعاً
تمام الاقتناع بأنه يجب على كل رجل مسلم أن يكثر من
الخروج مع زوجته وهكذا بدأ على الفور يشارك جميع
الحاضرين بهذه الفكرة. وأن يتم عمل هذا بصورة مستمرة
حيث أنه إذا خرجت النساء مع أزواجهن فمن الطبيعي
أنهن لن يمكنن في البيوت للنميمة.
ومع اقتراب نهاية الاحتفال انتحى أمين جانباً ليسأل أبو
علي قائلاً: "هل تسمح لي بأن أقول كلمة للضيوف يا
سيدي؟".

أصاب القلق أبو علي قليلاً لفكرة أن يتكلم عريس ابنته
أمام أصدقائه ولكنه قرر أن يأخذ المخاطرة وقال: "بما أننا
في هذه الليلة نصنع تاريخاً جديداً يا ابني فلك أن تتكلم ما
شئت".

أجاب أمين: "شكراً يا سيدي."
قام أبو علي من مقعده وطرق على كوبه الزجاجي
بالمعلقة ليجذب انتباه الحاضرين وقال لهم: "هدوء من
فضلكم. إن عريس ابنتي يود أن يوجه كلمة لكم فانصتوا
إليه".

وقف أمين وأحنى برأسه قليلاً تجاه حماه ثم قال
للجموع: "أود أن أنتهز هذه الفرصة وأتوجه إليكم باسمي
أنا وأميرة بالشكر على حضوركم هذه الليلة للاحتفال
بزواجنا. ولقد تشرفنا كثيراً بحضوركم وتهنئتكُم لنا. لقد
جمعنا الله أنا وأميرة معاً ونحن نسعى لأن نكرمه في بداية
حياتنا الزوجية. وإنكم أعزاء على قلوبنا ونتطلع لرؤية كل

منكم في منزلنا مرة أخرى. ونشكركم ثانية على تشريفكم لنا."

وقبل أن يجلس أمين على مقعده أمسك بيد أميرة مساعداً إياها على الوقوف بجانبه وهكذا بدأ بيتسمان للحاضرين ثم تقبلاً التهاني من الجميع. وانحنى أمين مرة أخرى وعانق أبو علي مقبلاً إياه كما عانقت أميرة أمها ثم تبادلوا العناق أمين وأم علي وأميرة وأبوها. ثم أمسك أمين بيد أميرة ولوحاً مودعين الحاضرين وخرجاً سريعاً إلى السيارة التي كانت تنتظرهما واختفيا من المكان قبل أن يعلم أحد من الحاضرين ماذا يحدث.

كان محمود هو الشخص الذي يجلس خلف عجلة القيادة وكان قد تسلل من قبل لينتظر العروسين بالخارج دون أن يلحظه أحد من المدعوين. هتفت أميرة إذ رأت أخاها قائلة: "ماذا تفعل هنا يا محمود؟" ثم قالت لأمين: "هل سيتضايق أبي لخروجنا هكذا سريعاً؟".

أجابها أمين قائلاً: "إن محمود هو السائق لنا هذه الليلة أما من جهة أبيك فلا تضطربي فإنه سيجد لنا العذر أمام ضيوفه لتبرير سلوكنا هذا. فلقد صرفنا وقتاً طويلاً جداً معهم! وإن لدينا أشياء أخرى يجب أن نفعلها في هذه الليلة."

وبينما ابتسم هو أحمر وجه أميرة خجلاً بينما كان محمود يقود السيارة إلى خارج مكان الانتظار.

الفصل الخامس والستون

إن ما جعل أميرة تحمر خجلاً هو أنها لم تكن تتوقع أن تنتهي مراسم زواجهما بهذه السرعة.
قادهما محمود عبر شوارع دمشق إلى الجانب الآخر من المدينة. حاولت أميرة جاهدة أن تتعرف على الشوارع التي تمر بها لكن دون جدوى. وإذ بأخيها يتوقف بالسيارة فجأة أمام مبنى ذى أربعة طوابق فسألت عريسها قائلة:
"أين نحن الآن؟" أجابها أمين بابتسامة: "سوف تعرفين حالاً يا حبيبتي."

فتح محمود باب السيارة وظل ممسكاً به إلى أن خرجت أخته العروس ويتبعها أمين العريس وعندئذ علت أصوات الزغاريد فابتسم أمين وقال لأميعة: "إنها عائلتك الجديدة يا حبيبتي.. عائلتك في المسيح. وسيحترفون هم أيضاً بنا هذه الليلة!"

ابتسمت أميرة وسارت في خجل وسط مجموعة من المهنئين ثم صعدت السلم إلى منزل إبراهيم وعند دخولهما المنزل وجدته مزيناً تماماً بما يتناسب مع هذه المناسبة وفي وسط المنزل هناك تورته أخرى للزفاف.
اندهشت أميرة لما فعله هؤلاء الأغراب احتفالاً بها وسار أمين وأميرة حتى جلسا على كرسيين كبيرين في مقدمة الصالون. وعندما دخل المدعوون جميعاً إلى المنزل جلسوا في حلقة كبيرة مستديرة. وهنا وقف إبراهيم ليبدأ كلمته بعد أن ساد الهدوء المكان فقال: "إنه امتياز لنا جميعاً

أن نرحب بالأستاذ أمين عبد الرازق وزوجته أميرة محمد
في بيتنا لنحتفل معهما بمناسبة زواجهما."

وهنا علت أصوات الزغاريد لكن إبراهيم استطرد
يقول: "قبل أن نبدأ احتفالنا دعونا نبدأ بالصلاة ونقدم الشكر
لله أولاً الذي جمعهما وصنع هذا الرباط المفرح."

صلى إبراهيم: "أبانا السماوي أحمد اسمك الآن لأنك
بالحقيقة إله المحبة والفرح. وأنت تعرف أشواق قلوبنا بينما
تسمع صلوات أبنائك. نشكرك على استجابة صلاة أختينا
أمين وأختنا أميرة، ونشكرك لأجل إيمانها وارتباطهما
بشخصك ومن أجل ارتباطهما معاً ومن أجل فتح الطريق
أمامهما ليصيرا مرتبطين كزوج وكزوجة. أنت إله
المعجزات ونحن جميعاً هنا هذه الليلة شهود لتلك المعجزة
وهي أن نراها يجلسان جنباً إلى جنب وعلى استعداد
لمواجهة الحياة معاً باقي أيام حياتهما، ونشكرك يا أبانا
والآن نسألك يارب أن تغطيهم بجناحي حمايتك. بارك
يارب زواجهما واجعلهما مثمرين واستخدمهما لكي يكونا
نموذجاً للبيت المسيحي لكل من يراهما. اجعل من بيتهما
مكان سلام ليكون ملجأ لكل من يأتي إليه فيجد فيه الرجاء.
استخدمهما لتمجيد ملكوتك. باركهما يارب وبارك وقتنا
هذه الليلة واجعلنا نفيض عليهما بالفرح والمحبة بمشاركتنا
لهم بالأخبار السارة وكلمات السلام التي تهديها لنا من
كتابك المقدس. في اسم المسيح نصلي أمين."

لم تسمع أميرة من قبل مثل هذه الكلمات الجميلة
والدعاء لأجلها فلذا أدمعت عيناها أثناء رفع إبراهيم

الصلاة. وبينما يتابع إبراهيم حديثه غمرها إحساس رائع بوجود الله في المكان ووجوده أيضاً في الحاضرين من حولها.

شعر أمين أن هناك شيئاً يحدث في أعماق أميرة لذا ضغط برفق على يدها وهمس قائلاً لها: "هل أنت بخير؟". أجابت بابتسامة: "نعم أنا بخير وإن كل ما في الأمر أنه لا يمكنني أن أصدق أن كل هؤلاء الناس هم هنا الآن ليحتفلوا بزواجنا على الرغم من أن أحداً منهم لا يعرفني." قال أمين: "يا أميرة إنهم عائلتك وسوف تتعرفين عليهم وتصبحين كواحدة منهم قريباً."

كان إبراهيم مازال يقدم العروسين للمجموعة فشارك باختصار كيف جمع الله أميرة وأمين معاً وأنهما مؤمنان في المسيح كما قال للمجموعة أنهم كانوا يصلون من أجل أميرة منذ فترة.

ثم نظر إبراهيم إلى أميرة وقال: "أختنا أميرة، أود أن أرحب بك وبالنيابة عن مجموعة المؤمنين في المسيح هنا في عائلتك، نحن سعداء جداً ليس فقط لأنك تتبعين المسيح لكن أيضاً لاختيارك أن تكوني زوجة لأخي. نحن نصلي إلى الله أن يباركك في دورك الجديد في الحياة فجميعنا هنا لنقدم لك المساعدة والصلاة منا متى احتجت لذلك."

ثم نظر إبراهيم لأمين وقال: "ونحن نعرف أخانا أمين منذ فترة طويلة والآن نحن نشكر الله لأجل أمانته وشهادته المستمرة للرب كما نصلي لأجل عائلتك في المسيح ودورك الجديد فيها كزوج. وأنت تعلم أنه يجب أن تحب

أميرة كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. إننا جميعاً هنا لكي نساعدك ونعضدك ونصلي لأجلك متى احتجت منا ذلك. كما نصلي لأجلكما كزوجين أملين في أن نرى ما سيصنعه الله بكما والآن دعونا نحتفل معاً."

هنا وقفت ثلاث سيدات وبدأن بترنيمة عن الزواج مصحوبة بالعزف على العود. كانت كلمات هذه الترنيمة جميلة لدرجة معها فتنت أميرة بمعاني الكلمات وأهميتها لزواجهما. وبعد الترنيمة وقف أحد الرجال وقرأ عدة مقاطع من الكتاب المقدس والتي تتكلم عن الزواج. ولم يشرح بالتفصيل ما قرأه وإنما ألقى الضوء فقط على أهمية أن يضع كل من العروسين شريكه الآخر أولاً قبل عائلتهما حيث أن العائلة لها من النفوذ الذي يسيطر على حياة الزوجين اللذين يتزوجان حديثاً. لم تكن هذه النصائح مبالغاً فيها.

بعد قراءة هذه الفصول من الكتاب المقدس، اشترك الجميع في رفع ترنيمة تسبيح لله. غمرت أميرة مشاعر فياضة وهي تراقب الجميع وقد ساد عليهم الفرح ويطلقون أصواتهم في ثقة بينما هم يسبحون الله. أخذت أميرة تنتظر لوجوه الحاضرين وترى مدى السلام الذي يشع من وجوههم. لقد كانت هذه تجربة فريدة من نوعها بالنسبة للأميرة. وبعد الترنيمة طُلب من أمين وأميرة أن يقطعا تورتة الزفاف. وضحك جميع الحاضرين وهم يراقبون أمين وأميرة يستجمعان أيديهما ليقطعا معاً التورتة ثم يطعم كل منهما الآخر على التبادل. وبينما كانت التورتة توزع

على المدعويين تقدم بعضهم إلى الأمام لتهنئة العروسين، كما عرضت الكثير من السيدات على أميرة المساعدة إذا ما احتاجت لأي شيء إذ أخبرنها بأنهن يفهمن تماماً معنى أن تكون زوجة جديدة وسيكون من دواعي سرورهن أن يشيرن عليها بوصفات خاصة لإعداد بعض الأطعمة وكذلك في عمل أي ديكور في الشقة إذا سألتهن في أي لحظة.

حاولت أميرة جاهدة أن تحفظ وتكرر أسماء هؤلاء السيدات كما قدمت لهن الشكر وأخبرتتهن أنها لن تتردد في طلب أي مساعدة منهن.

بعد أن هنا كل الحاضرين العروسين مال أمين لناحية أميرة وسألها قائلاً: "ما رأيك في مفاجأتي هذه؟". أجابت: "لم أكن أتخيل يوماً ما أن هناك مجموعة من الناس مثل هذه. إنهم طيبون جداً ومحبون بعضهم لبعض رغم اختلافهم عن بعضهم البعض تماماً ويبدو أنهم من ثقافات مختلفة.

قال أمين موافقاً إياها في رأيها: "نعم إنهم حقاً مختلفون ولكن ما يوحّدنا جميعاً هو المسيح. إنها عائلتي يا أميرة وأريد أن تحبهم مع الوقت بنفس مقدار حبي لهم فبحسب رأيي لن تجدى أناساً أفضل من هذه المجموعة في أي مكان في بلدتنا.

أجابت أميرة: "أنا بالفعل مذهولة هذه الليلة لما أظهره لي من محبة بينما أنا غريبة عنهم تماماً! ثم استطردت تقول بلهجة يشوبها الحزن: "أنا حقاً أشعر بوجود الله وكم

كنت أتمنى لو تمكنت أُمي من مقابلة هذه المجموعة معي
هذه الليلة."

قال أمين: "سوف تحضر معنا يوماً ما يا حبيبتي لا
تقلقي فإن الله بيده كل الأمور."

مالت أميرة ناحية أمين إلى أن لمس كتفها كتفه وقالت
له: "لقد جعلتني أسعد امرأة على الأرض."

ردد أمين قائلاً: "وأنت أيضاً. وهذه هي البداية فقط
وأنا أثق أن الله سيفعل أشياء عظيمة جداً في المستقبل في
عائلتك. انظري ماذا عمل الله بالفعل في حياة أبيك."

أجابت أميرة: "أنا أعلم.. أنا أعلم فقط كنت أتمنى أن
يقبل المسيح فعلاً في حياته ويسمح لأُمي أن تعرف معنى
الحرية الحقيقية والسعادة في الزواج."

أمسك أمين بيد زوجته ضاغطاً عليها برفق ثم قربها
لشفتيه وقبلها. وعلى الرغم من أنه كان يجب عليها أن
تكون في حرج إلا أنها سمحت لنفسها أن تستمتع بملاطفته
هذه لها وشعرت وكأنها تحلق في السماء.

لم يتمكن العروسين من مغادرة منزل إبراهيم قبل
الثالثة صباحاً حيث قاد محمود وهو متعب جداً سيارة
العروسين السعيدين ولكنهما الآن منهكا القوى وسار بهما
إلى الفندق لقضاء ليلة زواجهما الأولى. وعندما توقف
محمود أمام باب الفندق همست أميرة إلى أمين قائلة:
"أمين. أنت تعلم أنه لا داعي لأن تنفق أموالاً طائلة لنقضي
الليلة في الفندق وسأكون سعيدة جداً إن ذهبنا إلى بيتنا
مباشرة."

نظر إليها أمين وأجابها بابتسامة: "يا حبيبتي أنت ستكونين معي في البيت باقي أيام عمرك ولكنك الآن تستحقين أن تعاملي مثل الملكات. لا تقلقي بشأن المال فأنا أدخر المال للزواج منذ فترة طويلة جداً ولدينا ما يكفي لقضاء الليلة بالفندق وسيتبقى معنا بعض النقود. دعينا نستمتع سوياً في هذا الأسبوع."

نزل محمود ثانية ليفتح لهما باب السيارة وبينما أميرة تخرج من السيارة نظرت إلى عيني أخيها وقالت له: "لقد أتعبناك كثيراً هذه الليلة يا أخي. شكراً لك على كل ما فعلت. أعط لأمك حضناً كبيراً مني وقبلها على وجنتيها وقل لها إنني أحبها وسوف أتصل بها في نهاية الأسبوع. وقل لأبي إنني أشكره كثيراً على العشاء الجميل في المطعم. أنا أحبك يا محمود."

حاول محمود أن لا يظهر مشاعره وأحاسيسه لكنه وإذ رأى أخته الصغيرة تذهب مع زوجها لم يتمالك نفسه لذا قبل أميرة والدموع تنساب من عينيه وقال: "الليلة أنت بالفعل أميرة يا أختي وإن زوجك رجل رائع ومعه الآن زوجة رائعة وأتمنى لكما كل سعادة يمكن أن يمنحها الله لزوجين. أحبكما."

ثم قبل أمين محمود وكرر تقديره وشكره كما قالت له أميرة. ثم دخلا العروسين إلى الفندق وفور دخولهما إلى حجرتهما عانق أمين أميرة وقبلها بدفء شديد ثم قال لها: "حبيبتي سوف نقضي الليلة هنا وغداً نسافر إلى حلب لقضاء باقي الأسبوع هناك، وسنتوقف في طريقنا إلى

هناك لزيارة بعض الأماكن الجميلة. أنا أعرف أنك لم تستمتعي بكل الأماكن الجميلة في سوريا لكن قد حان الوقت الآن! ولكن أولاً قبل كل شيء أريد أن نركع معاً بجانب السرير ونشكر الله من أجل كل صنيعه معنا ونسلمه زواجنا، هل تريدان أنت أيضاً؟".

أجابت أميرة: "بالطبع أريد يا حبيبي" ثم ركعا وهما ممسكان بيدهما معاً ورفع كل منهما صلاة شكر لله وهما يريدان أن يضعا يسوع أولاً على زواجهما وأن يمتلك هو كل أيام حياتهما الزوجية.

بعد هذه الفترة من الصلاة معاً استراحت أميرة. وكأي عروسين في الشرق الأوسط فلم تكن أميرة مستثناة من هذه القاعدة وهي الخوف الشديد والرعب بين الزوجين في أول لقاء جنسي بينهما. وعلى قدر ما حاولت أم علي أن ترشدها وتوجهها في هذا الأمر إلا أنها أخفقت في إرشادها الإرشاد الصحيح حيث أن تجربتها الخاصة بالعلاقة الجنسية مع زوجها لم تتم أبداً على أساس من المحبة والاهتمام المتبادل. لذا اكتفت أن تقول لها بعض كلمات قليلة مثل أنه من المهم أن تكوني متجاوبة ومتعطرة وجذابة لزوجها في هذه اللحظات الخاصة.

خرجت أميرة من الحمام بعد الاستحمام وظهرت أمام عريسها متعطرة وجذابة حتى أن أمين أخذ بجمال هذه الفتاة التي أحبها من خلف النقاب.

طلب أمين إليها أن تأتي وتجلس إلى جواره على السرير ثم بدأ يتعامل معها برفق ومطمئناً إياها أنه لن يفعل

معها ما يؤدي أو يسبب لها ألماً جنسياً. وقال لها إنهما سوف يتعلمان معاً الفن الراقي للالتقاء الجنسي. كما أنهما سوف يكتشفان مع الوقت الأماكن الحساسة في جسم كل منهما لإشباع كل منهما الآخر. واستطرد يقول: "سنبدأ معاً الليلة من نقطة البداية وسوف نتعلم معاً حيث أنني لا أعرف مثلك فلا تخافي. فقط أخبريني متى تشعرين بالراحة ومتى تشعرين بالسعادة وسوف نتعلم كيف يمتع كل منا الآخر."

حدث اللقاء الجنسي بسهولة وخاصة بعدما استمعت أميرة كلمات أمين المشجعة لها فلذا أعطته نفسها وجسمها له بالكامل طواعية وهي على ثقة تامة بأنه لن يؤذيها أبداً. وأصبحت بعد ذلك أوقاتهما الخاصة معاً من أجمل وأسعد اللحظات في حياتهما الزوجية والتي كانت قد بدأت هذه الليلة.

الفصل السادس والستون

شعرت أميرة في الأسبوع الأول من شهر العسل وكأنها عصفور خرج من قفصه حراً طليقاً. فلم يسبق لها من قبل أن شعرت في حياتها بمثل هذه الحرية لذلك كانت في قمة الابتهاج.

وبينما كان أمين يقود السيارة متجهاً إلى شمال دمشق توقف في أماكن عديدة أثرية وبها مناظر طبيعية خلابة فكانت أميرة تأخذها الدهشة عندما يتوقف في أي مكان جديد وكذلك الفضول والفرحة وهي تسأل كأنها طفلة صغيرة.

استمتع أمين بكونه أصبح مرشداً سياحياً لزوجته التي كانت تضحكه بتعبيرات وجهها الممتلئة بالدهشة والإثارة أمام كل ما تشاهده لأول مرة في حياتها. وهكذا بدأت أميرة تخرج من قوقعتها الهادئة والمتحفظة كلما كان أمين يشجعها على التعبير عن مشاعرها وأفكارها له. وكانا يتحدثان معاً لساعات طويلة كل يوم مما جعلهما يتقربان أكثر فأكثر لبعضهما البعض. وبنهاية الأسبوع كان وجه أميرة يشع بريقاً من البهجة كنتيجة طبيعية للثقة الجديدة التي تولدت بينهما وتشجيع زوجها المصحوب بالحب.

وقبل العودة إلى بيتهما توقفا عند منزل والديها ليخبراهما بعودتهما وأنها بخير وسعادة. رحب بهما أبو علي ترحيباً حاراً وحياهما قائلاً: "مرحباً.. مرحباً بكما يا أبنائي حمداً لله على سلامتكما!"

أسرعت أم علي تهرول من المطبخ عند سماع صوت زوجها مرحباً بالعروسين فأخذت ابنتها وزوجها بالأحضان والقبلات الحارة وقالت لهما: "حمداً لله على سلامتكما! هيا اسرعا واخبرانا كيف قضيتما رحلتكما." جلس أمين وأميرة في الصالون وشاركا معهما بالأماكن التي زاراها هذا الأسبوع. سألهما أبو علي وأم علي كثيراً من الأسئلة ليتعرفوا أكثر عن هذه الأماكن السياحية والأثرية التي تحتوي على طبيعة خلابة كما فرحا لسماعهما أخبار هذه الرحلة. وعندما انتهيا من حديثهما قال أبو علي: "هل تعرفين يا زوجتى أنه يجب أن نذهب في رحلة مثل هذه! فلم يسبق لنا وأن استمتعنا بجمال بلدنا مثلما يجب."

أجابت أم علي وفي صوتها نبرة إثارة: "إنك على حق يا زوجي."

ثم استطردت تقول وهي تبتسم للأميرة: "إن مثل هذه الرحلة سوف تكون ممتعة."

دق قلب أميرة فرحاً من أجل أمها حيث أنها لم تسمع مطلقاً والدها يعرض على أمها نزهة قصيرة فكم تكون رحلة طويلة معاً!

قالت أم علي وهي تقف: "سوف أعد الشاي. هل تريدين مساعدتى يا أميرة؟"

قالت أميرة: "بالطبع يا أمي.. أنا أحب هذا". ثم تركا السيدتان أبو علي وأمين يتحدثان باستفاضة عن رحلتها وأسرعتا معاً إلى مخبأهما السري ليختليا هناك. وبمجرد

أن دخلا إلى المطبخ عانقت أم علي أميرة ثانية قائلة: "كم أنا سعيدة جداً بعودتك يا عزيزتي ولقضائك وقتاً رائعاً مع أمين."

أجابت أميرة: "أشكرك يا أمي. إن سعادتني أن أعود ثانية لأراك بخير. كيف قضيت هذا الأسبوع؟". وبينما هي تعد الشاي بدأت أم علي تخبرها قائلة: "ربما لا تصدقي ما حدث في بيتنا هذا الأسبوع يا بنتي. لقد كان الله يعمل معنا."

قالت أميرة بشغف: "أخبريني يا أمي.. أخبريني". بدأت أم علي تقول: "حسناً.. لقد بدأت الأحداث ليلة زفافك. لقد ترك والدك انطباعاً رائعاً في أصدقائه وزملائه بسماحه للزفاف أن يأخذ طريقة غير تقليدية. وكما سمعت ونحن مازلنا في الحفل كيف أثنى الكثير على الطريقة الجديدة للاحتفال. وفي اليومين التاليين توافد أصدقاء أبوك على المنزل لتقديم تهانيم وإبداء أرائهم بخصوص حفل الزفاف. وقد أجمعوا في تعليقهم أن حفل الزفاف كان على أرقى مستوى على الرغم من أنه كان مختلطاً."

واستطردت أم علي تقول: "ومما زاد دهشتي أن الكثير من هؤلاء الرجال عندما حضروا لزيارتنا اصطحبوا معهم زوجاتهم وذلك للمرة الأولى مما اضطرني إلى أن أجلس معهم طوال فترة الزيارة. ولقد تحدث أبوك معي مسبقاً بأنه يريدني أن أجلس معهم في الصالون إذا ما حضر الزوجان معاً ولا آخذ الزوجة إلى غرفة النساء كما هي العادة. ولقد

قال لي أنه يجب علينا أن نتعلم كيف نستضيف الزوجين معاً. لقد كانت هذه صدمة كبيرة بالنسبة لي ولكنني لم أرد أن أظهر ذلك أمامه. لم يكن هذا بالأمر الهين لكلينا وذلك في أول زيارة زوجين ولكن فيما بعد كنا أكثر ارتياحاً وبدأنا ننطلق في الحديث بحرية أكثر مستمتعين بالجلسة المختلطة. لقد كان هذا الأمر بمثابة تجربة جديدة ومثيرة لنا. وبالطبع كل هذه التشجيعات كان لها أكبر الأثر على سلوك والدك كما كان مسروراً بنفسه جداً واستمر على هذا الحال إلى أن جاء يوماً أحد أصدقائه القدامى واسمه أبو رياض ووجه له اعتراضاً شديداً. وعلى الرغم من أنه من أعز أصدقائه والمقربين جداً له إلا أنه قطع علاقته بأبيك بسبب ما حدث في ليلة زفافك. لقد قال له أبو رياض أن ما حدث هذا حرام ومنافٍ لتعاليم القرآن الكريم الذي لا يسمح بالتجمعات المختلطة هذه في حفلات الزفاف وأنه يستعير من أن يدعو ثانية أبو علي صديقاً له .

لقد جرح أبوك جرحاً بالغاً من جراء هذه الاتهامات له ولقد حاول جاهداً أن يقنع صديقه بالهدف من وراء تصرفه هذا إلا أن أبو رياض رفض رفضاً قاطعاً وترك المنزل في ثورة من الغضب. ولم أر أباك في انكسار واحباط شديدين مثل ما رأيته في هذه اللحظة. ودخل يومها إلى غرفته ولم يرد أن يتحدث مع أحد باقي اليوم. لم أكن أعلم ماذا كان يدور بداخله في الأيام التالية وعلى الرغم من أنه كان يذهب لعمله ويعود كعادته إلا أنه كان في صراع داخلي باستمرار. هو اليوم فقط أفضل بكثير لأنه كان يتطلع

لرؤيتك أنت وأمين ولذا يجب أن تصليا من أجله. أنا أعتقد أن هناك صراعاً داخلياً يدور في نفسه. أنت تعلمين كم كنا نصلي حتى ما يخرج الله شيئاً صالحاً من موت فاطمة." كانت أم علي وأميرة قد انتهيا من عمل الشاي وأدركا أنهما لا يستطيعان البقاء لمدة أطول بالمطبخ لذا عادا إلى الصالون ومما خفف عنهما أنهما تمكنتا على الأقل من قضاء بعض الوقت معاً. لقد وجدا الرجال في أماكنهم ولكن رؤوسهم تكاد تلتصق مع بعضهما وهما يتهاوسان بصوت منخفض وذراع أمين تحيط بكتف حميه وبمجرد أن دخلت السيدتان عدل كل منهما جلوسه وتوقفا عن الحديث وقال أبو علي: "إن الشاي جاء والآن أخبرونا عن خططكم المستقبلية."

بدأ أمين يشاركهم بأنهما ببساطة شديدة سيعودون إلى منزلهم حتى تبدأ أميرة بترتيب البيت حسب ذوقها ثم قال: "لقد عشت بمفردي بهذا البيت سنين عديدة وهو الآن بحاجة للمسة نسائية وأنا أثق كل الثقة من أن زوجتي ستكون قادرة على جعله مناسباً وجميلاً." وأضافت أميرة قائلة: "وسوف تأتون لزيارتنا بمجرد أن ننتهي من ترتيبه" ردد أمين قائلاً: "نعم وستكونون أول ضيوف لنا على العشاء."

أجاب أبو علي: "سيكون هذا شرفاً لنا." وبعد الانتهاء من احتساء الشاي غادر أمين وأميرة إذ كانا غاية في الاجتهاد بعد سفراتهما وهما بحاجة لأن يعودا إلى منزلهما ليستريحاً، فعانقا والديهما وقبلانهما مرة

أخرى، وهنا تولد بداخل أميرة أمل جديد بأن الله يعمل في بيتها وأنها ترى أمها تعيش في ظروف أفضل بكثير جداً من الماضي وهذا ما جعلها تترك بيتها بسهولة وتتطلع بشغف لبيتها الجديد وحياتها كزوجة. وفور استقلالها للسيارة بدأت أميرة تخبر أمين بكل ما شاركتها به أمها ثم سألته: "وماذا عنك؟ عن ماذا كنتما تتحدثان معاً كل هذا الوقت؟".

نظر أمين إليها بابتسامة وقال: "هل حقاً تريد أن تعرفي؟".

أجابت أميرة: "بالطبع أريد أن أعرف.. ما الأمر؟".
قال: "كنت أقول لوالدك كيف يتم خلاص نفسه."
قالت أميرة متعجبة: "ماذا قلت؟! ولماذا هذا الموضوع الآن؟".

أجاب أمين بصوت واضح وفي هدوء: "لأنه سألني هذا".

أجابت أميرة وكأنها تصرخ: "هو سألك؟.. أبي يريد أن يعرف كيف يحصل على الخلاص؟ تقصد كيف يقبل المسيح كمخلص؟".

أجاب أمين ثانية وهو مبتسم: "هذا صحيح يا حبيبتي."
سألت أميرة في لهفة: "وهل فعل هذا؟".

قال أمين: "لا يا حبيبتي لم يفعل. ويمكننا فقط أن نصلي لكي يأخذ هذه الخطوة في الوقت المناسب وقبل أن تضيع الفرصة".

ثم ظلا صامتين في رحلة عودتهما للمنزل. كانت
أميرة في ذهول بينما كانت تفكر في كيف أن أباهما وصل
به الأمر إلى أن يسأل سؤالاً مباشراً عن كيفية خلاصه.
ماذا يعني كل هذا؟ ثم دفعت بأفكارها هذه جانباً بمجرد أن
أدخل أمين السيارة في مدخل منزلهما ثم حمل عروسته بين
ذراعيه ليعبر بها عتبة المنزل.

الفصل السابع والستون

بعد أن تحدثا معاً حديثاً مختصراً معبرين عن فرحتهما لرؤية أمين وأميرة بعد عودتهما بسلام من رحلتها قال أبو على لزوجته: "إيمان هل تذكرين الوجبة الشهية التي قمت بإعدادها عندما حضر لزيارتنا زوج ابنتك لأول مرة في منزلنا هذا؟".

أجابت: "نعم أذكر يا زوجي".
فبادرها بالسؤال: "هل يمكنك أن تقومي بإعدادها مرة أخرى لي أنا وحدي؟".

قالت: "أنت تعلم أنني سأكون سعيدة أن أفعل هذا".
ثم نظرت أم على إلى زوجها وابتسمت قائلة: "هل يمكنني أن أفعل أي شيء آخر؟".
أجابها: "لا.. أشكرك سوف أذهب للاسترخاء قليلاً في الشرفة إن لم يكن لديك مانع".
أجابت أم علي: "بالطبع لا أمانع ذلك يا زوجي وسوف أدعوك عندما يكون العشاء جاهزاً".

كانت سنة عصبية على عقل وجسد ونفس أبو علي وقد أثقل حمل هذه السنة كاهل أبو علي بينما كان يذهب إلى الشرفة ليجلس على مقعده الكبير. هذا المكان الذي شهد مرات كثيرة كان ينفرد فيها أبو علي مع نفسه للدراسة أو للتفكير في قرار ما لحياته.

وبينما هو يسترجع قراراته الماضية التي اتخذها في حياته اعترف مع نفسه بأن معظمها كانت قرارات خاطئة.

فقد اختار الكثير من قراراته لإشباع غروره أو حفظ ماء وجهه ونادراً ما كان يضع في اعتباره مشاعر الآخرين أو الآثار السيئة التي سيجتنيها الآخرون من جراء هذه القرارات. وضع أبو علي رأسه بين يديه إذ تذكر قراره في الزواج من فاطمة وكم تسبب في البؤس للجميع بما في ذلك هو شخصياً.

لقد فكر في أبيها في مخيلته وكيف يعاني الآن من جراء موتها. كما أدرك أبو علي أنه لم يقدم أي تعزية للرجل الذي فقد كل شيء في مقابل رغباته الحمقاء. ثم دار تفكيره إلى زوجته إيمان. إنها كانت الجوهرة المختفية وهو يعرف هذا جيداً. لقد تحملت الكثير جداً طوال السنين الماضية وهي صامته نتيجة كبريائه وعدم الاكتراث بمشاعرها.

كان يشعر بسعادة عندما كان يلاحظها الأسابيع الماضية. فكم كانت تبتسم أكثر من ذي قبل؟! هل هو حقاً تسبب في إسعادها كزوج؟ وابتدأ عندئذ يفكر كيف يجعلها سعيدة ولو لمرة واحدة. وهكذا علت الابتسامة وجهه. أما عن الأولاد. فقد تأكد أبو علي بأنه نال رضى أميرة لسماحه لها أن تتزوج أمين. لكن ماذا عن باقي الأولاد وماذا يفعل لأجلهم؟ لم يستطع أن يفكر في أي شيء إيجابي.

"علي" ابنه العزيز يا ترى ماذا يفعل الآن في لبنان؟ أين هو؟ هل هو بخير؟ هل مايزال يكرهه؟ هل سينتهى الأمر بحليم أن يكرهه مثلما يكرهه "علي"؟ صرخ أبو

علي في داخله "آه.. يارب لم أفعل أي شيء صالحاً في حياتي! أنا في عذاب شديد!.. ساعدني!"

بمجرد أن خرجت هذه الكلمات من قلبه تطرقت إلى ذهنه فكرة جديدة "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" سأل أبو علي نفسه: "من أين هذا الكلام" وبينما هو يتأمل هذه الكلمات تذكر أنه قرأ هذه الآية في الإنجيل الذي أخذه من زوجته. أريحكم.. الراحة..! لم يختبر السلام الحقيقي منذ زمن طويل. لماذا لم تمنحه ديانته السلام والراحة؟ لقد خدم الله بإخلاص في الجامع. لقد كان الإخلاص هو حياته كلها. وكما كان إخلاصه وإيمانه هو المؤثران في كل قراراته. لكن لماذا لم يكن في سلام مع الله؟.

بدأ يتذكر المحادثات التي دارت بينه وبين أمين. وما هذا السلام الذي يشع من هذا الشاب؟ إن كلام هذا الشاب نخس قلبه. ثم أخذ يكرر مع نفسه النقاط البسيطة التي قالها أمين للرد على سؤاله هذا المساء. إنه أمر في غاية البساطة. وجد أبو علي أنه من السهل عليه أن يقبل تعاليم المسيح وحتى إن ادعى أنه الله. وقد أدرك في أعماق نفسه أن كل ما سمعه عن المسيح وما قرأه في الإنجيل كان حقيقياً. وأنه هو الحل للخلاص من عذابه.

لقد أدرك أنه بقبوله للمسيح سيحصل على السلام الذي كان يفقده. وسيحصل على نعمة الغفران على ارتكابه جريمته الشنعاء. وسينال الضمان لدخوله الجنة بعد الموت. وبإمكانه أن يعيش باقي أيام عمره في فرح ورجاء.

ولكنه أدرك أيضاً أنه بقبوله طريق المسيح سينقلب كل
زملائه وأصدقائه ضده. وسوف يُرفض ويُضطهد من
هؤلاء الذين كان يدعوهم احباءه. وسوف يفقد احترامه
ومكانه بين أئمة الإسلام. وسيكون هذا الموقف بالغ
الصعوبة على أسرته وربما يأخذ أولاده موقفاً عدائياً منه.
كما يحتمل أن يكلفه هذا الأمر حياته .
وهنا طرأت لذهنه فكرة أخرى جديدة "سلاماً أترك
لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. في
العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم."